

2012: النهاية؟

THE TWELVE

رواية

ويليام غلادستون

WILLIAM GLADSTONE

2012
النهاية؟

2012
النهاية؟

رواية

تأليف

ويليام غلادستون

William Gladstone

ترجمة

حسّان البستاني

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
The Twelve
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
Vanguard Press
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

ردمك 978-614-01-0099-2



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

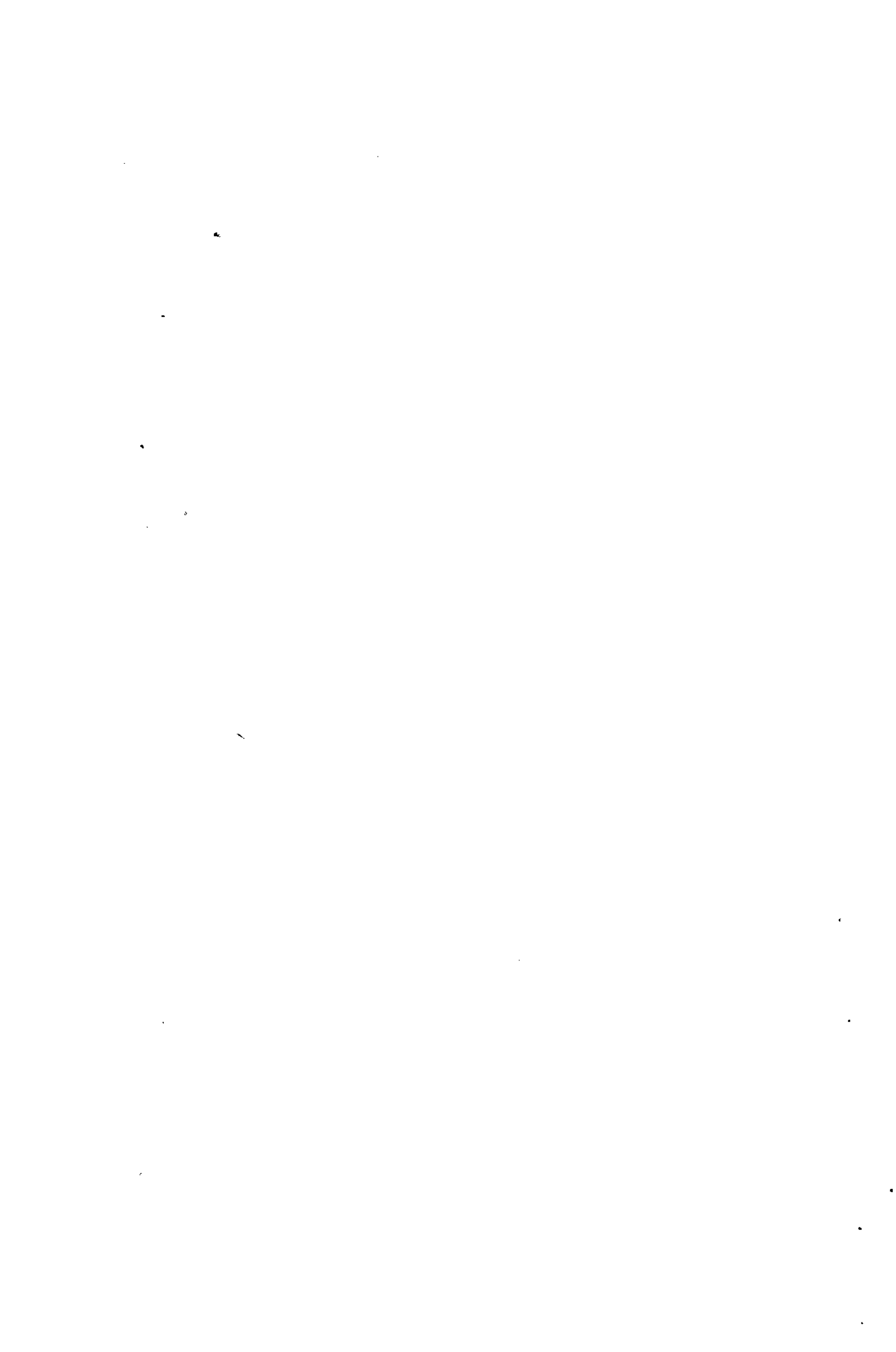
هذا الكتاب مُهدى للاثني عشر
الذين اتسموا بقوة التوقعات القديمة
لمصلحة الجنس البشري كلّه

تعليق المؤلف

عزيزي القارئ،

وفقاً لكبار السنّ والبحّاثة المايايين الذين درسوا الروزنامة المايوية، يمثّل 21 كانون الأول/ديسمبر 2012 نهاية الروزنامة المايوية وبداية حقبة تاريخية جديدة. ستكون لهذه الحقبة الجديدة تأثيرات مختلفة عن تأثيرات الحقبة الحالية، وسيكون للجشع والمادية دور أقل، وتشديد أكبر على التناغم بين الكائنات الحية كلّها. قد يلاحظ الأفراد أو قد لا يلاحظون حدوث تغييرات في حياتهم في 21 كانون الأول/ديسمبر 2012، ولكن التغييرات ستكون هائلة وستنمو مع الوقت.

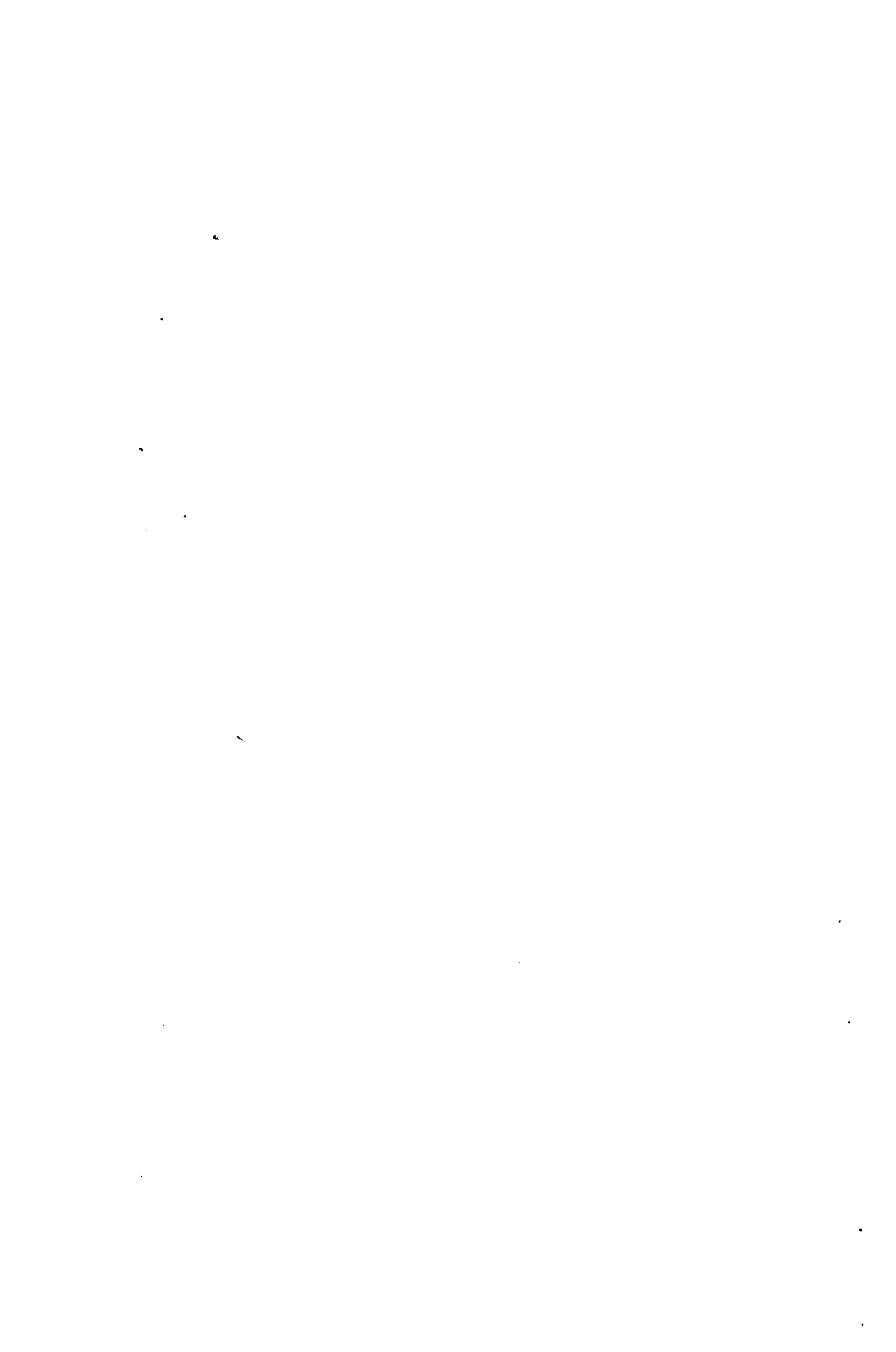
يعتقد بعض البحّاثة أن تغييرات محددة ستطرأ على المجرّات وتبدّل القطبَين المغناطيسيّين والإلكترونيّين للأرض. ولا يعتقد غالبية الخبراء المايويين الحقيقيين أن التغييرات التي ستحدث بشكل مفاجئ وعنيف ستُلحِق الضرر بالأرض أو البشر.



توطئة

اعتُبر العام 2012 نهاية الروزنامة المایاوية. وهناك أساطير قديمة تعود إلى أزمنة الهوبي، وضالعي التيبت، لا بل أيضاً إلى أولئك الذين يعتقدون أنهم يوجهون حكمة العوالم القديمة أو خرافات ليموريا وأتلنتيس، والتي تشير بأجمعها إلى أن العام 2012 سيكون بداية أو نهاية حياة البشر التي استمرت لبضعة آلاف من السنين.

إذا وقعتم على نسخة من هذا الكتاب وأردتم قراءته، ستكونون من دون شك من أولئك المختارين العديدين الذين قد يساعدون على تحديد ما إن ستكون نهاية الأزمنة مُرفَقة بدمار الكواكب أو تحوّل البشرية كلّها؟



الفصل الأول

الانفجار الكبير

12 آذار/مارس 1949

لم يكن الانفجار الكبير الذي حدث في 12 آذار/مارس 1949 هو الحدث الذي أدى إلى تغيير كبير في الكون - ذلك الذي يصفه ستيفن هوكينغ وعلماء آخرون - بل أدى إلى بداية تكوين ماكس دوف.

في مساء ذلك اليوم الشتوي والمليء بالنجوم، وعند الساعة الحادية عشرة وإحدى عشرة دقيقة وخمس وأربعين ثانية تماماً، اختبر هربرت وجاين دوف ذروة اللذة المتبادَلة والأكثر إثارةً للبهجة في ذكرى زواجهما الخامسة والأربعين، وذلك في غرفة نوم منزلهما الموجود في إحدى الضواحي في جادة بنيديكت في تاريتاون، نيويورك.

كان الأمر بالنسبة إلى هربرت مجرّد عملية دامت أربع عشرة ثانية.

وبالنسبة إلى جاين، كان الأمر مليئاً بالمعاني. فبينما كانت قمة المتعة تطال عمق روحها وجسدها، اختبرت في الوقت نفسه حالة خروج من الجسد حيث كانت مُحاطة باللونين الأرجوانيّ والأزرق الرائعين.

توقف الزمن، ودخلت في حالة من الاستسلام الكامل. لم يسبق لها أن اختبرت أمراً مماثلاً في حياتها، في تلك اللحظة المحددة من الزمن، أدركت أنها تعدّ مع زوجها الطفل الذي يرغبان في إنجابه.

كـــان لهربرت وجاين ابنٌ في الشهر الثامن عشر من عمره يدعى لـــويس، وقـــد كان الحبل السُّرّي ملفوفاً حول عنُقه حين وُلد، إلاّ أن الإجـــراءات البطولية التي اتخذها موظفو المستشفى أدّت إلى نجاته من الأضرار التي نجمت عن ولادته.

منذ البدء، كان لويس دائمَ الشعور بالمَغص، وسريع الغضب، وذا نشاط مُفرط، وصعب التحكم به. ولحسن حظ جاين أن هربرت كان يمتلك شركة ناجحة لنشر الكتب، وفي استطاعته أن يؤمّن لها خادمة/مربّية تـــساعدها علـــى العناية بالطفل، وبالرغم من ذلك، فقد كانت مهمة صعبة. كان كلاهما لا يزالان يتوقان إلى إنجاب طفل طبيعي.

وهكـــذا، تمكن هربرت عند الساعة الحادية عشرة واثنتَي عشرة دقيقة من مساء 12 آذار/مارس 1949 من الاسترخاء بعد عناق استمر ثلاث دقائق.

في الأرجنـــتين، كتب خورخيه لويس بورخيس قائلاً إن الكون بأكمله يتغيّر إذا أقام الزوجان علاقة زوجية بطريقة مثالية، وإن الأزواج كافّة يصبحون مماثلين لهذين الزوجين. وهذا ما يسميه الدالاي لاما في التيـــبت طـــريق تانتريك المؤدي إلى التنوّر طريق الضحك والملامسة. ويعـــتقد أيضاً أن شخصين يحبان بعضهما بعضاً بشكل كامل ينقذان البشرية ويساعدان الكائنات كلّها على بلوغ حالة النيرفانا.

لم يكـــن الـــدالاي لاما على عِلم بوجود هذين الزوجين أو هذه الممارسة الزوجية.

* * *

في 12 كانون الأول/ديسمبر 1949، وعند الساعة الرابعة وخمس دقائـــق من بعد الظهر، وُلد ماكس دوف وعيناه مفتوحتان والابتسامة على وجهه.

بسبب حالة الاضطراب الكامل الذي أحاط بولادة لويس، كانت جــاين قــد نُصحت بإجراء جراحة قيصرية تجعل ولادة الطفل أكثر سهولة وتؤمّن له حياةً سهلة نسبيّاً، في حين أنها تُلحق الضرر بجاين.

ومــع ذلــك، كــان هناك ظل قاتم مخيّم على الظروف المُغبطة لــولادته. وتجــسّد ذلك الظل بشقيقه، لويس، الأكبر سنّاً والبالغ من العمــر ســبعة وعشرين شهراً، والذي يتمتع بقوة وقدرة على الحركة كافيتين ليكون مصدر خطر على شقيقه الأصغر المتمتع بصحة جيدة.

* * *

في الــيوم الثالث من حياة ماكس، اصطحبه هربرت وجاين إلى المنـــزل، وعــرّفا لويس إلى شقيقه الجديد بينما كانوا جالسين على السرير الكبير في غرفة نوم هربرت وجاين الرئيسة.

وفي غضون ثوان، وقبل أن يتمكنا من القيام بأي ردّ فعل، أمسك لــويس بماكس، وبدأ يضغط على عنقه بقوة. وبعد أن استعادت جاين رُشــدها من هَول الصدمة، حررت ماكس من قبضة لويس، وأبعدته عنه، في حين عمد هربرت إلى حماية المولود الجديد.

بعــد أن كــبح لويس جماح غضبه، أطلق سلسلة من الصرخات الحــادة، وبــدأ يــضرب جاين أولاً، ومن ثم هربرت الذي تعيّن عليه إخراجه من غرفة النوم.

لقد نجا ماكس من الحماسة المفرطة التي اتسمت بها عملية تعرّف شــقيقه الأكــبر سنّاً إليه، ولكن الأمر كان بداية لعدد لا يُحصى من الأحــداث المتفجــرة. لقــد اتضح له منذ البدء أن هذا العنف غريب ومتكرر، وموجَّه ضده على الدوام.

من جهة أخرى، كانت حياته من النواحي الأخرى عامّة في منأى نسبــي عن أي أذى، وكان فتى مسالماً.

لقد كان ماكس فاتناً في صباه، وكان شعره بنّياً طويلاً مائلاً إلى الحُمرة، وأهداب جفونه سوداء، وعيناه بنّيتين داكنتين، وقسمات وجهه متناسقة تماماً ولا سيما عندما يبتسم، كما كانت حاله في معظم الأحيان.

لم يكن ماكس بديناً أو هزيلاً بل معتدل الجسم. كان رياضياً وقويّ البنية بالرغم من صِغر حجمه ونحافة رُسغَيه وكاحلَيه.

لم يكن يُبدي أي خوف في أثناء تواجده مع الغرباء، بل كان على ثقة من أن كل من يلتقي به لن يكنّ له سوى الحب والمودّة. وباستثناء علاقته المضطربة بلويس، فقد اتسمت طفولته بالثقة بالآخرين.

مع ذلك، ولسبب مجهول - نتيجةً للأذى الذي لحق به بسبب هجمات لويس، أو بعض الميول الجينية، على حدٍّ سواء - لم تنمُ لدى لويس قدرات طبيعية على النطق. كان في استطاعته إصدار أصوات على غرار أي طفل آخر من دون التمكن من تشكيل كلمات.

في الواقع، كان يفهم ما يقوله الناس كما يبدو، وكان يملك طريقة تخاطرية تقريباً للتحدث إلى والدته وإلى لويس الذي يزعجه، وهو أقصى ما بلغته مهاراته التواصلية.

ووفّرت هذه الحالة لشقيقه الأكبر ساعات لا نهاية لها من الإساءات.

"أيها المعوَّق، أحضر لي بسكويتة أخرى من المطبخ". كان يأمره لويس.

"هيه، أيها البسيط، تعال إلى هنا، وإلا تسببت لنفسك بكدمة". كان يصيح.

لقد ظن لويس أنه ذكي بسبب استخدام كلمة مختصَرة *لبسيط*، وهـــو لقب التحبّب الذي كان يُطلقه على شقيقه الأصغر. وبالرغم مـــن قيام جاين وهربرت بمنع لويس من نعت شقيقه *بالمعوَّق* أمامهما على الأقل، فقد سمحا له على مضض بنعته *بالبسيط*، وأملا عبَثاً أن يملّ منه.

لم يكـــن لويس يبالي بقواعد والديه عندما لا يسمعان ما يقول، فـــيردّد بانتظام عبارات مثل: "إن لم تعطني تلك الشاحنة، أيها المعوَّق، فسأضربك". أو "ابتعد عن طريقي، أيها المعوَّق".

* * *

لقد استنتجت جاين وهربرت أيضاً من افتقار ماكس إلى مهارات لغـــوية أن ابـــنهما يعاني من إعاقة عقلية. وعندما كان في الرابعة من عمره، قررا الاستعانة بمعالجة لتقويم النطق، وسرعان ما أدركت المعالجة أنها تتعاطى مع فتى صغير شديد الذكاء يفهم كل شيء.

بالـــرغم مـــن ذلك، لم يبدأ ماكس بصياغة جمل كاملة، وإجادة كاملـــة للّغـــة قبل الأوان حتى بلوغ سنّ السادسة. وذات يوم، تكلّم ماكس بوضوح شديد، وبشكل لا يمكن تفسيره.

قـــال ماكس: "أعتقد أنه يجب علينا شراء المنـــزل الأصفر عند ذهابـــنا إلى كرْم مارتا هذا الصيف، الذي يوجد فيه مركب وبركة". وأضـــاف: "لقد أحببتُ الذهاب إلى البحيرة هناك في الصيف الماضي، وأتمنى لو أستطيع الذهاب إلى هناك كل يوم".

عندما استعادا رشدهما من هَول الصدمة، شعرت جاين وهربرت بسعادة فائقة.

في الوقت نفسه، كان ماكس يحقق نتائج عالية جداً في اختبارات الذكاء، مما أزال أي مخاوف كانت تعتري والديه.

في حـــين رحّـــب هربرت وجاين باتخاذ الأحداث منحى مختلفاً، كـــان الأمر مزعجاً جداً بالنسبة إلى لويس الذي ازدادت حدة الدور الذي لعبه كخصم رهيب لماكس خلال طفولته.

* * *

علِم ماكس منذ البدء بوجود هدف لحياته ومصير هام دُعي إلى تحقـــيقه. ولكن هذا الإدراك لم يكن أمراً ملموساً. كان هناك صـــوت في رأســـه لا يـــستخدم أي كلمات توحي له بالغاية من ولادتـــه، فقـــط ألـــوان وذبذبات قوية. كان عالمه الداخلي، هذا الملعـــب السري، مليئاً بالجمال والأناقة، وقد جعل ماكس في قمة السعادة.

لقـــد بـــدا قادراً على اكتساب معرفة حول أي موضوع، ولكنه كان مولَعاً بالرياضيات بصفة خاصة ويُظهر قدرة ومهارة غير مألوفتين في التعاطي مع الأرقام التي تدور في رأسه باستمرار على صورة مجموعة كـــبيرة من الألوان. وقبل أن يتمكن من الكلام، استطاع ضرب أرقام من ثلاثة أعداد في رأسه.

لقـــد استندت هذه الموهبة إلى عامل ثلاثي الأبعاد. كان يتخيّل عُلـــباً موضـــوعة بشكل عمودي وأفقي، وخطوطاً لامتناهية تمرّ عبر جوانب هذه المستطيلات من دون اختراقها، ويتصوّر أن كل علبة هي عـــالَم كامل بحدّ ذاته، فيتأمل شكلها، واتجاهها، وعدم وجود بداية أو نهاية لها ولمجموعة العُلب.

لقد منحته هذه التمارين سعادة كبرى على غرار معظم الأشياء في حـــياته. ومـــع ذلك، كان هناك تذكير دائم أن الأمور لا تسير كلها بشكل ممتاز.

إنه لويس.

فبالرغم من الساديّة والعنف اللذين عانى منهما على يدي شقيقه الأكـــبر، اعتبر ماكس لويس صديقه المفضّل. وتلك الصلة غير المألوفة القائمـــة بيـــنهما حملت ماكس على الشعور بتعاطف كبير مع شقيقه، وبدا الأمر كما لو أنهما يتذكران تلك المرحلة المُغبطة المتمثلة بالرَّحم.

ومـــنذ لحظة ولادته، قبِل ماكس أنه حيثما وُجد يكُن تماماً في المكان الذي يُفترض أن يكون فيه في هذه الحياة، وكان في سلام تام مع الفكرة.

مـــن جهة أخرى، كان لويس غاضباً بسبب اضطراره إلى مغادرة تلـــك الحالة الوجودية المثالية واستقبال العالم له بقبضة خانقة. وهكذا، فقـــد جـــاء إلى هذا العالم راكلاً وزاعقاً، وبقي في حالة مستمرة من التمرّد.

لقـــد ازداد غضب لويس بسبب عدم شعور ماكس بهذا الأمر، فقرر جعل حياة شقيقه بائسة بقدر بؤس حياته من خلال ممارسة القوة والتـــرهيب علـــيه. وعـــندما كانا دارجَين، دأب لويس على مهاجمة مـــاكس، وتثبيته على الأرض، والضغط بيديه على عنُقه، والانسحاب بعـــد ذلـــك حالما يبدأ ماكس بالبكاء. وعندما يأتي البالغان مُسرعَين، يكـــون لـــويس قد ابتعد مسافة آمنة تمنعهما من إدراك مستوى العنف الـــذي مارسه على شقيقه. وبما أنه لم يكن في استطاعة ماكس التعبير عن مكنونات صدره، فقد بقيا على جهل تام بما كان يدور حولهما.

في الـــنهاية، تعلّم ماكس أن يدّعي الموت لأن مقاومة لويس أمر مـــستحيل بـــسبب قوته التي تفوق قوة البشر عندما يستشيط غضباً، لدرجـــة أن الأمر يتطلب تضافر أكثر من قوة شخص بالغ لإخضاعه، هذا إذا أدركوا الحاجة إلى القيام بذلك.

وبالـــرغم من مَيله الفِطري إلى التفاؤل، وجد ماكس أن العنف المـــستمر بـــدأ يُلحق الضرر به. فهو لم يشعر أبداً بالأمان في المنـــزل،

وكـــان يعلم أنه سيتحمل تبعات أي نجاح يحققه في المدرسة أو في أي مظهر من مظاهر الحياة.

وبازديـــاد الهجمـــات، فكر مليّاً في إنهاء حياته بهدف الفرار من معذّبه.

ففـــي سنّ السابعة، اعتزم طعن معدته بسكين دهن الزبدة. وفي حـــين كـــان يرى في عالمه الداخلي السري الغايةَ المحتمَلة من وجوده ويـــتحمّس للإمكانيات المرتقَبة، كان العالم الخارجي عائقاً كبيراً جداً بالنسبة إليه ولا يمكن تلافيه كما يبدو.

واتخذ قراره، والتقط السكين.

وبينما كان يدفع النَّصل الطريّ والمسنَّن داخل بطنه، تذكّر ذلك الـــصوت الداخلـــي الهادئ الذي دأب على سماعه منذ بداية طفولته. فوضـــع الـــسكين جانباً، مُدركاً في تلك اللحظة وجود هدف لحياته، رســـالة حقيقـــية. وبالرغم من ظهور عقبات أمامه، كان يتعيّن عليه امتلاك الشجاعة لمواجهة كل ما يعترض طريقه.

لقـــد تعلّم ذات مرة كيفية الإفلات من قبضات شقيقه المُحكَمة على عُنُقه.

* * *

عـــندما كـــان طفلاً دارجاً، وبالرغم من عدم قدرته على التكلم بطـــريقة متماســـكة، أظهـــر ماكس ميزات قيادية بتولي مسؤولية أي مجموعة.

وفي أثناء نموّه، كان يتفوّق في كل مادة دراسية، ويملك فرحاً حقيقياً بالـــتعلّم. لقـــد أجاد ممارسة النشاطات الرياضية، وفي سنّ الثانية عشرة، أصـــبح أســـرع عدّاء لمسافة الخمسين ياردا في مقاطعة وستشستر. كان ماكس يقول مداعِباً إن هروبه من لويس هو الذي جعله عدّاءً سريعاً.

وعندما تخرّج من الصف الثامن، ألقى كلمة الوداع بصفته رئيساً لمجلس الطلاب وقائداً لفرق كرة القدم، والمصارعة، والبيسبول. كان يتمتّع بشعورٍ غير عادي يمكّنه من توقّع المكان الذي ستتّجه إليه الكرة أو الخصم، ويبدو على الدوام في المكان المناسب وفي الوقت المناسب، ولم تتبادر إلى ذهنه أبداً فكرة ارتكاب أخطاء.

لقد توقّع من نفسه أن يقوم بكل شيء بدقة وصوابية... وهكذا كان، ولكنّ هذه التوقعات لم تحُل دون زوال القلق الذي يشعر به معظم الصغار.

كان والداه يحبانه بلا ريب، وكان يختزن مقداراً كبيراً من المعلومات بفضل نجاح والده. وهكذا، وبالرغم من الآلام التي يتحمّلها من شقيقه، تمكن ماكس من اجتياز سنّ المراهقة المبكّرة.

وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره - يوم الثلاثاء، 19 شباط/فبراير 1965، عند الساعة الثالثة وخمس عشرة دقيقة بعد الظهر، وفي عيادة الطبيب هوارد غراي - توفّي ماكس دوف.

الفصل الثاني

ماكس دوف وحالة النورانية

1965

وصلت جاين وابنها ماكس يوم الجمعة المشؤوم ذاك، إلى مجمّع المركز الطبي في تاريتاون عند الساعة الثانية وأربع وأربعين دقيقة من بعد الظهر. كان الطقس بارداً وهناك ثلج على الأرض، لم يكن ثلجاً نظيفاً وجديداً، بل ثلجاً ذائباً أكثر منه متجمّداً، وأقل لفتاً للأنظار.

كانت الطرقات نظيفة في الغالب باستثناء قشرة من التراب الذي من غير المحبَّب النظر إليه، أو سماع صوت الدَّوس عليه.

فمن الجيد أن تكون الطرقات نظيفة لأن جاين دوف سائقة مروَّعة لا تثق البتة بما يكون متواجداً أمام إطارَي السيارة، وذلك بسبب تعرّضها قبل عامين لحادث سَير رهيب بدّل حياتها.

* * *

كانت جاين لفكوفيتش امرأة جميلة، يبلغ طولها خمس أقدام وخمس بوصات، وتتمتّع ببشرة ومظهر لا عيب فيهما، وبشعر مجعَّد قاتم اللون، وبعينين قاتمتي اللون رحومتين على نحو لا يصدَّق، وابتسامة آسرة لا تقاوَم، وتُذكِّر أولئك الذين يلتقونها بماري بيكفورد، ونورما شيرر، ونجمات سينمائيات أخريات في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي.

كانت في السادسة عشرة من عمرها فقط عندما رافقت شقيقتها مني البالغة من العمر أربعة وعشرين عاماً في نـــزهة بحرية إلى كوبا على متن مركب. وكونها ابنة مهاجرين روسيَين، اعتُبرت مني "عذراء كبيرة الـــسنّ" وفرصـــها للـــزواج قليلة. لم تكن مني، وهي الابنة البِكر بين شـــقيقات ثـــلاث، جميلة على غرار جاين، ولم تكن تجتذب الخطّاب بـــسهولة. وبمـــا أن ذلك العام هو العام 1939، وأن ولدَيها لم يكونا منفتحَـــي الـــذهن، كـــان من المفروض أن تكون أولى من تتزوّج بين شقيقتيها وإلا، فإن الأُخريَين لن تتمكنا من ذلك.

هـــذا مـــا كان عليه التقليد في العائلات الروسية، أو تقليد عائلة لفكوفيتش على الأقل.

كان والد جاين، أرنولد لفكوفيتش، يعيش حياة متواضعة كبائع بـــيض في نـــوارك، نيوجرسي، عمل كانت تزدريه زوجته غلاديس. وأرنـــولد رجل مثقَّف جداً وخبير في كتاب العهد القديم، وقد حظي باحتـــرام رجال الدين في أنحاء العالم كافة. ولكن ذلك لم يعوّض عن مدى ازدراء غلاديس لطبيعة عمله.

كانت عائلة غلاديس تملك متجراً في أوروبا، وكان والدها طبيباً، مما جعلها ذات مكانة رفيعة. لذلك، اعتبرت غلاديس نفسها خبيرة في شؤون الحياة وعلى الموضة، وأفضل بكثير من زوجها المتواضع.

لم تعمل غلاديس يوماً، ولكنها كانت مدبّرة منـــزل ممتازة، تدير وتـــراقب كـــل المال الذي يجنيه زوجها أرنولد. وبالرغم من ارتفاع نفقات النـــزهة البحرية، توجّهت إلى جرّة المدّخرات التي تبقيها مخبّأة في الـــدُّرج الـــثالث فـــوق برّاد المطبخ، وسحبت المبلغ الضروري - مستنفدةً كل المدّخرات تقريباً - ولم ترسل مني فحسب في رحلة لمدة عشرة أيام من ميناء مدينة نيويورك إلى هافانا، كوبا، بل وجاين أيضاً.

كانت جاين تعمل كمرافقة لشقيقتها، ولم تنسجم معها أبداً. ولكن جاين لم تكن لترفض ذلك لأنها فرصة مناسبة لها لرؤية القليل من العالم. كان حلمها أن تسافر، وأن تصبح كاتبة، وتعيش في منزل ريفي بسيط في ديفون، إنكلترا، سقفه من القش.

ولم يكن من المناسب لمنى أن تسافر بمفردها بسبب احتمال قيام الناس بنشر إشاعات عن سلوكها وأخلاقها.

إنه أمر جدّي.

كانت منى بحاجة إلى العثور على رفيق في هذه "النزهة البحرية الخاصة بالعازبين والعازبات"، علماً أن أحداً لم يجرؤ على دعوتها. فالوقت يمضي ومستقبل منى - ومستقبل جاين وشقيقتها ميريام - في كفة الميزان.

لقد أُعدّت الرحلة ليكون هناك تفاعل بين العديد من الرجال والنساء العازبين على متن السفينة. واختيرت جاين ومنى في أول عشاء من الرحلة لتنضما إلى مائدة القبطان.

وانضم هربرت دوف، وهو شاب أنيق المظهر وبهيّ الطلعة في الرابعة والعشرين من عمره - في سِنٍّ منى نفسها - إلى المائدة أيضاً. كان يبلغ طوله خمس أقدام وثمانية أعشار القدم، وكان شعره متماوجاً وداكن اللون، وعيناه بنّيتين ولعوبتين ومعاكستين، قليل السُّمنة بسبب انغماسه المفرط في معاقرة الشراب وتناول الطعام، ولكنه لائق وقويّ البنية إجمالاً.

* * *

كان هربرت، وهو عالم لامع، ينتظره مستقبل واعد ككيميائي محترف. ولكن انفجاراً وقع في مختبر الكيمياء في يونيون كامبريدج جعله أصمّ جزئياً، وتطلبه الأمر التغيّب عن المختبر لمدة ستة أشهر

مدفوعة. وأمضى هربرت ذلك الوقت في حضور مباريات كرة القدم، ومـــواعدة نساء شابات جميلات، والانكباب على الحاجات الأساسية للحياة، كتجديد رخصة القيادة.

وأدى هذا النشاط الأخير إلى نقطة تحوّل في مهنته.

لقـــد لاحـــظ هربرت افتقار السوق إلى كتيّبات اختبار القيادة. وبتوفّـــر الوقت لديه، أخذ على عاتقه طباعة نسخات وبيعها للسائقين المحتمَلين.

وبما أن عدداً كبيراً من الأشخاص أخفقوا في الامتحان الكتابـــي لاختبار القيادة، ووجدوا أنفسهم مضطرين إلى إعادة الاختبار، استخدم سكرتيرة لطباعة واستنساخ مئة نسخة من الكتيّب تتضمّن إجابات عن مختلف الأسئلة.

بعـــد ذلك، عرّف هربرت عن نفسه عند مدخل مكتب الرُّخَص في مانهـــاتن وبـــاع بسرعة الكتيّبات كلّها لقاء دولار واحد للنسخة. وطبع ألف نسخة إضافية وجنّد أصدقاء له وطلاباً لبيعها في أنحاء مدينة نـــيويورك كافة على أن يتقاضى كلّ منهم ربع دولار لقاء كل نسخة يبيعونها.

واســـتمر هـــذا الإجراء عدة أشهر، وقام هربرت بتحقيق أرباح بلغت عدة آلاف من الدولارات في الأسبوع، وهو مبلغ كبير جداً في أواسط الثلاثينيات وأكثر مما يأمل في جنيه يوماً ككيميائي.

كـــان معدل البطالة لا يزال مرتفعاً جداً بسبب ما يعاني منه البلد للخـــروج مـــن حالـــة الركود الاقتصادي الكبيرة. ولم تكن الخدمة العسكرية شرطاً أساسياً في ذلك الوقت بل امتيازاً وحلاًّ للبطالة، وكان مـــستوى الأَجـــر للمجـــنَّد وفرصة إكمال دراسته مرهونين بأدائه في امـــتحان الانتـــساب إلى القوات المسلحة. وبما أن الامتحان كان على

غـــرار كتـــيّب السائق، مستنَداً يتم إنتاجه على نفقة دافعي الضرائب، وجد هربرت في ذلك فرصة أخرى لجني المال لقاء مساعدة الآخرين.

فحـــصل علـــى مجمـــوعة الامتحانات المؤلفة بمعظمها من أسئلة أساسية في الرياضيات واللغة الإنكليزية، ونسخ ورقة الامتحان. وهكذا وُلد الكتيّب الذي يحمل عنوان "تدرّب على اختبار القوات المسلحة". وكـــان هربـــرت علـــى الطـــريق المؤدي إلى جَني مليونه الأول من الدولارات.

كـــان مـــبلغ المليون دولار في العام 1938 ثروة، عملياً، لا يمكن لرجل عازب إنفاقها من دون معاكسة، وهو أمر برع فيه هربرت. كان يحـــب حـــياة الـــبَذخ - وجـــبات مُسرِفة، شراب جيد، رفقة نساء جميلات - وهذه الرفقة هي سبب قيامه بالنـــزهة البحرية.

لقد واعد ليزا طوال ستة أشهر، وكانت شقراء فاتنة، زرقاء العينَين، وتـــتوقع مـــنه وضع خاتم الخطبة في إصبعها لتضمن لنفسها حياة متعة ورخاء. وبالرغم من كونه متيَّماً بها، لم يكن هربرت يريد الزواج بها.

فقـــبل كـــل شيء، لم يكن مستعداً للزواج. وإضافةً إلى ذلك، وبالرغم من كونها فتاة مرِحة في أثناء الحفلات، لم يكن يتخيّل أنها المرأة التي سيستقر معها وينجب منها الأطفال.

ومـــع ذلـــك، لم يكـــن يبدو أنه يجد الشجاعة للنظر في عينيها وإخبارها بذلك، فقرر التواري عن الأنظار. كانت طريقة جَبانة، ولكنه اعتقد أن غيابه قد يشفي رغبة ليزا في الحصول على السعادة الزوجية - معه على الأقل - ويستمر في حياته كعازب.

وهكذا، قال لها إن عليه الذهاب إلى هافانا في عمل، وأعدّ كميّة من البطاقات البريدية المكتوبة مُسبَقاً ليرسلها إليها من كوبا طوال ستة أشهر، مفصِّلاً لها ظروف العمل التي تزداد تعقيداً وتحول دون عودته.

كـــان هربرت يعتزم العودة إلى نيويورك بالطبع، وأمل أن تكون ليزا قد تخلت عنه بعد انتهاء الأشهر الستة ووجدت رجلاً آخر.

وهكذا وجد نفسه إلى مائدة القبطان، وما إن جلس بجانب مني وجاين حتى شعر بوقوعه في حب جاين بشكل جنوني، يائس، تام، وأبدي...

كانـــت ذات جمـــال لا يقاوم، و لم تكن تتباهى بذلك كما يبدو بالرغم من إدراكها مدى جمالها. فولّد هذا الأمر شعوراً بالثقة والارتياح في نفـــس هربرت أدى إلى انجذابه إليها. وفي أثناء العشاء، عرف سنّها وأدرك أنها صغيرة جداً للمغازلة. وفي وقت لاحق، أبدى اهتماماً أكبر بمنى بسبب عمرها الملائم، وكانت مفتونة بجاذبيته.

عـــندما رســـت الـــسفينة في هافانـــا، جاب الشبّان والشابات الـــشوارع، وزاروا شـــواطئ العاصمة الحارة والرطبة ونواديها الليلية. وتدبّر هربرت أمر مرافقة الشقيقتَين في جولات عبر شوارع المدينة على متن عربة يجرّها حصان. فاصطحبهما إلى عروض ترفيهية، واستضافهما علـــى العشاء، واشترى لهما زهوراً وهدايا. لقد كانوا ثلاثياً لا يفترق طـــوال فترة إقامتهم، واستعادوا مقاعدهم إلى طاولة القبطان في رحلة العودة، وجلس هربرت بثقة بين الشقيقتين متودّداً إلى منى.

بعـــد عـــودتهما، ابتهجت عائلة لفكوفيتش بقصص ابنتَيهما عن متقدّم محتمَل للزواج بمنى. وكان الأمر بمثابة صدمة للعائلة عندما زارها هربرت وطلب الإذن للتودّد إلى جاين.

لم تسامح غلاديس لفكوفيتش أو منى أبداً هربرت بسبب استبعاد مـــنى. وبعـــد ســـنوات، وعندما تزوجت منى ورُزقت بطفلَين، اعتُبر هربرت وغداً مفترياً استغلها للتقرب من شقيقتها الصغرى الجميلة.

وعندما غدت أكبر سناً، أصبحت جاين جميلة بشكل مذهل. وفي العام 1953، وبعدما أصبحت والدة، كانت وهربرت يتناولان العشاء

في فندق لا مامونيا في مراكش، المغرب. كان ونستون تشرشل جالساً إلى طاولــــة مجاورة و لم يتمكن من رفع أنظاره عنها. أخيراً، دعا جاين وهربرت إلى الانضمام إليه، وهي بادرة قام بها من دون عناء. وبالرغم من نشأتها البسيطة، شعرت بالراحة بين أشخاص من مختلف المستويات الاجتماعية.

كانـــت تتمتع بروح لطيفة، وبتعاطف تخاطري غير معهود مكّنها مـــن منح الناس أيّاً كانوا شعوراً بالاطمئنان. هذا ما كانت عليه حال رجـــل الدولة الأكبر سناً. فتحدثا كما لو أنهما يعرفان بعضهما بعضاً منذ سنوات، في حين أسند هربرت ظهره إلى الكرسي متفاخراً.

* * *

انتهـــى كل شيء بالنسبة إلى جاين في 16 حزيران/يونيو 1963 عـــند الـــساعة الـــرابعة واثنتين وعشرين دقيقة بعد الظهر على طريق ســـليبـــي هولو درايف في سليبـــي هولو، نيويورك، على بُعد عشرين ميلاً تقريباً من شمال مدينة نيويورك.

كانت تُقلّ لويس لشراء مرطّبات للحفلة التي ستقام بمناسبة تخرّج مـــاكس مـــن الصف الثامن، وقد اختير لإلقاء كلمة الوداع للطلاب وأهالـــيهم في الـــيوم التالي. وبما أن طلاب الصفوف العليا والدنيا في مدرســـة هاكلي الخاصة سيكونون حاضرين، فقد كان من المتوقع أن يكـــون هـــناك مئات الأشخاص. وشعرت جاين أنه يُفترض بها القيام ببادرة للإقرار بنجاح ماكس الأكاديمي المدهش.

كـــان مـــاكس في المنـــــزل يُعدّ كلمته. فأوقفت جاين سيارة الستايشن البيضاء عند إشارة المرور حيث تتقاطع ثلاثة طرقات. ودنت منها سيارة شيفي بنّية اللون تقودها السيدة أليسون برودستريت.

كانت جاين تملك حق المرور، ولكنها ترددت.

وبدلاً من التوقف تماماً، أخطأت السيدة برودستريت بين دواسة الوقـود ودواسة المِكبح، فانطلقت السيارة بقوة وبلغت سرعتها أربعين ميلاً في الساعة، لم تكن سريعة بما يكفي، والحمد لله، لقتل جاين ولويس، بل لقذف لويس خارج السيارة وإصابة والدته بجروح في الرأس والوجه.

فنُقلا إلى المستشفى على عجَل، وتطلب الأمر ثلاثاً وأربعين قطبة لإغلاق الجرح فوق عين جاين اليسرى. ووفقاً للأطباء، أدى الحادث أيضاً إلى ارتجاج في الدماغ.

وأكمل ماكس استعداداته وألقى كلمته في اليوم التالي، كما هو مخطَّط، في احتفال التخرّج في مدرسة هاكلي. كان شقيقه لويس، الذي لم يصب بأي أذى في الحادث، الفرد الوحيد الحاضر من العائلة لأنه طالب في هاكلي أيضاً ويتعيّن عليه الحضور.

أما هربرت فاختار البقاء قرب جاين التي عادت إلى المنزل بعد مدة قصيرة، وكانت لا تزال جميلة بنظر زوجها والآخرين كما في السابق، ولكن ليس بالنسبة إلى نفسها لسوء الحظ.

لقد أُصيبت جاين بخلل قليل الخطورة تمثّل بعجزها عن التحكم بأعصاب الجانب الأيسر من وجهها. واحتفظت بابتسامتها التي تغيّرت، ولم تكن قادرة على تجاهل هذا الشذوذ في وجهها. لم يسبق لها أبداً أن شعرت بالغرور، مستخفّةً بجمالها تقريباً. لقد أحسنت الحياة إليها، وأُنعم عليها بهربرت، وأبناء، ومنزل مريح، وأصدقاء، وفَيض من الأمور الأخرى.

كانت تشعر على الدوام بالرعاية، والحب، والعيش في حالة دائمة من النعمة. ولكن كل ذلك تلاشى بعد الحادث، وأصبحت يائسة وفقدت متعتها بالحياة.

بعـــد واحـــد وأربعين يوماً من الحادث، بدأت جاين تشكك في جدوى حياتها. لم يتحقق حلمها بإنكلترا، وهويّتها مرتبطة بشكل وثيق بهربـــرت الـــذي تحبه كثيراً، ولكن العيش في ظل هذا الرجل المقتدر والناجح منحها شعوراً بالدونيّة، وبدأت تشعر بامتعاض منه.

لقـــد فقـــدت كـــل ثقة بنفسها. لم يسبق لها أن كانت متديّنة، وانتابـــتها شـــكوك حيال وجود الله ولا سيما بعد الحادث. وبازدياد مـــشاعر الأســـف والخيبة في نفسها، بدأت بتدخين السجائر بإفراط واحتساء الشراب الروسي لتخدير ألمها.

* * *

كان هوارد غراي طبيبها الخاص، ويرتاد ابناه مدرسة هاكلي أيضاً، وغالـــباً مـــا يجتمع وزوجته، زيلدا، بهربرت وجاين في مناسبات اجتماعية ويتناولان العشاء معهما. وبما أن هذه الصداقة تعود إلى عدة سنوات، لقد بدا من الطبيعي أن يقوم هوارد بالاتصال بهربرت لتقديم النُّصح والمساعدة بعد عودة جاين من المستشفى وتشخيص إصابتها باكتئاب سريري.

في صغرها، كانت جاين تمضي أسبوعَين على شاطئ جرسي كل صيف، وتحب رحلات الاستجمام تلك، وتُجري الترتيبات على الدوام عـــندما كانت والدةً صغيرة السن لتمضية إجازات الصيف مع هربرت وابنَيهما في كايب كود، لونغ آيلند ساوند، أو حتى في كرْم مارتا، في أي مكـــان حيث يمكنها تمضية ساعات وهي تحدّق إلى الأمواج. وأيّاً يكن الوقت في النهار أو الليل، كان استغراق جاين في النظر إلى البحر بأصواته، وانتفاخه، واندفاع مياهه وتراجعها، وحركته المستمرة يأسرها ويجعلها في حالة من النعيم.

وهكـــذا، وعندما سمع بتشخيص الاكتئاب، نصح هوارد غراي جاين باستئجار كوخ لمدة شهر والاستمتاع بالمحيط.

فوافقت جاين شريطة عدم قيام أي شخص برؤيتها في هذه الحالة "المُعيبة" برأيها، لا سيّما وأنها مصابة بالاكتئاب وبأضرار في أعصاب وجهها تحول دون ابتسامها بالطريقة المعهودة.

لم تكن تريد استقبال أي زائر، ولا حتى ابنَيها، أو هربرت، أو عاملة التنظيفات. لقد أرادت الانفراد بنفسها تماماً من دون أن يقوم أحد بتفقّدها.

ولكن الطبيب غراي كان يتفقّدها من حين إلى آخر. وأشار إلى أنه وبالرغم من حاجة جاين إلى الراحة والبحر، فإن العُزلة التي أصرّت عليها غير مفيدة لها أبداً. وكان يقوم كل نهاية أسبوع بتفقّدها لتزويدها أيضاً بعقاقير مسكّنة للألم وبأقراص منوِّمة.

لقد أقام في البدء في موتيل على الشاطئ في الجوار، ولكنه عمد في ما بعد إلى تمضية أمسيات السبت في الكوخ، واصطحاب جاين لتناول الطعام في الخارج والسير معها على الشاطئ. وبدأ يحثها شيئاً فشيئاً على التفاعل مجدداً مع الناس، ممكّناً إياها من الشعور بأنها لا تزال جميلة وجديرة بالحب الذي ملأ حياتها على الدوام.

وحدث المحتوم، ووقع هوارد في حب جاين. وأزهر الحب حالة تلقائية من الإثارة لم يتمكن أي منهما من مقاومتها، ولم يرغبا في مقاومتها. لم يكن هربرت سعيداً في زواجه، ولكنه لم يكن من أولئك الذين يقيمون علاقات غرامية أو يسيئون إلى قدسية العلاقة بين الطبيب والمريض، وذلك بسبب ابنَيه ومسؤولياته العائلية.

وبرّر ما يقومان به على أنه تصرّف شفائي، طريقة لإعادة التأكيد لجاين بطريقة تنطوي على أكبر قدر من الحميمية أن الحادث لم ينتقص من جمالها. كانت لا تزال امرأة مثيرة وبحاجة إلى الطمأنة وإزالة مخاوفها، لا بل إلى حب رجل آخر أيضاً غير هربرت، وهو الرجل

الوحيد الذي أقامت معه علاقة حميمة. كان هوارد مستعداً للتخلي عن زوجته وابنَيه نزولاً عند رغبة جاين، ولكنها أبت ذلك. فحبها لهربرت وابنَيها لم يضعف.

ولكن حب جاين لنفسها ضعف. وانتهت علاقتها الغرامية بهوارد مع انتهاء الصيف. صيف هندي حارّ ورطب امتد بين شهر أيلول/سبتمبر وأواسط تشرين الأول/أكتوبر. لقد شُفيت إلى حدٍّ ما وعادت إلى الحياة الطبيعية بالرغم من أن الحياة لم تعُد أبداً بالنسبة إليها كما كانت في السابق. لم تعُد تشعر أنها تنتمي كلّياً إلى عائلتها، وباتت هناك مسافة تفصلها عن ماكس بصفة خاصة.

لقد أدى تدخين السجائر، والإفراط في تناول الشراب، وفقدان العيش في حالة من النعمة، إلى تغيير جاين على نحو لاحظه الجميع، ولا سيما ماكس. لقد فُقد الرابط القوي الذي كان يتشاطره ووالدته، تاركاً في نفسه شعوراً بالوحدة.

* * *

عندما عادت والدتهما، علم ماكس ولويس حينذاك أن شيئاً ما تبدّل.

كانت والدتهما مقطّبة الحاجبَين، وتعتمر قبعات وتضع قفازات من مختلف الأشكال والأحجام، وترتدي كنزات صوفية غير ملائمة ولكن مُدفّئة ومليئة بالحب.

واستمر الطبيب غراي في زيارة عائلة دوف، وبدا ذكياً بالنسبة إلى الفتيَين، وتصدر منه باستمرار تعليقات سريعة البديهة. كان طبيبَ عائلة على معرفة وثيقة بالسجل الطبي لكل فرد من العائلة، ويُجري اتصالات بالمنزل في حين أن قليلاً من الأطباء يستمرون في القيام بذلك.

في التاسع عشر من شهر شباط/فبراير 1965، أُصيب ماكس بإنفلونزا خطرة مُرفَقة بأعراض رئوية جعلت من تنفّسه أمراً مؤلماً. كان قد تغيّب عن المدرسة لمدة ثلاثة أيام، ولكن الأعراض ازدادت سوءاً ولم تتحسن. لم يكن العصير والحساء وحبوب الدواء بمختلف أنواعها ذات فائدة.

"من الأفضل لكِ أن تصطحبيه إلى عيادتي". قال الطبيب غراي عندما اتصلت به جاين بعد ظهر ذلك اليوم المشؤوم. كانت الساعة الثانية وأربعاً وأربعين دقيقة تماماً عندما دخلت وماكس غرفة الانتظار التابعة لعيادة الطبيب.

وبدا الأمر كما لو أن حواسّ ماكس ازدادت قوة، فجلس هناك يراقب التفاصيل كافة؛ الصورة المعلّقة على الجدار لجورج واشنطن وهو يعبر نهر بوتوماك مع رجاله، مجلات *ناشيونال جيوغرافيك* بأغلفتها الصفراء الموضوعة على طاولة بنّية اللون، الكرسيّان الأخضران حيث يجلس مع والدته منذ ساعات كما بدا له الأمر ولكنها لم تكن سوى دقائق فقط، ولباس الممرضة إثيل الرسمي ببياضه الناصع والتي رحّبت بماكس بلطف في أثناء مرافقته إلى مكتب الطبيب.

وتطلب الأمر دقائق قليلة فقط لقيام الطبيب غراي بفحصه. فوضع السمّاعة على صدر ماكس وطلب منه أن يتنفس. فتنفّس ماكس مُصدراً صفيراً، وسعل بعد ذلك بسبب الألم.

وتفحّصت الممرضة إثيل حرارته وأعلنت أنها معتدلة.

فقرر الطبيب غراي إعطاء ماكس حقنة بنسلين مخصصة للمرضى الذين تظهر عليهم أعراض مماثلة. وشرح قائلاً إنَ من شأن هذه الحقنة القضاء على الإنفلونزا في غضون يومين على الأكثر، وطلب من ماكس بعد ذلك رفع كمّ قميصه.

كان ماكس يكره الحقن، ولكن الألم في حنجرته أتعبه فلم يتذمر من غرس الإبرة في ذراعه.

لقد شعر بوخز وألم، وقُضي الأمر بعد ذلك.

"اجلس هنا". قال الطبيب غراي لماكس وتابع: "سأعود بعد دقيقة".

لم يكن ماكس يملك أي فكرة عن مدة تغيّب الطبيب غراي، و لم يكن يعلم ما إذا كان الطبيب قد غادر غرفة الفحص نهائياً. فما تذكّره ماكس هو أنه دخل فجأةً في حالة من الغبطة.

لقـــد اختـــبر شعوراً وكأنه مخلوق نورانيّ بَحت يطفو مع كائنات نورانـــية أخـــرى في التوهج الأكثر إشراقاً الذي عرفه يوماً. كان جسده ينبض بمشاعر الحب، وكل نبضة تُضفي مزيداً من النور حوله وفي داخله.

ودخل في حالة من الغبطة التامة.

فجأةً، انبثقت مجموعة ألوان جميلة من النور البرّاق، وطفت حوله متذبذبة كما لو أنها أشياء قائمة بذاتها. وبازدياد ذبذبات الألوان حدة، رأى ماكس اسم شخص في كل من هذه الذبذبات. فعدّ اثني عشر لوناً واثني عشر اسماً لم يكن يعرف أيّاً منها.

ومـــن ثم، اختفت الأسماء والألوان بسرعة ظهورها، وعاد النور ناصـــع البـــياض. وشعر ماكس بأنه يعرف أصحاب هذه الأسماء منذ زمن، وشعر بهم يحيطونه بالحب، ويحيّيونه كما لو أنهم أصدقاء أعزّاء أو أنسباء يعودون إلى المنـــزل.

كـــان في حالة من الهدوء التام المغمور بالغبطة اللطيفة والمتذبذبة فـــرَحاً. حركة ناشطة من دون أي جُهد أو عائق من أي نوع، شعور بالذات بمعزل عن جسد مادي.

الفصل الثالث

ماكس والنورانية

1965

تحرك ماكس دوف بحماسة باتجاه نَفَق النور.

في أثـــناء ذلك، عكّرت سلسلة من الأصوات المرتفعة صَفو وعيه الطـــافي، وتحوّل انتباهه إلى رجل مفعم بمشاعر الانفعال والخوف. كان الرجل يتكلم بصوت مرتفع.

كان راكعاً، وكانت يداه مضغوطتين على جسد مُلقى على أرض غرفة صغيرة. فتساءل ماكس عن سبب استياء الرجل إلى هذه الدرجة، ثم أدرك أن الـــرجل طبـــيب منـــزعج بسبب عدم تجاوب الجسد مع كلماته أو محاولات إحيائه.

بعـــد ذلـــك، أدرك مـــاكس أن الجسد الملقى هناك ليس سوى جسده. وبشعوره بالانـــزعاج من حالة القلق التي تنتاب الطبيب، اتخذ قراراً واعياً بالعودة.

وهكذا، وبتصرف غير أناني وشجاع، غادر نَفق النور الذي وفّر لـــه ما بدا عالماً مألوفاً ومريحاً، وعاد إلى المأساة الإنسانية المتمثلة بكونه ماكس.

وباســـتعادة شـــكله الجسدي مجدداً، فتح عينَيه، وتراجع الخوف والذُّعر البادِيَين على وجه الطبيب غراي.

"ظننت أننا فقدناك". قال الطبيب غراي، و لم يكن يملك أي فكرة عن التضحية التي قام بها ماكس بسبب تعاطفه مع الطبيب.

ولكن الألم الذي شعر به الطبيب لم يكن الأمر الوحيد الذي حث ماكس. كان مدفوعاً أكثر من أي وقت مضى بأمر أكبر، رسالة أكثر أهمية... تتطلب منه أن لا يكون في حالة النورانية سابقة الذكر.

كان ماكس لا يزال يشعر بالمرض، ومذهولاً بسبب اختبار حالة النورانـــية. وبقـــي في العيادة ساعتَين إضافيتَين تحت المراقبة، ولازمته جاين.

"يـــا أمي، لا فكرة لديك عن مدى جمال الحالة التي نكون فيها خــــارج جسدنا". قال لها وتابع: "كانت هناك تلك الكائنات النورانية المليئة بالحب".

"أستطيع أن أتخيّل ما الذي مررتَ به". أجابت جاين، وضمّته إلى صدرها وقالت: "يبدو الأمر مماثلاً إلى حدٍّ ما لما أشعر به عندما أحدّق إلى موجات المحيط حيث أتخيّل أن كل موجة هي قوة حب وحياة.

"ولكن أخبرني المزيد عن هذه الأسماء الاثني عشر التي رأيتها".

"حسناً، كانت أسماء لم أرَها من قَبل، وبدا لي بعضها بلغات أجنبية. والاسم الوحيد الذي أتذكره هو الأخير، وكان غريباً؛ الدب الراكض".

أضاف: "ولكل اسم لونه الخاص وذبذبته الخاصة، وعندما تندمج تـــشكّل قوس قزح كاملاً وسيمفونية من الذبذبات. كان الأمر غريباً جداً ورائعاً".

"هـــل تعتقدين أنه كان من المفترض بـــي تذكّر الأسماء؟". سأل مـــاكس، وشعر فجأة بالقلق من إمكانية إغفال فرصة كبيرة لاكتساب المعرفة.

فطمأنته جاين.

"قد لا تكون ذات أهمية على الإطلاق، وحتى وإن كانت كذلك، فلا معنى للسماح لها بالتسبب لك بالألم. عِش حياتك فقط وراقب ما الـــذي يتكـــشّف لك". وتوقفت قليلاً ونظَرت إلى عينَيه قائلة: "العالم واسع وشاسع وغريب، ولن تفهم أبداً كل ما يحدث".

وطـــبعت قبلة على جبين ماكس، ومن ثم عانقته، وانتظرت قرار الطبيب غراي بأنه بات من الآمن له العودة إلى المنـــزل.

* * *

بعـــد اقتناع الطبيب من أن حالة ماكس لن تتكرر، غادر ماكس العيادة.

فأخذ بنصيحة والدته وأكمل حياته، واستمر في التألق في الميدان الرياضي في المدرسة، مكتسباً مهارات قيادية بارزة في النشاطات كافة، ومتفوّقاً على الصعيد الأكاديمي، ولا سيما في الرياضيات.

ومن جهة أخرى، كان يحقق إنجازاته من دون عناء لدرجة أنه بدأ بالـــبحث عـــن تحديات إضافية. وواضعاً هذا الأمر نُصب عينَيه، تقدّم بطلب الانتساب إلى برنامج "عام دراسي في الخارج" لدراسة الإسبانية. لقـــد فتنه ذلك البلد منذ أمد طويل، ويعود سبب ذلك جزئياً إلى تأثّره بمدرّسه الإسباني فرناندو إغليزياس.

فالـــسِّنيور إغليزياس، كما طلب من طلابه أن يدعوه، هو الرجل الـــذي كان غدوّه مدرِّساً أمراً بعيد الاحتمال، ناهيك عن طريقته في الإيحـــاء للطلاب. إنه الابن الأصغر للعائلة التي تحتل المرتبة الخامسة في الثـــراء في كوبا. فعائلة إغليزياس تدير سياسة البلد إلى جانب العائلات الكـــبيرة الخمـــس الأخرى، وتملك مطاحن السكّر، وسكك الحديد، والـــنوادي الليلية، وكل ما هو جدير بأن يتم امتلاكه. كان يقوم على خدمـــة فرناندو بشكل متواصل خدّامٌ يتمتعون بالرزانة والمهارة، وقد

برع في تنظيم الحفلات بطريقة لا يفهمها إلا كوبيّ حقيقي برأيه. نوع مختلف من *الكرنفالات* البرازيلية يتصف بحماسة كبيرة، وحب الجمال، وتقدير الفن الراقي.

لقد ارتاد فرناندو كلية الحقوق بالرغم من عدم حاجته إلى ذلك لأنها اعتُبرت مهنة محترَمة يتعيّن عليه مزاولتها بانتظار أن يرث ثروة. ومن جهة أخرى، فقد كان مثالياً ويريد رؤية تحقيق الإصلاح، لا سيما الإطاحة بفولجنسيو باتيستا، حاكم كوبا الدكتاتوري والقمعي. وعندما كان طالباً، قدّم تمويلاً كبيراً إلى إيديولوجيّ شاب يدعى فيديل كاسترو. ولم يدرك فرناندو أنه دعم دكتاتوراً توتاليتارياً مماثلاً لباتيستا حتى بعد تسلّمه مقاليد الحكم.

وعندما بات فرناندو مستعداً للفرار من كوبا، لم يُسمح له إلا بأخذ خمسمئة دولار معه فقط وحقيبة ملابس حملها على ظهره.

وهبط في ميامي، وحصل على وظيفة نادل يقدّم المشروبات الغازية والمرطبات في مطعم هوارد جونسون. كان طليق اللسان بالإنكليزية، واستناداً إلى خلفيته الثقافية، تقدّم بطلب لتدريس اللغة الإسبانية في مدارس خاصة متنوعة على الساحل الشرقي. لقد مكّنته نشأته في الطبقة الاجتماعية العليا من تلبية متطلبات مدرسة هاكلي في تاريتاون، نيويورك. وهكذا، وجد نفسه عام 1964 يدرّس الإسبانية للصف التاسع في هذه المدرسة الخاصة النهارية والداخلية التي تستقبل الفتيان فقط.

* * *

لم يكن السِّنيور إغليزياس يتمتع بخبرة التدريس، ولكنه يمتلك معرفة وافرة بالحياة في حضارته اللاتينية. نتيجةً لذلك، وجد ماكس أن طرائقه التعليمية غير مألوفة بل مثيرة على الدوام. لقد تلخّصت فلسفته

بـــأن لا شيء مستحيل، فاصطحب طلابه إلى مدينة نيويورك لحضور حفـــلات مـــع منفيين كوبيين آخرين حيث فتح الشبان عيونهم واسعاً إعجاباً بأنواع الطعام الأجنبـــي، والموسيقى المثيرة، والنساء الجميلات.

وعـــندما فُـــتح الجناح الإسباني عام 1964 في المعرض العالمي في كوينـــز، نيويورك، نظّم السِّنيور إغليزياس رحلة للصف بأكمله شملت لقـــاء راقـــصات الفلامينغو الغجريات وراء الكواليس. وشعر ماكس بالذهـــول لأن هذا المدرّس البسيط الذي لا مال لديه عملياً، تمكّن من العثور على هذا الفرح والإثارة في حياته اليومية.

كـــان حب فرناندو لثقافته الأم مُعدياً تماماً، وسرعان ما اكتسب مـــاكس محـــبة عميقة لكل الأشياء الإسبانية، بما في ذلك قصص عن حضارتَي الإينكا والمايا وكيف أن الفاتحين الإسبان تغلّبوا بسرعة على تيـــنك الحضارتَين المتطورتَين جداً بسرعة ومن بدون عناء كما يبدو. وهكـــذا، وفي 9 أيلول/سبتمبر 1966، وفي سنّ السادسة عشرة، انطلق ماكس المليء بالحماسة والعجَب في رحلة بحرية مع مجموعة من الطلاب على متن سفينة يو أس أس *أوريليا* إلى ساوثامبتن، إنكلترا، في طريقهم إلى برشلونة، عازمين على تعلّم المزيد عن الثقافة التي أنتجت كورتيس وبيزارو.

ولدى وصوله، أُلحق بعائلة سيغوفيا المؤلفة من سيّدة العائلة، أرملة ســـيغوفيا، وابنَيها وابنتها، وخادمتهم وطاهيتهم، جوليتا، التي انضمت إلى العائلة منذ ولادة الابن البكر أليخاندرو.

كـــان أليخاندرو فتى حفلات وسيماً على نحو استثنائي في الثامنة والعـــشرين مـــن العمر، ويخادن عارضات الأزياء والفنانين، بمن فيهم ســـالفادور دالي. كـــان مهندســـاً معمارياً غير ناجح جداً، ويتجادل باستمرار مع والدته بشأن المال وإنجازاته المهنية المغمورة.

كان الابن الثاني، روبرتو، في الرابعة والعشرين من عمره ويدرس أيـــضاً الهندسة المعمارية. هو لا يمتاز بطلعة أليخاندرو البهية بل بوجه لطيف، وجسم ممتلئ. لقد خطب حبيبته في المدرسة الثانوية، كريستينا، في أثناء إقامة ماكس مع العائلة، وكانت أطول من روبرتو وأكثر نحولاً مـــنه، وقـــد شـــكّلا ثنائياً ترفيهياً، إضافةً إلى كونهما بارعَين وذكيَّين ولطيفَين.

أمـــضى مـــاكس كـــثيراً مـــن الوقت مع روبرتو يلعبان الورق ويتناقـــشان في أمـــور الطعام، والموسيقى، والهندسة المعمارية. وبما أن روبـــرتو يحـــب تـــناول الطعام، فقد عرّف ماكس إلى مجموعة كبيرة ومتنوّعة من الأطعمة الإسبانية والكاتالونية والباسكية اللذيذة.

ومـــن جهة أخرى، أمضى ماكس معظم وقته مع الابنة الأصغر ســـنّاً، إميليا، البالغة من العمر عشرين عاماً والأقرب إلى سنّه. كانت تدرس الأدب في جامعة برشلونة، ويتحدثان لساعات عن كبار المؤلّفين والـــشعراء في العالم، ويغامران بالغوص في موضوعات فلسفية. كانت إميلـــيا شـــقيقة حقيقـــية لمـــاكس، ولم تُطرح أبداً فكرة إقامة علاقة رومانسية. في الواقع، كان لديها صديق شديد الثراء، كويتانو، يقيم في مدريد ويقوم بزيارة أسبوعية للعائلة ويدعو إميليا وماكس إلى المسرح، والباليه، والمطاعم الممتازة، والحفلات الموسيقية.

ولكن السِّنيورة، أرملة سيغوفيا، كانت الوجه الأبرز في العائلة.

لقد أنشأ زوجها مؤسسة ناجحة جداً في ميدان التأمين الطبـــي، ولكـــنه توفّي باكراً تاركاً لها ثلاثة أولاد تتراوح أعمارهم بين أربعة وثمانـــية أعوام. وفي العام 1956، لم تكن إسبانيا تمنح النساء حقوقاً مُساوية للرجال، وكانت القليلات - إذا وُجدنَ - يمتلكنَ مؤسسات تجاريـــة. وبمـــا أن القانون الإسباني يمنع النساء العازبات من امتلاك

مؤسسات تجارية، فقد احتفظت السِّنيورة باسمها الرسمي أرملة سيغوفيا.

كانت متعهدة أعمال بالفطرة. فبالإضافة إلى إدارة شؤون شركة التأمين، اشترت غسالات كهربائية للعموم، وعدداً من المتاجر العامة الصغيرة، ومنزلاً على الشاطئ لتمضية إجازات نهاية الأسبوع في كوستا برافا، الشاطئ الإسباني شمال برشلونة. كانت تعتقد بشدة بالعمل الشاق، وطبعت مناقبية العمل هذه في ذهن روبرتو وإميليا، ولكن ليس في ذهن أليخاندرو الذي كان أكثر انجذاباً إلى فتنة عالم الفن.

كانت أرملة سيغوفيا قوية في مختلف الأمور التي كانت والدة ماكس، جاين، ضعيفة فيها. وهي لم تكن جميلة، بل تملك طاقة لامتناهية وذوقاً جمالياً ممتازاً.

أما الخادمة والطاهية جوليتا فكانت بمثابة الوالدة الثانية للابنين والابنة. إنها متحدرة من عائلة فقيرة في قرية أراغون الريفية الصغيرة، وبدأت العمل لدى العائلة في سنّ السادسة عشرة فقط، وكانت في أواخر العقد الخامس من عمرها عندما قَدِم ماكس للإقامة معهم. كانت تصطحب ماكس دائماً للتسوّق في سوق الهواء الطَّلق، وتعلّمه كيفية اختيار الخضار الطازجة والدجاج الحيّ الصالح لإعداد أفضل وجبة.

"هذا الفتى المقيم لدى السِّنيورة أشد ذكاءً من الشرير!". كانت تقول بفخر لكل من يرغب في الإصغاء إليها، مستمتعةً كما يبدو بكون هذا الشاب الأميركي في عُهدتها، مما يحمل ماكس على الابتسام.

* * *

في الأشـــهر التـــسعة التي أمضاها في برشلونة، تعلّم ماكس تكلّم الإســـبانية بلكـــنة مماثلـــة للكنة أي مواطن كاتالوني. لقد شعر برابط بالـــشعب الإســـباني من القلب إلى القلب، وهو أمر لم يكن في إمكانه الـــشعور بـــه أبداً عندما يتكلم الإنكليزية، التي بقيت بالنسبة إليه على الـــدوام لغـــة المـــنطق والجمباز الفكري، ولكن ليست لغة العواطف العميقة.

لقـــد سافر إلى كل مدينة رئيسة في إسبانيا، وبات خبيراً بشؤون المهـــندس المعمـــاري البرشـــلوني أنتوني غودي، وزار مكان ولادة إل غـــريكو، ودُهش بإنشاء لا ألهامبرا في غرانادا، وتناول إوزّات قطبية في غاليـــشيا، وجـــاب شوارع سالامانكا القديمة مسقط رأس أونامونو، وأصبح أكثر افتتاناً بالثقافة الإسبانية وحبها للحياة، وحماستها الشديدة، وانفعالاتها. لقد بدا كل شيء مألوفاً بالنسبة إليه، وشعر كما لو أنه في وطنه.

كـــان على ثقة تامة أنه المكان الذي ينتمي إليه. لقد تعلّم ماكس في إسبانيا العيش من دون خوف حيث يمكنه التجوّل في أي مكان من المدينة، وفي أي ساعة من النهار أو الليل، بأمان تام. كان فرانكو يحكم بقبـــضة حديديـــة، حتى إن المنطقة الخطرة لم تكن تشهد حدوث أي جـــرائم باستثناء البغاء المنظَّم إلى حدٍّ ما، ووجود متاجر للسلع الخاصة بالحميمية عند كل زاوية، وغرف للنـــزلاء منخفضة التكلفة فوق كل مشرب.

وبالـــرغم من إنهاء ماكس سنّ السادسة عشرة في ذلك الشتاء، كـــان لا يـــزال يبدو وكأنه في الرابعة عشرة من عمره، حتى إن البغايا ظننَّ أنه صغير السنّ جداً لتتمكّنّ من لمسه. ذات ليلة، قرر مع ثلاثة من أصـــدقائه أن الوقت قد حان لإقامة علاقة. فنجح أصدقاؤه، وسمحوا

لأنفسهم بالإصابة بأمراضٍ مُعدية ليُثبتوا للآخرين ما قاموا به بالرغم من استخدام الواقيات. ولكن البغايا رفضنَ إقامة علاقة مع ماكس بسبب مظهره، وكان سعيداً بذلك.

كـــان ماكس ينام جيداً في منـــزل أرملة سيغوفيا ويرى أحلاماً ســـارّة، باستثناء إحدى الليالي عندما احتسى كمية كبيرة من الشراب بعـــد مباراة في البيسبول. فبعد عامَين من الإخفاقات المتتالية، فاز فريقه الإســـباني في مباراة ضد خصمه الرئيس بسبب قدرة ماكس العظيمة. وأصرّ كل فرد من الفريق المؤلف من عشرة رجال على شراء جرعة من الشراب للفريق بأكمله، مما أدى إلى تناول كل منهم عشر جرعات في غضون ساعتَين.

في تلـــك الليلة، حلم ماكس أنه يقاتل مجموعة متدفقة من التنانين النافـــثة للنار. كان يحمل سيفاً وقد تمكّن من قتل كل التنانين في أثناء اقترابها منه. ولكن، كان هناك دفق لا ينضب من المخلوقات.

وبعـــد قـــتل ما بدا أنه مئة تنّين - هذا إن لم تكن آلافاً - نظر ماكس إلى السماء وسمع صوتاً عالياً يسأله:

"هل تريد التوقف عن قتال التنانين؟".

"أجل. الأمر مُنهك وأشعر بالإرهاق". اعترف ماكس.

"حسناً، يمكنك التوقف متى شئت".

"ولكن إذا توقفتُ، فستستمر التنانين في القدوم فتدمّر العالم".

"أنـــت تفكـــر بطريقة صحيحة". أقرّ الصوت باللغة الإسبانية. "ولكنك لن تتمكن أبداً من هَزم كل التنانين لأن عددها لامتناهٍ".

"هل أنت واثق من رغبتك في مواصلة قتالها؟". سأل الصوت.

فهزّ ماكس كتفَيه ببساطة وعاود قتل التنانين.

واستيقظ بعد ذلك.

لقد قيل لماكس إن عليه أن يعلم أنه ماهر بالإسبانية عندما تكون أحلامه باللغة الإسبانية. وبما أن ماكس لا يتذكر أحلامه أبداً، فقد كان اختباراً سارًّا وغير عادي.

ويـــشير ذلك أيضاً إلى أنه حقق هدفه الرئيس من تعلّم الإسبانية قـــبل العـــودة مجدداً للتغلّب على أي تنانين قد تكون بانتظاره في أثناء استعداده لإكمال دراسته وتهيئة نفسه للكلّية وسنّ الرشد.

الفصل الرابع

"فهم الفهم"

1968

ارتـــاد ماكس أكاديمية فيليبس أندوفر في عام التخرج، وأتمّه من دون تحقـــيق أي تفــوّق، لا سيما في ما يتعلق بنشاطاته خارج المنهج الدراســـي. لقد ركّز بدلاً من ذلك على دروسه، وعلى التطبيقات في الكلّية، وزيادة معرفته بشؤون الحب.

كـــان يواجه صعوبة في دخول أي كلّية يختارها، وبعد تلقّي عدد من رسائل القبول، قرّر ارتياد يال.

في غـــضون ذلـــك، طوّر ماكس علاقة جميلة وصامتة مع ليزي الـــبالغة من العمر خمسة عشر عاماً والتي التقى بها في حفلة راقصة في نـــادٍ ريفـــي في سليبـــي هولو. لقد رقص ماكس في ذلك المساء مع العديـــد من الشابات النشيطات اللواتي يرتدين ملابس برّاقة، ولكن ليـــزي كانـــت مخـــتلفة. وعندما سألها عن كتابها المفضّل، أجابت: "*كاندي*". وهي رواية جريئة كانت على لوائح الكتب الأكثر رواجاً في ذلك الوقت.

لقـــد أثـــارت تلك الشابة اهتمامه بسبب جرأتها، ووجد نفسه مـــنجذباً إلى عينَـــيها الصوفيتَين، وجسدها الناعم الأُنثوي، وابتسامتها الفاتنة. وقبل انتهاء المساء، قرر السعي وراءها.

كانت تقيم على مسافة قريبة من منزله، ولكن لقاءاتهما اقتصرت على الإجازات المدرسية لأنه كان موجوداً في أندوفر معظم الوقت. وبالرغم من ذلك، نشأت بينهما علاقة غرامية.

فقد كانا يقومان بنزهات طويلة سَيراً على الأقدام، أو يذهبان إلى غرفة نوم ماكس الموجودة فوق المرأب والتي تمتاز بمدخل منفصل، وتؤمّن خلوة تامّة.

واعتبر علاقته بليزي "صامتة" لأنهما نادراً ما كانا يتحدثان عندما يكونان بمفردهما. كانا يقبّلان بعضهما بعضاً، ويحدّقان إلى عينَي أحدهما الآخر لأكثر من خمس ساعات متواصلة. ولكنهما كانا بتولَين و لم يكن أي منهما مستعداً لاستكشاف المستوى التالي من الخصوصية بسرعة كبيرة.

استمرت هذه المغازلة بعيدة المدى طوال عام التخرّج الذي أمضاه ماكس في أندوفر. وبعد ذلك، وفي الصيف السابق لذهابه إلى يال، استمتع كلاهما بزيارة قاما بها إلى مدينة نيويورك في نهاية الأسبوع، وأقاما في شقة والده الفارغة في الشارع الثامن عشر وارفين بلايس قبالة بيتس تافرن. عندئذٍ، قرر ماكس وليزي استكشاف الخصوصية الجسدية النهائية من خلال حب جارف مشحون بالعواطف.

وعندما بدأا بالحميمية لم يتوقفا أبداً. كانت أغنية البيتلز في ذلك اليوم: "لماذا لا نقوم بالأمر على الطريق؟". وبالطبع، هذا ما قامت به ليزي وماكس هناك، وفي كل مكان تقريباً.

بعد دخول ماكس يال في أيلول/سبتمبر التالي، بات من الصعب عليه رؤية ليزي، ولكنه كان يراسلها بانتظام. أما هي، فلم تكن مثابرة على غراره في توجيه رسائل جوابية، و لم يكن يُدرك أنها لم تعُد مهتمة لأمره.

كانت لا تزال في السادسة عشرة من عمرها فقط وترتاد المدرسة الثانوية، ولم يكن وجود صديق لها في الكلّية يعني أي شيء لها. فكتبت لماكس رسالة وداع تلقّاها في 12 كانون الأول/ديسمبر 1968، تاريخ مولده التاسع عشر.

وشـعر ماكس بصدمة عندما تلقى الرسالة، ودخل في حالة من اليأس المطلَق.

وازدادت كآبـته لأنـه لم يتمكن من التكيّف في يال. لم يكن وجوده في مبنى سكني للطلاب قائم عند جادة الكلّية أمراً ممتعاً بسبب قـيام الشاحنات بتبديل جهاز نقل الحركة طوال الليل، فتوقظه أو تمنعه مـن النوم. ولم يكن وجود صديقته بعيداً عنه، وصفوف تحتوي على سـتمئة طالـب وأستاذ لا يعرفون أسماء بعضهم بعضاً، أمرين ممتعين كذلك.

وكونه يتخصص في الرياضيات، لم يكن يعجبه حضور الصفوف الدراسية حيث يقوم أستاذ رياضيات أسترالي باستخدام مجموعة رموز رياضـية مختلفة عن تلك التي تعلّمها في المدرسة الثانوية. وفي عالم قلبته حـرب فييتنام رأساً على عقب، وانتشرت فيه المخدرات الترفيهية بين زملائه الطلاب، لا بل بين الأساتذة أيضاً، تساءل عن سبب تخصصه في الرياضيات.

لم تكن دراساته الأخرى توفر له العزاء. لقد درس بياجيه، وعلم أنه وفقاً لمراحل التطور التي مرّ بها هذا الأخير، يستحيل على فتى صغير اعتماد مفاهيم نظرية وتفحّصها. لقد شعر بالإحباط لأنه لم يتمكن من صرف النظر عن حقيقة رؤاه وخبراته في سنّ الطفولة.

وحدث بعد ذلك الاضطراب السياسي؛ اغتيال الشقيقين كنيدي، وكِنت ستيت، وأبـي هوفمن، ومارتن لوثر كينغ أخيراً. ووسط هذه

الفوضى العارمة، أُزيلت مرساته العاطفية الهامة الوحيدة و لم يتمكن من التعاطي مع الأمور.

* * *

في خـــريف ذلك العام، انتقل هربرت وجاين من سكارسدايل، نـــيويورك، إلى غرينويتش، كونكتيكت، ليكونا أقرب إلى ماكس، في الواقع على بُعد خمس وأربعين دقيقة فقط من يال بالسيارة.

كانت كلمة "الاندماج" هي الكلمة الشائعة، وقد سعت ليتون إنداســتريز إلى تملّــق هربــرت، وهي إحدى الشركات الكبيرة التي قررت ضمّ دور نشر أخرى إليها في مؤسسة إعلامية كبيرة. وبدأت ليــتون بــشراء ناشرين أصغر حجماً، وتلقى هربرت عرضاً... تِلو الآخر.

وتتالت العروض التنافسية من شركات أخرى، وكانت الأسعار مــرتفعة. أخيراً، وجد أحد الشارين طريقة لإنهاء مقاومة هربرت. لقد وعــدت برفكت فيلم، وهي شركة صور فَورية، بتعيين هربرت رئيساً لقــسم النــشر، ويكون في إمكانه استخدام أموال برفكت فيلم لشراء شركات نشر *أخرى*.

لم يكــن هربرت راغباً في الواقع في بيع شركة النشر التابعة له، ولكــنه أحــب كــثيراً فكرة إدارة مؤسسة أكبر حجماً، لذلك شرع بالاســتعدادات. وتــضمّنت الــصفقة الانتقال من ولاية نيويورك إلى كونكتيكت حيث كانت الضريبة على الأرباح الرئيسة في العام 1968 أكثر انخفاضاً، ولا تفرض الولاية ضريبة على الدخل.

* * *

وهكذا، وعندما عاد ماكس إلى "المنــزل" في الكريسمس، لم تعد غرفته فوق المرأب وفقد كل أساس عاطفي. كانت جاين ثملة في أغلب

الأحـــيان أو نائمـــة، ولم يكن هربرت يلتقي بماكس إلا نادراً بسبب التركيز على البيع المحتمَل لشركته.

لقد تم إهمال ماكس.

كـــان زمناً مضطرباً، وخشي شبان عديدون من تجنيدهم بالقُرعة وإرســـالهم إلى فيتـــنام حـــيث الوضع في تدهور مستمر. وبما أن رقم مـــاكس هو 321، فهو لم يكن معنياً بالقوات المسلحة، ولكنه لم يكن يجد سبباً لبقائه في يال.

"يـــا أمـــي، لا أدرك حقاً مغزى ذلك. المدرسون ليسوا بكفاءة أولئك الذين درست على أيديهم في أندوفر، أو في برنامج "*عام دراسي في الخـــارج*"، أو حـــتى في هاكلي". قال متذمّراً وأضاف: "لم أشاهد ســـوى ثلاثة أو أربعة أفلام سينمائية على الأكثر، وأمضي بقية الوقت شاعراً بالملل في أثناء الصفوف الدراسية".

"ابذل القليل من الجهد للتواصل مع مدرّسيك والطلاب الآخرين، وأنـــا على ثقة بأنك ستختبر أموراً أفضل". نصحته جاين. "أهم ما في الأمر هو عدم الاستسلام، تحصيلك العلمي هام جداً".

"ســـأبقى إذا كـــان ذلك يُسعدك". وأضاف: "ولكن الأمر يبدو مضيعة للوقت وهَدراً للمال".

"ثِق بـــي في هذا الأمر". قالت متوسّلة: "ستتمتع بمزيد من النفوذ في حياتك كبالغ إذا أدركت حقيقة الأمر وتخرّجت. وصدّقني، ستكون بحاجة إلى النفوذ".

وتابعـــت: "لـــذلك، عـــدني أنك ستبقى وتتخرج، رجاءً، يا ماكس".

فوعدها، رغبةً منه في عدم تخييب أملها.

* * *

من جهة أخرى، وبالرغم من شعوره بالعُزلة، كان لماكس أصدقاء في الكلّـــية، بمن فيهم أرشيبالد بنسن، الذي كان فرداً من المجموعة التي ذهبت إلى برشلونة، وكريس غارفي، وكارل بيكر.

وفي بداية إجازة الربيع التي تمتد عشرة أيام، اقترح كريس وكارل على ماكس تذوّق حلوياتهما اللذيذة المفرومة، فشعر أنه لن يخسر شيئاً إذا قام بذلك.

كان قسم كبير من طلاب يال في العام 1968 يتعاطون المخدرات بوصـــفه جـــزءاً من ثقافة الكلّية التي تقبّلت أيضاً التغييرات الجَذرية في الموسيقى والموضة.

فالتهم ماكس الجائع الحلويات اللذيذة، وبدلاً من شعوره بسعادة غامـــرة استسلم لنوم عميق، خلافاً لتوقعاته، دام لأربع وعشرين ساعة كاملة.

* * *

استيقظ ماكس ممتلئاً حيوية وزاخراً بأفكار جديدة. وطوال الأيام العشرة للإجازة، التهم كل الكتب المطلوبة لدورته الأكاديمية الدراسية الخامسة. و لم يشعر بالحاجة إلى النوم، بل كان يغفو لمدة عشرين دقيقة أو ساعة متواصلة فقط.

وعـــاد مـــاكس إلى حرَم يال، ووضع في الليلة السابقة لامتحان الفلـــسفة المـــسوّدة النهائية لبحث كان أستاذه روبرت فوكس، الذي يـــشاطره العديـــد من الميزات الجسدية، قد طلب منه إعداده. وكان الموضـــوع، "وفقـــاً لطرائق تفكير وايتهيد، اكتب بحثاً نقدياً عن نظام التعليم في يال".

كـــان ألفـــرد نورث وايتهيد يُعتبر المفكر الرائد عالمياً في شؤون الأنظمـــة، وقـــد شـــرح كيف أن المعرفة تكون قائمة ضمن حدود

وإمكانيات الأنظمة التي يتفاعل فيها البشر. وأدرك ماكس بسرعة أن قدرتنا المحدودة متأتّية من كوننا بشراً.

وأدرك أيضاً أنه لا يمكن بلوغ الفهم الحقيقي إلا عندما نكون بشراً *بالكامل*، ونسمح لمشاعرنا وانفعالاتنا بدخول عالم الاستقصاء العلمي التحليلي. فاستنتج أن أداء يال كان دون المستوى في هذا الإطار. لقد صنّفت الجامعة كل وجه من أوجه الموضوعات، وقسّمتها إلى اختصاصات، ويقوم المدرّسون والمحاضرون بالتحدث إلى بعضهم بعضاً من دون التحدث إلى أحد خارج النظام المُغلَق. كان الطلاب يتعلمون المزيد عن أمور متناقصة، ولا يقتربون من هدف وايتهيد المتمثل "بفهم الفهم"، ولا يبتعدون عنه في الواقع.

وبينما كان ماكس يستعد لكتابة البحث، أنهى قراءة *روح على الجليد* لإلدريدج كليفر، وهي رواية عن حركة الفهد الأسود وشعور السود بالغضب بسبب تعرّضهم للقمع نتيجةً لقيود النظام القضائي وعدم عدالته في الولايات المتحدة في النصف الأول من القرن العشرين. كان أسلوب كليفر لاذعاً لا بل عنيفاً أيضاً.

وبتأثره بهذا الأسلوب واعتباره فعالاً، كتب ماكس مقالته الفلسفية المؤلفة من ثماني عشرة صفحة بتعابير قوية، وضمّنها عناصر من حالته العاطفية، وتفاصيل عن عدم خلوده إلى النوم، ودخوله في حالة من اليأس، وكيفية ارتباط تلك العوامل بالاختراق الذي حققه في ميدان "فهم الفهم".

لقد وضع المقالة بعناية بعد اطّلاعه على هدف يال وممارساتها. وكان شعار الجامعة "النور والحقيقة" جيداً بتقديره، ويجاري انتقاد وايتهيد لأسلوب التعليم. واقترح وايتهيد أنه إذا كان في استطاعة أحدهم فهم الفهم، إذاً، يمكن فهم كل شيء.

وكونه عالماً في الرياضيات، كان ماكس يعتقد أن الطريقة الوحيدة لإتمام هذا الأمر تتمثل بالخروج من النظام البشري، وقد عبّر عن تلك النظرية في تقريره.

وأنهى التقرير بمعادلة "أيه مساوية وغير مساوية لأيه". على غرار المعادلة الأساسية التي تشرح كيفية النفاذ إلى ميدان "فهم الفهم" الفكري الذي لا يمكن النفاذ إليه. فالأمر مماثل لحَجَر الكيميائي العجيب الذي يحوّل الرصاص إلى ذهب، أو يحوّل أي جهل إلى معرفة.

كان وايتهيد يعتقد بشدّة بوجوب تركيز الطلاب والمدرسين في كل لحظة تعليمية على أفضل خبرة ممكنة للتعلّم. وهكذا، اعتبر ماكس أن أفضل خبرة يمكن لزملائه الطلاب اكتسابها تتمثل بقراءة ومناقشة بحثه الذي يعتبره اختراقاً.

وارتأى أولاً مناقشة أمر إرجاء الامتحان مع البروفسور فوكس الذي يرأس أيضاً قسم الفلسفة. وواضعاً ذلك نُصب عينَيه، وصل ماكس إلى قاعة الامتحانات باكراً، واجتاز المنصة الخشبية، ووقف بالقرب من المنبر قُبالة قاعة المحاضرات الكبيرة.

وبسبب أوجه الشبه بينه وبين مدرّسه؛ شعرٌ بنّي اللون مجعَّد وأشعث، نظارات، ومجموعة ملابس غير رسمية مؤلفة من سترة، وبنطال كلاسيكي، وقميص من دون ربطة عنُق، افترض العديد من الطلاب أن ماكس هو أستاذ فوكس. فطرح عليه طالبان أسئلة عن الامتحان، وطلب منهما ماكس بهدوء الجلوس في مقعديهما وعدم الشعور بأي قلق.

"قد لا يكون هناك امتحان نهائي". قال على نحو غامض.

ونتيجةً لذلك، سرت شائعة في القاعة عندما ظهر البروفسور فوكس قبل دقيقة أو دقيقتين من بدء الامتحان. وعندما نظر إليه

الطلاب مُربَكين، قام ماكس بتسليمه المقالة قائلاً: "أيه هي أيه وليست أيه".

"أمضيت الليل بأكمله أكتب هذه المقالة". شرح ماكس: "وأظن أنني بلغت الهدف النهائي لوايتهيد المتمثل بفهم الفهم".

وبينما كان الأستاذ يقلّب صفحات البحث، أضاف ماكس: "سيستفيد الصف من قراءة هذه المقالة أكثر من الخضوع لامتحان". قال مؤكداً.

فأصغى البروفسور فوكس إليه بهدوء وأجاب:

"ربما اختبرتَ في الواقع هذا الاختراق المدهش. ولكن لم يتسنَّ لي بعد قراءة هذه المقالة. وكما أنك توافق رأي وايتهيد بوجوب قيام كل فرد باتّباع ما يعتبره الوجهة المثلى للتعليم التربوي، يجب عليّ إجراء الامتحان".

وبالرغم من عدم تحقيق النتيجة المرجوّة، تلقى ماكس هذا النبأ بهدوء وأجاب:

"لقد فهمتُ. ربما في المرة القادمة. أردت فقط توفير الفرصة المناسبة لك".

"حسناً، لستَ بحاجة إلى إجراء الامتحان هذه المرة إذا لم تكن راغباً في القيام بذلك. لقد كتبتَ مقالة أطول من المطلوب، وبما أنك سهرت طوال الليل، كما قلتَ، لإنهائها، قد لا يكون الظرف مؤاتياً لك لإجراء الامتحان".

"لا، سأكون بخير". أجاب ماكس: "يمكنني إجراء الامتحان الآن، لستُ مُتعَباً إلى هذا الحد".

وبينما كان متوجهاً إلى مقعده، أدرك أنه يُفترض به تمضية وقته في التأمّل بفهم الفهم، انسجاماً مع طرائق التفكير وفقاً لوايتهيد، وعدم

تـــضييع وقـــته بالإجابة عن أسئلة حول سبينوزا، وكانت لا لشيء إلا للحصول فقط على علامة أيه تُحدث انطباعاً في نفوس الآخرين.

وهكذا، استدار ماكس نحو البروفسور فوكس وقال:

"أجل، أظن أنك مُحق. من الأفضل لي ربما عدم إجراء الامتحان في الوقت الحاضر. شكراً لك، يا سيدي".

وخرج من قاعة المحاضرات.

* * *

في أثـــناء مغادرتـــه المبنى، فكّر مليّاً في تفاصيل مقالته، وازدادت حماســـته. والتقى بأستاذ عِلم الاجتماع، أوجينيو رودريغيز. ومتحمّساً بـــشدة لمـــشاطرته قلقه حيال ما توصل إليه، قام ماكس بإيقافه وشرع بالتحدث إليه.

"لقـــد اكتـــشفتُ للـــتوّ طرائق التفكير وفقاً لوايتهيد، وكشفت النقاب عن سر فهم الفهم". قال بسرعة.

وأُثـــير اهتمام البروفسور رودريغيز بعد أن لفتت حماسة الشاب انتباهه، وتبنى دور محامي الشيطان.

"هـــل يوصلنا هذا الفهم إلى القمر، أو يسمح لنا بإيجاد حل لأيٍّ من المشاكل الاجتماعية الراهنة؟". سأل.

فتردد ماكس للحظة، وانطلاقاً من مستوى نظري معيّن يوحي أن أولئك الذين رفضوا التقيّد بالنظام البشري يستطيعون إنجاز أي شيء، أجاب مبتهجاً.

"أنـــا بحاجة إلى التفكير في الأمر قليلاً، ولكنني أعتقد أنه يتناول تلك المسائل إضافةً إلى مسائل أخرى!".

"إذاً، استمر في التفكير". أجاب البروفسور رودريغيز: "وأعلمني بما تتوصل إليه". وأكمل سيره إلى داخل المبنى.

وبعد شعوره بالفضول حيال اقتراح الأستاذ، قرر ماكس أن القيام بنــزهة على القدمين في هواء كانون الثاني/يناير المنعش سيساعده على غــربلة أفكاره. ومع صوت الدّوس على الثلج، بدأ يتأمل مختلف أنواع التطبــيقات "لأيه هي أيه وليست أيه" وما قد يعنيه "فهم الفهم" حقاً لكل بشري على الأرض.

قــد تكون هناك تطبيقات عملية. فقانون عدم إمكانية الاختراق المتمثل بعدم إمكانية تواجد شيئين في المكان نفسه وفي الوقت نفسه قد لا يكــون صــحيحاً على الدوام. ومن شأن هذا الأمر أن يبدّل طبيعة الفيــزياء، ويــسمح بتطوير تكنولوجيات جديدة يمكنها تخطي حدود ســرعة الــضوء، إضافةً إلى ثوابت أخرى في المعادلات، مما يؤدي إلى خطــوات كبيرة متقدمة في ميدان السفر في الفضاء واستيطان كواكب أخرى.

ومن شأن تحقيق "أيه هي أيه وليست أيه" أن يبدّل متغيرات كل مــنطق، والاســتنتاجات التي يمكن للنظرية المنطقية البَحتة أن توفرها، إضــافةً إلى المسلّمات التي ترتكز عليها الرياضيات العامة، مما يؤثّر في التحقيقات العلمية العسيرة كافة.

وبدأ عقلَ ماكس يحلل الاحتمالات كافة.

قد يكون الجواب عن السؤال المطروح حول وجودنا بالذات... وهدف حياتنا، قال في نفسه. *كلنا متصلون ببعضنا بعضاً وليس بشكل سطحي فقط.*

وفي أثــناء تأمّله هذه المفاهيم، دنا منه البروفسور فوكس الذي كان يبحث عن ماكس كما يبدو. فنظر الأستاذ إلى عينيه بإعجاب واضطراب.

"مقالتك مثيرة للإعجاب، يا ماكس، ولكنني لست واثقاً من أنني فهمــتها". قال: "لقد طلبت من غوردون هويل، المتخرج المسؤول عن

قسم الفلسفة، أن يأخذها ويلقي نظرة عليها. يريد أن يراك في مكتب العميد في أقرب وقت ممكن".

* * *

"لا معنى لهذا الأمر بالنسبة إليّ". قال غوردون هويل بوضوح. "لا أفهم نظريتك المطروحة على الإطلاق. تُعلن أن المشاعر يجب أن تكون بطـــريقة ما جزءاً من التحليل التحليلي في النصف الأيسر من الدماغ. هذا الأمر ليس منطقياً أو عملياً".

ونظر إلى عيني ماكس مباشَرةً.

"ويـــبدو أنـــك غاضب جداً ليس من يال ومدرّسيك وزملائك الطلاب فحسب، بل من كل البشر".

"لقـــد أغفلـــتَ النقطة الرئيسة". قال ماكس، وبدا السخط في صوته. "أنا غاضب من رياء هذه المؤسسة، وليس من المؤسسة نفسها. هـــناك الكـــثير من الأمور الرائعة في يال، ولكنني أتحدث عن أعلى مـــستويات الحقـــيقة. أنت بحاجة إلى إعادة قراءة المقالة، وستتحقّق مـــن أن ما أقوله صحيح وفقاً لوايتهيد، وهو أن *أيه* هي *أيه وليست أيه*".

عـــندئذ، دخـــل رجـــل آخر الغرفة، وعرّف ماكس أنه العميد بريدجز. فسلّم ماكس استمارةً.

"يا ماكس، لقد تحدثتُ إلى البروفسور فوكس والسيد هويل". قـــال بهدوء. "يبدو لهما أنه في استطاعتك اللجوء إلى الراحة والتغيّب ربمـــا أيضاً عن صفوفك الدراسية المنتظمة لبعض الوقت". وأشار إلى الورقة التي يحملها ماكس. "رجاءً، وقّع استمارة الانقطاع عن ارتياد الجامعـــة، وســـيكون في إمكانك العودة إلى يال بعد أخذ قسط من الراحة".

فتردد ماكس للحظة، وأدرك بعد ذلك أن من الأفضل له أن يدرس بشكل مستقل أثر "أيه هي أيه وليست أيه" على كل البشر المتعلّمين. ونظر مجدداً إلى العميد.

"أين تريدني أن أوقّع؟". سأل.

وبعد لحظات، كان قد انقطع رسمياً عن ارتياد يال.

ودخل الغرفةَ رجل ضخم البنية ذو شعر أسود مجعَّد، وعرّف نفسه قائلاً إنه الطبيب وينشتاين من قسم خدمات السلامة العقلية في يال. وأخبر ماكس أنه تدبّر أمر بقائه في المستوصف حيث يوصَف له دواء للنوم.

وبينما كان ماكس يفكر مليّاً في الأمر، شرح الطبيب وينشتاين الأمر قائلاً إنه رأى آثار سوء استخدام المخدرات لدى عدد كبير من الطلاب من خلال سلوكهم المنحرف والأرق القَسري الناجم عن الاستخدام المُفرط للمنشطات التي تساعدهم على إجراء الامتحانات.

وقال إن ماكس هو حالة نموذجية.

وهكذا، تبع ماكس الطبيب وينشتاين إلى سيارته من دون إحداث أي جلَبة، وتم اصطحابه إلى المستوصف حيث أُعطي دواءً للنوم.

بعد ثلاثين دقيقة، استدعى الممرضة وسألها إذا كان في استطاعتها إحضار بعض الكتب من المكتبة. فأعلمته أنه لن يكون في إمكانها القيام بذلك، وقالت إنه بحاجة إلى النوم.

"أحضري لي ورقة وقلم على الأقل". قال ماكس متوسلاً. "هناك بعض الأفكار في رأسي أحتاج إلى تدوينها. فهذا الأمر يساعدني على النوم".

لم تبدُ الممرضة مرتاحة إلى الفكرة، ولكنها لبّت طلبه.

وهكـــذا، أمـــضى الساعات الأربع التالية في كتابة وتحليل كيف يمكن "لفهم الفهم" تبديل تصرفات الإنسان وطريقة تفكيره. وعبّر عن أفكاره استناداً إلى طبيعة العلاقات البشرية.

فـــإذا كانت "أيه هي أيه وليست أيه"، إذاً، تكون كل العلاقات، ولا تكون كما تبدو عليه في الواقع. وقد يكون رجل ما ابناً ولا يكون ابـــناً في الـــوقت نفسه. وقد تكون الزوجة زوجة ولا تكون زوجة في الـــوقت نفـــسه. وقد يكون الطالب طالباً ولا يكون طالباً في الوقت نفسه.

لقد بدا التحليل واضحاً في بادئ الأمر، ولكن ماكس وجد كيف أن معظـــم الـــناس لا يفهمون البتة المعنى الضمني لذلك. فالتحليل عنى لمـــاكس أن كـــل التخطـــيط البشري مرتكز على فرضيات مغلوطة ومـــسلّمات مغلوطة تؤدي في غالب الأحيان إلى إرباك، وتُغفل الفرص المناسبة لحدوث أفضل تفاعل بين الناس.

كـــان في اســـتطاعته أن يرى كيف أن "فهم الفهم" يساعد على إيجـــاد حلٍّ للنـــزاعات السياسية والاقتصادية. فبعد الكشف عن فرضيات مغلوطة، قد تنشأ بنيات جديدة تماماً، بنيات لا تتطلب تمييزاً هرَمياً.

وواصل التركيز على المعاني الضمنية للرياضيات والفلسفة. "فأيه هـــي أيه وليست أيه" حلّت عُقداً فلسفية جوهرية، وعللت تناقضات ظاهرية، وسمحت بمستوى نظري أعلى لمعادلات رياضية أكثر تعقيداً.

كان ماكس في عالم خاص به، ويستمتع بصيَغه الرياضية وأفكاره المثيرة. وقد منعه ذلك من النوم بالرغم من تناول عقاقير منوِّمة قوية.

ومـــرّ الطبيب وينشتاين به لزيارته، ووصف له جرعة أقوى من الحبوب المنوِّمة التي وفت بالمطلوب أخيراً. وبعد عشرين دقيقة من زيارة الطبيب، استغرق ماكس في نوم متقطع.

واســـتيقظ في صباح اليوم التالي، وكان مستعداً لمغادرة المستوصف. وشرع بارتداء ملابسه، ولكن الممرضة أوقفته.

"رجـــاءً، انتظرني لأتصل بالطبيب وينشتاين". قالت بسرعة. "لا يمكنك الخروج من الباب من دون موافقته".

"ولكنني أشعر بأنني في حال جيدة"، قال معترضاً. "لقد حصلتُ علـــى بعـــض الـــراحة، وأريد الذهاب إلى المكتبة للتحقق من تأثير ما اكتشفتُه".

فأصرّت الممرضة على بقائه، وعاد ماكس إلى سريره بعد أن رأى مدى اغتمامها. لم يشأ التسبب بمزيد من الإزعاج لها.

عـــندما وصل الطبيب وينشتاين، طلب من ماكس ملازمة غرفته حـــتى يقوم والداه، الموجودان في أوروبا، باصطحابه لدى عودهما بعد يومين. وأبلغ الطبيب ماكس أنّ والدَيه فوّضاه بإبقائه تحت السيطرة، لا بـــل أيضاً بنقله إلى مصحّة للأمراض العقلية، وذلك حمايةً له وحفاظاً على سلامته.

"إذا قمـــتَ بـــأي محاولات إضافية للمغادرة، فهذا ما سيحدث بالـــتحديد". قال الطبيب وينشتاين، وأشارت نبرة صوته إلى أن المسألة غير قابلة للنقاش.

وبدا ماكس مشدوهاً.

"ولكـــن والـــدَيّ لـــن يسمحا أبداً بهذا التصرف". قال ماكس مؤكّداً.

"حسناً، لقد سمحا بذلك". أجاب الطبيب. "وسأُودعك مؤسسة مماثلة إذا اضطُررت إلى ذلك". ولان صوته بعد ذلك. "نرغب حقاً في إبعادك عن مصحة الأمراض العقلية إذا أمكن. يا ماكس، أنت تعاني من مـــرض نفسي. فهذا الأمر يحدث مع أفضل طلابنا في غالب الأحيان.

هناك الكثير من الضغوط في يال، ولا يتعيّن عليك الشعور بالإحراج بسبب ذلك، ولكن يجب عليك التعاون والسماح بمعالجتك".

وأضاف: "يتم إعطاؤك التورازين وبعض الأدوية المضادة للأمراض النفسية، ستساعدك على النوم والتغلّب على أوهامك. يجب عليك التعاون". كرّر: "وما دمتَ تقوم بذلك، ستتمكّن من دون شك من التسجّل في الخريف التالي وإكمال تخصّصك".

ومع ذلك، لم يستطع ماكس تقبّل ما تعرّض له.

"ولكنني لا أعاني من الأوهام. لقد صودف أنني فهمت الفهم. الأمر غير منصف بتاتاً"، قال معترضاً.

وانتهت المحادثة، ورمقه الطبيب بنظرة مُبهَمة عند مغادرته الغرفة، واتضح لماكس أن الطبيب وينشتاين يظن *حقًا* أنه يعاني من مشكلة عقلية.

وبعد تهدئة اضطرابه الداخلي، فكّر مليّاً في مسائل السلامة العقلية المتأصلة في عائلته. فشقيقة والدته الصغرى، ميريام، أُدخلت إلى مصحة للأمراض العقلية عندما كانت صغيرة. وشاء القدَر أن تلتقي بزوجها مايكل هناك الذي كان مريضاً أيضاً. لقد اعتُبر مايكل مختلّ العقل، ولكن انتهى به الأمر إلى شراء مستنقع خارج مدينة نيويورك، في نيوجرسي، باعه بملايين الدولارات لشركة بَنَت فيه إستاد ميدولاندز لكرة القدم.

وانتحرت والدة جدّة ماكس لجهة والده برمي نفسها عن سطح مبنى بروكلين السكني الذي كانت تقيم فيه، وذلك عندما اكتشفت أن زوج ابنتها، جدّ ماكس، لم يكن يلتزم بتناول الكوشر، وكان يُدخل لحم حيوانٍ مقزَزاً مدخّناً إلى مطبخها.

وبالرغم من اعتبار أفراد آخرين في عائلته الموسَّعة مختلّين عقلياً، لم يتم إدخال أي منهم إلى مصحة للأمراض العقلية، باستثناء عمّته.

وعلى ضوء تأملاته، فكّر ماكس مليّاً في احتمال كونه مصاباً باختلال عقلي. وبينما كان يستنتج أنه ليس كذلك، أدرك أن نظريته "أيه هي أيه وليست أيه" تنطوي على عنصر فُصامي متأصل، نوع من أنواع الجنون الذي يمكن السيطرة عليه، ومع ذلك فهو يُعتبر جنوناً.

* * *

في أثناء بقائه في المستوصف لمدة ثلاثة أيام، عانى ماكس من انعدام النشاط ومن آثار جانبية أخرى للدواء. وبدأت فترات نومه تزداد طولاً، ولكن حماسته لم تفتُر حيال صوابية معادلته.

ووصل والده لاصطحابه. وعندما دخل الغرفة، حاول ماكس أن يناقش معه الإنجاز الذي حققه، ولكن هربرت لم يُبدِ أي اهتمام. لقد تكلم بطريقة واقعية وأشار إلى مقتنيات ماكس.

"اتبعني إلى السيارة فحسب، ولنخرج من هنا". قال بسرعة.

وعندما وصلا إلى المنزل، رحّبت به جاين بحرارة وحب، وشرحت له أن الطبيب وينشتاين تدبّر لماكس أمر لقاء طبيب نفسيّ محليّ. وشرحت أيضاً أنها لن تتحدث وهربرت إليه بشأن "فهم الفهم" أو أيّ من نظرياته الفلسفية مخافة تفاقم المشكلة. ويُسمح للطبيب أوستن فقط، الذي تم اختياره، بمناقشة الإنجاز الذي حققه.

لقد أحبطت هذه الظروف ماكس، ولكنه وافق والدَيه الرأي حتى لا يقلقهما، وذهب بعد ذلك إلى غرفته ليهدّئ من رَوعه.

وفي صباح اليوم التالي، أقلّت جاين ماكس للقاء الطبيب أوستن، وهو رجل مَهيب ذو شعر رمادي ويضع نظارة. كان ابنه موسيقياً محترفاً عمل مع جيري جيف واكر على إصدار أسطوانة مسجَّلة تتضمن إحدى أغنيات ماكس المفضّلة وهي "السيد بوجانكلز". وأدى هذا الواقع إلى نشوء انسجام بين الطبيب والمريض.

لقد وضع الطبيب أوستن كتاباً شهيراً حول القوى السيكولوجية التي شكّلت شخصية أدولف هيتلر وأثارت اهتمام ماكس أيضاً. كان الطبيب فخوراً لأن مارك تواين، الذي تناولت بعض روائعه دراسة الطبيب أوستن، كان يمتلك منزلاً في تاريتاون ذات مرة.

وشرح الطبيب أوستن قائلاً إنه عالج في السابق مفكرين عظماء، ولا شك في أنه يعتقد أن ماكس يعاني من حالة تُعرف "بجنون العظمة". وبالرغم من ذلك، أمضى ماكس جلساهما الخمس الأولى محاولاً شرح الفوارق الدقيقة لمعادلة "أيه هي أيه وليست أيه"، وسبب كونها اختراقاً.

ولكن الطبيب أوستن لم يكن مقتنعاً بذلك.

واستمر في زيادة جرعة التورازين حتى بات ماكس يشعر بالترنّح في معظم الوقت. وكان يزور الطبيب أوستن خمس مرات في الأسبوع حتى إشعار آخر.

* * *

شعر الطبيب أوستن في أواخر شهر أيار/مايو بحدوث تحسّن كبير في حالة ماكس، فخفّض عدد الجلسات إلى ثلاث مرات أسبوعياً.

وشعر ماكس أيضاً بهذا التحسّن. كان قد تعلّم الإجابة عن الأسئلة بطريقة تحمل الطبيب أوستن على الاعتقاد أنه لم يعُد يعاني من أوهام أو من "جنون العظمة".

لم يُشر ماكس أبداً إلى ما خبره في حالة النورانية، أو إلى الألوان الاثني عشر والأسماء الاثني عشر؛ فهو لم يعتقد ببساطة أنها ضرورية. كان يعلم أنه منسجم مع ذاته بالرغم من عدم فهم الأشخاص الآخرين لنظريته.

وبالرغم من تحسّنه الظاهري ورضى الطبيب عن حاله، فهو لم يكفّ أبداً عن التفكير في أنّ "أيه هي أيه وليست أيه" نظرية ألمعية،

واعتبر أن غوصه في كُنه الأمور سيؤدي إلى تبدّل العالم. لم يفهم ماكس أنه بحاجة إلى مزيد من الحِرص لدى مشاطرة أفكاره. ولكن ذلك لم يعنِ أن أفكاره لم تكن صالحة.

وفي أيلول/سبتمبر، قُبل ماكس مجدداً في يال بشرط واحد:

لا يستطيع حضور أي صفوف في الفلسفة.

الفصل الخامس

محتجَز في بوليفيا

1970

بالرغم من حرصه على اتّباع الاتجاه السائد في يال، احتفظ ماكس بالكثير لنفسه، وأكمل مقرراته الدراسية، ومارس رياضات ضمن الجامعة، واعتمد بشكل عام أسلوباً يُسِرّ والديه ومدرّسيه وأولئك الذين يخشون استقراره العقلي.

بالطبع، كان يعلم أنه لا يزال يفهم الفهم وكل ما يستتبع ذلك، ولكنه تجنّب المقررات الدراسية في الفلسفة كما طُلب منه. وتدبّر أمر التسلل إلى مقرر دراسي في الأنثروبولوجيا الثقافية يتناول كلود ليفي؛ ستروس والبُنيوية، وهو طريق آخر إلى تأمل التتابعات الخارقة للدماغ البشري في الثقافات وعبر الزمن.

* * *

في ربيع العام 1970، التقى ماكس ببول هازلتن، وهو متخصص في العلوم السياسية وذو اهتمام خاص بشؤون أميركا اللاتينية. كان بول قد شارك في برنامج في البيرو يدعى *مشروع الصداقة*، وينتمي إليه طلاب أميركيون جامعيون يريدون برنامجاً مباشَراً أكثر من برنامج بيس كوربس، ويسمح بإجراء اتصال فَوري بين طلاب أميركا الشمالية وشعوب أميركا اللاتينية.

وتمثلت الفكرة بإرسال أربعين طالباً جامعياً إلى أريكويبا، البيرو، للعمل على إنشاء مدارس، وتنفيذ برامج في ميدان الخدمة الاجتماعية، والمساعدة بصورة عامة بأي طريقة ينصحهم مضيفوهم باعتمادها في المركز الثقافي البيروفي - الأميركي الشمالي في أريكويبا.

وتقوم عائلات أريكويبية بإيواء الطلاب كجزء من التبادل الثقافي.

وبما أن ماكس يجيد الإسبانية بطلاقة، اعتبر أن *مشروع الصداقة* سيكون برنامجاً صيفياً مثالياً بالنسبة إليه يمكّنه من خوض مغامرات جديدة والمحافظة على طلاقة لسانه باللغة الإسبانية.

وبدأت الرحلة بشكل يدعو إلى التفاؤل. وكانت العائلة التي أُلحق بها ماكس في أريكويبا مماثلة لعائلته في برشلونة، باستثناء أن السِّنيورة رودريغيز أرملة وأنّ لديها ابنين: ألبرتو في الخامسة عشرة من عمره، وخافيير البالغ من العمر سبعة عشر عاماً. كانت شقيقة السِّنيورة رودريغيز تقيم أيضاً معهم، وكان الجميع عازمين على تعلّم الإنكليزية والمحافظة على الحرية الاقتصادية التي ضمنها لهم انتماؤهم إلى أعالي الطبقة الوسطى عندما كان السِّنيور رودريغيز لا يزال على قَيد الحياة. وعلى غرار الجميع في ذلك الوقت، وباستثناء العائلات الأشد فقراً في أريكويبا، كان لدى العائلة عدة خدّام: بستانيان، طاهٍ واحد، وخادمتان. علماً أن المنزل لم يكن كبيراً جداً.

كانت غرفة نوم ماكس تُشرف على مركز أريكويبا الأبيض البرّاق بهندسته المعمارية التي تعود إلى زمن الاستعمار. فوفقاً للقانون، يجب طلاء كل المباني باللون الأبيض. وعندما تُشرق الشمس، تتلألأ المدينة في الواقع بنور رائع يُعمي الأبصار. ويترك غروب الشمس بألوان السماء البرتقالية والقرنفلية قبل حلول الظلام انطباعاً في النفوس لا يُمحى.

وبوجود جبل إل ميستي البركاني المدهش في خلفية المشهد إزاء سماء زرقاء ساطعة لا تخلو من السحُب، كانت أريكويبا إحدى المدن الأكثر لفتاً للأنظار التي رآها ماكس يوماً. وكما كانت حاله في إسبانيا، فقد شعر بصلة عميقة بهذا البلد وشعبه، وبقدر كبير من الراحة.

لم يكن قد تخطى فقدان ليزي تماماً، ولكنه خرج من حالة الركود العاطفي عندما التقى كارولاينا العاطفية على نحو لا يصدَّق وذات الجمال غير العادي، وكانت في الثالثة والعشرين من عمرها، وتقيم على بُعد خمس دقائق من منزل رودريغيز سَيراً على الأقدام. فكارولاينا هي نسيبة خافيير وألبرتو والابنة الوحيدة لشقيق والدهما الذي أنجب اثني عشر ابناً قبل ولادتها.

وبالرغم من سنّها، لم تنفرد كارولاينا يوماً بشاب. كان والدها أستاذاً في الجامعة ويؤلف كتاباً مدرسياً عن الرياضيات، والتقى ماكس في أثناء حفلة أُقيمت في منزل شقيقته للترحيب بزائرها. لقد أثار اهتمامَه كونُ ماكس عالماً ماهراً في الرياضيات، وتدبّر له مهمة تدريس عِلم الجبر في إحدى المدارس الثانوية المحلية.

وبسروره بمهارات ماكس التعليمية، اعتبر الأستاذ أن ماكس هو الشخص المثالي لترجمة كتابه المدرسي إلى الإنكليزية. وهكذا، وجد ماكس سبيلاً لدخول منزل كارولاينا والتقرّب منها في النهاية.

لقد أثار تقرّبه من كارولاينا رَيبة أشقائها الذين كانوا على ثقة أن هذا الأمر لا يمكن أن يكون جيداً، ولكن والدهم كان مأخوذاً بقدرة ماكس لدرجة أنه تجاهل مخاوفهم، لا بل وافق أيضاً على اقتراح كارولاينا اصطحاب ماكس في زيارة إلى الأماكن الهامة على أن يرافقهما أحد أشقائها.

وبعد رحلتَين مماثلتَين، طلبت كارولاينا من ماكس مرافقتها لمشاهدة النسخة الجديدة لفيلم سينمائي بعنوان "ماش" لروبرت ألتمان. ولم يكن الأشقاء متاحين لمرافقتهما، ولكن والد كارولاينا منح موافقته. لقد بدا قيام الثنائي الشاب بمشاهدة فيلم معاً أمراً بريئاً، ونزولاً عند اقتراح كارولاينا، اشترى ماكس تذكرتَين لحجز *بوتاكا* في مسرح كولونيال بالاس الموسيقي.

لم يكن ماكس يعلم أن *البوتاكا* هي غرفة خاصة مع ستائر تفصلهما تماماً عن الموجودين في المسرح. وكان في استطاعة كارولاينا وماكس النظر إلى الشاشة إذا أرادا ذلك من دون أن يكون في استطاعة أحد رؤيتهما.

ولم يتذكر ماكس أي مشهد من الفيلم السينمائي.

لقد سعت كارولاينا في هاتين الساعتين إلى الاستكشاف واستيعاب ما مُنعت من مشاهدته واختباره في السنوات الثلاث والعشرين من حياتها.

بعد ذلك، غمرت كارولاينا ماكس بعاطفتها القوية، ولم يستطع في أثناء إقامته في أريكويبا لمدة ثمانية أسابيع إبعاد تفكيره عن الجمال البيروفي. ووضعته هذه العلاقة الغرامية الغامرة في حالة من الغِبطة، ولكن بترفّع اعتبره مُربِكاً ومحرِّراً.

* * *

بهذه الحالة الغريبة من الترفع، تقرّب منه رولف آينس، وهو أحد المشاركين في *مشروع الصداقة*، وطلب من ماكس مرافقته إلى مجاهل الدَّغل البوليفي بحثاً عن الجاغوار. فرولف هولندي في سنّ السادسة والعشرين، وقد أتمّ خدمته العسكرية في هولندا، وكان الفرد الأكبر سنّاً في مشروع الفريق، طويلاً ونحيفاً، يزيد طوله عن ستّ أقدام، يضع

نظارة، يرتدي ثياباً أنيقة، وكان شعره بنـــيّ اللون قصيراً ومُهَندَماً على الـــدوام ممـــا يُضفي عليه بعض الفرادة، وذلك لأن الشعر الطويل كان مألوفاً في ذلك الوقت.

كـــان رولـــف طالباً في عامه الأخير في الهندسة المدنية في جامعة فاندربيلت في تنيسي، وثبتت فائدة معرفته بالشؤون الهندسية في تصميم المـــدارس والمنازل التي ساعدت مجموعة المشروع على بنائها في مختلف أنحاء أريكويبا في صيف ذلك العام 1970.

لقد هزّ زلزال في ذلك العام شمال البيرو، وكان رولف قد حصل علـــى إجـــازة لمدة أسبوعين للمساعدة على رفع الأنقاض هناك. كان مُحـــبّاً للمرح، وذا طَبع متهوّر، وكان أحد أهدافه الشخصية في تلك الـــرحلة صيد الجاغوار بعد إنهاء مشروع الصداقة. لذلك، كان يبحث عن رفيق يتحدث الإسبانية بسبب عدم إجادته هذه اللغة البتة حتى بعد أسابيع من التفاعل مع السكان المحليين.

لقـــد اعتبر ماكس مرشحاً ممتازاً لمرافقته، وكان قد حدّد مكانَين محتمَلَين للصيد، أحدهما مدينة إيكيتوس البيروفية في الأمازون، والآخر منطقة يانغاس بالقرب من بوليفيا.

"يا ماكس، هل فكرتَ يوماً في صيد الجاغوار في أدغال البيرو أو بوليفـــيا؟". ســـأل رولف ماكس في أثناء تناولهما البيسكو سورز في مـــشرب المركـــز الـــثقافي البيروفي - الأميركي الشمالي وسط مدينة أريكويبا.

"لا يمكـــنني قـــول ذلك". أجاب ماكس. "لم أحمل أبداً بندقية، ولكنني أحب زيارة دَغل حقيقي. فيمَ تفكر؟".

"لقـــد درســـتُ الموضوع". قال رولف بحماسة: "قمت بزيارة القنـــصلية البوليفية، وأعلموني بوجود مكان في الدَّغل يدعى كاراناڤي

حـــيث يمكـــنك استخدام مرشدين وصيد الجاغوار. الأمر غير مرتفع الـــتكلفة، لـــذلك سأغطي نفقات الصيد إذا كنت راغباً في الانضمام إليّ".

وأضاف: "تعرف أن لغتي الإسبانية ليست جيدة، لذلك سيكون من الجيد أن ترافقني كمترجم لي، وسنمضي وقتاً رائعاً معاً بالطبع".

"أَدخلني في حسابك". أجاب ماكس باندفاع. "يبدو الأمر مثيراً للحماســة". وشـــربا نخب التصديق على التزامهما من كوبَي بيسكو ســـورز. "ولكـــنني أملـــك مئة دولار فقط لكل الرحلة التي ستدوم أسبوعَين، لذلك سيكون سفراً منخفض الميزانية". أضاف ماكس.

"باســـتثناء المال الذي ادّخرته لصيد الجاغوار، أعاني من ضيق في الميزانية أيضاً". اعترف رولف. "مع ذلك، لا تقلق. لقد خططت لكل شـــيء، حـــتى إنه يمكننا أيضاً زيارة كوزكو، وماتشو بيتشو، وأماكن رائعة أخرى".

"ممـــتاز". أجـــاب ماكس، وأشرق وجهه. "كنت آمل في زيارة ماتشو بيتشو، وبحيرة تيتيكاكا، وتياهواناكو إذا أمكن".

"كلـــها ضمن الأماكن التي ستجري زيارتها". أكد رولف بينما كان يبتلع ما تبقى من شرابه.

* * *

بعد يومين، غادر الثنائي بالقطار إلى بونو. وبعد تمضية يوم هناك، تابعا رحلتهما إلى كوباكابانا.

كانـــت *كوليكتـــيفو* وســـيلة الـــنقل الأقل تكلفة من بونو إلى كوباكابانا، وهي حافلات صغيرة من طراز فولكسفاغن تتسع كل منها لاثني عشر راكباً. ومع ذلك، كانت هناك تسع حافلات مليئة بالكامل عندما وصل رولف وماكس إلى محطة الانطلاق.

فقدّر أحد السائقين حجمهما، وأبلغهما أنه سيؤمّن لهما مكاناً في حافلته. وشرع بالتحدث بلغة الكويشوا بسرعة إلى الركاب الجالسين، فوقف فجأةً هنديان، وخرجا من الحافلة، وصعدا على سطحها لقاء أُجرة سفر منخفضة على الأرجح.

كان الطريق غير معبَّد، ومغطى بالغبار، ومليئاً بالحُفر. كانت فعلاً رحلة متهوّرة تطلبت من الركاب الذين دفعوا نصف الأُجرة التشبّث بحياتهم العزيزة.

وركاب الحافلة قادمون من قرى صغيرة محيطة ببحيرة تيتيكاكا حيث توجد منازل السكان القدماء، أي الإينكا الأصليين الذين حكموا الأنديز وقسماً كبيراً من أميركا الجنوبية - إن لم تكن كلها - طوال عقود من الزمن.

لم يتكلموا الإسبانية أبداً، بل لغتَي الأيمارا والكويشوا الأصليتَين. كان العديد منهم متجهين لحضور المهرجان الموسيقي الذي يقام لمدة يومين في شهر آب/أغسطس من كل عام، والعزف على الآلات الموسيقية نفسها، وإنشاد الأغاني نفسها، وتكرار خطوات الرقص نفسها على غرار أجداد أجدادهم، لا بل أيضاً على غرار أسلافهم في الماضي البعيد.

يعتقد الهنود بالمكانة المبجَّلة للحياة. فهم لا يميّزون بين الأشياء المتحركة وغير المتحركة. بالنسبة إليهم، هناك حياة في كل شيء، وهم يسعون إلى إلحاق الهزيمة بالزمن عبر طقوس إعادة إحياء موسيقاهم المبجَّلة. ويسعون أيضاً إلى الإسراف في الرقص والأغاني وتناول أوراق الكوكا.

كان جميع من في الحافلة ثملين أو مبتهجين حتى قبل أن يجلسوا. باستثناء السائق، كما أمل ماكس وورولف.

* * *

لدى عبور الحافلة الحدود من البيرو إلى بوليفيا، طلب ماكس من السائق التوقف كي يتمكنا من خَتم جوازَي سفرهما. فأبلغهما السائق أن حراس الحدود لا يتحققون من جوازات السفر.

"يعرفون أن المئات من شعبنا سيعبرون ويعودون بعد انتهاء المهرجان غداً"، قال شارحاً، "هم يعرفوننا ويعرفون أن كل شيء بخير".

لقد بدا الأمر منطقياً بالنسبة إلى ماكس وورولف، لذلك لم يسألاه شيئاً.

وبعد ساعتين، توقفت الحافلة على شاطئ بحيرة تيتيكاكا في مدينة كوباكابانا. كان الليل قد بدأ يهبط وهناك حشود من الناس على الشاطئ وفي الساحات العامة، وكانت هناك أغانٍ ورقصات تُؤدَّى في كل مكان. لقد صدر من آلات الناي والآلات الوترية ذبذبات غير عادية جعلت الجميع يرغبون في الرقص ليس بطريقة جامحة على غرار كرنفال ريو، بل بخطى تنمّ عن فَيض من المشاعر العميقة، كنوع من الحزن الصوفي الذي يتضمن جوهر الفرح الذي يبدو متجسّداً بهؤلاء الأشخاص الذين يشعرون بالفخر بالرغم من إخضاعهم.

فالرجال والنساء متدثّرون بدثارات وعباءات ذات ألوان برّاقة صنعوها من صوف القِرمل والأغنام، وتعتمر كل النساء قبّعات من أشكال وأحجام مختلفة. وتُعرَف كل بلدة صغيرة بفرادة قبّعاتها، يرمز الشكل إلى هوية الإرث الخاص بالمكان، والغاية من اعتماد هذا الشكل.

تنقّل ماكس وورولف في المكان الذي يسوده جوّ مشحون إلى حدٍّ كبير بالموسيقى وحيوية الناس كما لو أنهما في حُلم. لقد تناولا ذُرة مشوية، ولحماً، ومآكل لذيذة أخرى من البائعين، وشعرا أخيراً بالحاجة إلى النوم.

وبما أن كل الفنادق مليئة، سمح لهما مزارع لطيف بالنوم في الحظيرة مع ماعز القرمل، جاعلَين من التِّبن سريراً لهما. ورمى لهما زوجاً من البطانيات الجميلة متعددة الألوان.

ظنّ رولف أن هاتَين البطانيّتين تصلحان كرداءي بونشو رائعَين، فدفعا للمزارع ثمنهما مبلغاً من المال، عالمَين أنهما سيكونان بحاجة إلى ملابس أكثر دفئاً لرحلتهما الطويلة والشاقة عبر الممرات الجبلية قبل النزول إلى الدَّغل.

في اليوم التالي، عاد ماكس ورولف إلى وسط البلدة، مرتديَين رداءَي البونشو الجديدَين الملوّنَين. واشتريا قبّعتَين من القش مصنوعتَين وفقاً للطراز المكسيكي ليكملا الزِّيّ ويبدوَا مثيرَين للسخرية تماماً. كان في الإمكان تمييزهما بسهولة عن الآخرين.

وطافا المكان وصولاً إلى الشاطئ حيث التقيا بفتاتَين جذّابتَين في السابعة عشرة من عمرهما قدِمتا مع عائلتَيهما وأصدقائهما للمشاركة في المهرجان الموسيقي. كانتا تعيشان في لاباز، وتمكّنتا من تدبّر أمر عودتهما في حافلة المدرسة.

وفي أثناء المحادثة، توددت الفتاتان إلى هذَين الأجنبيَّين اللذين يمثّلان العوالم التي لا يمكن لهما حتى أن تتخيّلاها. فدعتا رولف وماكس للانضمام إليهما على متن الحافلة في رحلة العودة إلى لاباز، فاغتنما الفرصة، عالمَين أن رفقة الفتاتَين قد تجعل الرحلة أكثر إمتاعاً.

في صباح اليوم التالي، وبعد وقت قصير على شروق الشمس، وبعد تمضية ليلة أخرى مع ماعز القرمل، صعد رولف وماكس على متن حافلة المدرسة. لم تكن الرحلة زاخرة بالأحداث بالرغم من وجود عشرين نقطة تفتيش على الأقل على امتداد الطريق إلى لاباز. كان الجنود عند الحواجز يعرفون الحافلة والسائق، ويشيرون إليه بالمرور.

ووصـــلا إلى لاباز في وقت متأخر من بعد الظهر، وودّعا الفتاتَين وعائلتَـــيهما شاكرَين، وقررا التوقف عند المقهى الخارجي بالقرب من محطـــة الحـــافلات. وكونه هولندياً، كان رولف مولَعاً بشراب الشعير بصفة خاصة، وشراب الشعير البوليفي شراب ممتاز ابتكره الألمان الذين استُقدموا إلى بوليفيا لإنشاء مصانع شراب الشعير بصفة خاصة.

كـــان شراب الشعير المحلي مميَّز بسبب عذوبة مياه جبال الأنديز، ويُقدَّم في زجاجات يبلغ حجمها ضعف حجم نظيراتها الأميركية.

"إنـــه أفـــضل شراب شعير تناولته يوماً". أكد ماكس. "حتى إنه أفـــضل مـــن شراب ∕ريكوبيبنو البيروفية". وطلب وولف المزيد من الشراب الملائم لأنواع الطعام اللذيذ في المشرب.

"أظن أنك مُحِق". قال رولف في أثناء إنـــزال كوبه.

فجأةً، قفز ماكس عن الطاولة.

"آه، يا الله". قال. "إنه أرشي بنسن".

"أرشي، أرشي، أنا هنا". صاح ماكس بينما كان يومئ بعشوائية للفـــت انتباه أرشي. "ماذا تفعل هنا؟". سأل في أثناء توجّه صديقه إلى الطاولة وبجانبه شابة جذّابة.

وجرى التعريف، وشرح أرشي.

"لا أعـــتقد أنك قابلتَ زوجتي من قَبل، إليزابيت، أليس كذلك؟ لقـــد تزوّجنا في حزيران/يونيو بعد انتهاء الصفوف الدراسية مباشَرةً، ونحـــن هـــنا في أميركا الجنوبية في مهمة لصالح الأمم المتحدة. سنُغفل الفصل الدراسي في الخريف لنكمل مشروعنا. ولكن ماذا تفعل هنا؟". سأل أرشي.

"نـــزور المكان ليس إلا، ولكن رولف يريد الذهاب إلى يانغاس لصيد الجاغوار". وابتسم ماكس بينما كان يتكلم.

"حسناً، لقد عدنا لتوّنا من يانغاس". قال أرشي. "إن أفضل طريقة للوصول إلى هناك هي عبر القفز إلى متن ما يدعونه مركب *الموز*. إنها شاحنة تأتي من الدَّغل محمَّلة بالموز، وعندما تُفرغ حمولتها تعود فارغة في اليوم التالي، فيقفز السكان المحليون إلى متنها. ويمكنكما الذهاب إلى آخر الخط حيث توجد بلدة كارانافي، وذلك لقاء بِنس واحد لكل مِيل. من هناك، أنا على ثقة أنه يمكنكما الحصول على مرشدين لصيد الجاغوار".

وكم كانت دهشة ماكس كبيرة عندما سلّمه أرشي مفتاح غرفة فندق.

"لقد دفعنا أجر ليلتَين إضافيّتَين. لماذا لا تنزلان في الغرفة إذا كنتما بحاجة إلى مكان للإقامة فيه؟".

فسُرّ الثنائي بالأمر. لقد عثرا مجدداً على مسكن بأفضل سعر ممكن؛ في هذه الحالة، مسكن مجّاني.

وبما أن بوليفيا بلد العديد من الثورات، وتنص القوانين بوضوح على ضرورة تسجيل أسماء كل الأجانب، يتّبع كل فندق سياسة حازمة بالاطلاع على جواز سفر كل أجنبي وتدوين معلومات عن كل زائر. وهكذا، دخل رولف وماكس الفندق المتواضع بتكتّم واستقرّا في غرفتهما المجانية.

في اليوم التالي، أعلن كل العاملين في وسائل الإعلام الإضراب، خرجوا إلى الشوارع وأغلقوا كل صحيفة وإذاعة ومحطة تلفازية.

وانطلق ماكس ورولف في مغامرتهما لصيد الجاغوار، قلقين، وسارا حتى آخر محطة للوقود على الطريق الممتد من لاباز إلى يانغاس، وصعدا على متن مركب *الموز* حيث جلسا بشكل متراصّ بجانب أربعة عشر هندياً من السكان الأصليين، بمن فيهم ثلاث أمهات يُرضعنَ

صــغارهنّ الذين تتراوح أعمارهم بين أشهر قليلة وخمسة أعوام تقريباً. فالنساء البوليفيات يعتقدنَ أن أفضل طريقة لتحديد النَّسل هي إرضاع صــغارهنّ أطول مدة ممكنة، لذلك لم تكن رؤية صغير في السادسة من عمره يرضع من صدر والدته أمراً غير عادي.

كان الهنود قد اصطحبوا معهم المأكل والمشرب، فتشاطروها مع رولــف وماكس، متفحّصين بعناية رداءَيهما الشبيهَين بملابس السكان الأصليين. كانت هناك نقاط تفتيش كل عشرين كيلومتراً تقريباً، ومع ذلــك فإن مركب الموز لم يُبطئ أبداً. كان السائق خوسيه معروفاً من قِــبل الجــنود، وبــدا أنهم يعتقدون أن لا سبب يدعوهم إلى تفتيش الشاحنة.

كانــت الرحلة على متن الشاحنة إحدى الرحلات الأكثر إثارة الــتي قام بها رولف وماكس يوماً، وكان في الإمكان أن تكون الأخيرة ببساطة. فخوسيه يعرف كل بوصة من الطريق، ولكن المنحدرات شبه العمــودية، والقنوات، والمنعطفات، قاسية جداً لدرجة أن أي شخص عاقل لا يحاول عبورها.

وفي الــساعات الــست التالــية، قفز كل الركاب الآخرين من الــشاحنة، وقصدوا منازلهم وقراهم الواقعة داخل جوانب الجبال التي اجتازوها.

فــدعا خوسيه ماكس ورولف للانضمام إليه في حجرة السائق، طارحــاً عليهما أسئلة حول أميركا، ومشاطراً إيّاهما ما يعرفه عن بلدته كارانافي وحبه لها. وعندما وصلوا إلى نقطة التفتيش العسكرية الأخيرة قبل دخول كارانافي، تمكن الجندي الشاب قَيد الخدمة من ملاحظة أن ماكس ورولف راكبان غير عاديَّين. فحدّق إليهما مرتاباً، وطلب رؤية بطاقة هويّة كل منهما. فسلّم ماكس جوازَي السفر إلى الجنديّ المربَك

الـــذي لم يـــسبق له أن رأى أجانبَ - أو حتى جواز سفر - في هذا المركز النائي.

"إنها بطاقات هوية دولية، كتلك التي تستخدمونها هنا في بوليفيا، ولكنها أفضل". شرح ماكس.

ونظر الجندي إلى خوسيه الذي ابتسم وعبّر عن رأيه بوضوح.

"هذان الفتيان صالحان". قال السائق: "لقد رافقاني طوال الرحلة. لن يتسببا بأي مشكلة، يا خورخيه. لا بأس، دعهما يمرّان".

لقد ثبت أن الجندي متزوّج بنسيبة والدَي خوسيه. وهكذا، عبر رولف وماكس نقاط التفتيش التسع والثلاثين، ونقطة التفتيش الأخيرة، داخـــل بوليفيا من دون أن يتم إيقافهما أو استجوابهما، متحدّيَين كل الاحتياطات الأمنية التي تتخذها الحكومة العسكرية البوليفية.

وأكمـــل مركب الموز طريقه إلى داخل بلدة كارانافي، وأنـــزل خوسيه ماكس ورولف عند المشرب الأقرب، وتوجه إلى منـــزله حيث زوجته وأولاده. وفي أثناء استمتاع المغامرَين الشابَين بالشراب والطعام، تبادلا أطراف الحديث مع مالك المطعم الذي وعد بتدبّر بندقيّتَي صيد لهما وإرشادهما إلى أماكن وجود الجاغوار.

بعـــد انـــتهاء الحـــديث، أسندا ظهرَيهما إلى كرسيَّيهما وراقبا محيطهما.

فبالرغم من كونهما وسط الدَّغل في أميركا الجنوبية، شعرا كما لو أنهما في الفيلم السينمائي جون واين وايلد وست. كانت هناك أكواخ خـــشبية وضـــيعة على جانبَي الطريق الرئيس الجافّ والمكسوّ بالغبار، إضـــافةً إلى ممر يرتفع ثماني أقدام تقريباً عن الشارع، ويصلح كرصيف. وعلمـــاً أن الطريق يتحول إلى نهر في موسم المطر، لذلك أُنشِئت معظم المباني على ركائز درءاً للفيضانات.

وعندما أنهى كل من ماكس ورولف كوب الشراب الثالث، اقترب منهما جندي بلباسه الرسمي، وألقى التحية عليهما، وتحدّث إليهما بالإسبانية.

"*إل* ديتشيه يريد رؤيتكما. هل يمكنكما القدوم معي؟". قال الرجل.

لم يكن ماكس يملك أي فكرة عن الشخص الذي يتحدث عنه، وعندما أصرّ على الجندي مستوضحاً، أعلمه هذا الأخير أن *إل ديتشيه* يوازي المدير، ورئيس البلدية، وحاكم المنطقة، في آن معاً. فتكوّن لديه انطباع أنه لا يُفترض بأحد العبث مع *إل ديتشيه*، لذلك كان عليه وعلى رولف إنهاء كوبَي الشراب ومرافقة الرجل إلى كوخه الخشبي الصغير الواقع على الجانب الآخر من الشارع، والذي يُستخدم كمكاتب حكومية وسجن.

كان *إل ديتشيه* رجلاً ممتلئ الجسم، مَهيباً. وأول ما طلبه هو رؤية جوازَي سفرهما اللذين تفحّصهما بعناية. واستجوب ماكس بعد ذلك بهدوء ومن دون انفعال. وعندما قيل له إنهما موجودان هناك لصيد الجاغوار، ابتسم وقال لهما إن الجندي سيقوم باصطحابهما إلى الفندق الوحيد في البلدة، وإنه سيحتفظ بجوازَي سفرهما طالما بقيا في منطقة نفوذه.

مدركَين تضاؤل مدّخراتهما المالية، قال رولف لماكس إنه يُفترض إخبار *إل ديتشيه* أنهما ليسا مستعدَّين للذهاب إلى الفندق بعد لأنهما يرغبان في التعرّف إلى البلدة أولاً. في الواقع، كانا يخططان للتخييم بجانب النهر وتجنّب دفع فاتورة الفندق، وهكذا كان.

لسوء الحظ، وضع ماكس ورولف رداءيهما على كثيب ناجم عن حفر النمل، وعندما استيقظ النمل في صباح اليوم التالي، استيقظا أيضاً وكانا يعانيان من عدة قضمات كبيرة.

كـــان الصباح حارّاً بضراوة. وفي أثناء عودهما إلى البلدة لتناول الغـــداء ولقـــاء مرشدهما إلى الدَّغل ومالك المطعم، التفت رولف إلى ماكس واعترف أنه فقد حماسته لرحلة الصيد بسبب الحرّ والقضمات.

"كـــان يجب علينا رؤية هذا الدَّغل غير العادي، إضافةً إلى الكثير من الطيور والحيوانات النادرة". وأضاف: "لقد كان هذا هدفي الرئيس حقـــاً. لم يكـــن صيد الجاغوار من أولى اهتماماتي في الواقع، وميزانيتنا محـــدودة جداً. ربما يُفترض بنا العودة إلى لاباز فحسب، وتمضية مزيد من الوقت في زيارة كوزكو وماتشوبيتشو".

"هو الحل المناسب لي أيضاً". أجاب ماكس.

وهكذا، عادا إلى البلدة مُعتمِرَين قبّعتَيهما المكسيكيّتَين، ومتأبّطَين رداءَي البونشو.

فطلبا طبقَين أميركيين يحتويان على قطع لحم بقري صغيرة مقدَّمة مع أرزّ، وموز مقليّ، وبيض، ونوع من القرنيات البوليفية. بالطبع، أُرفق هذا الطـــبق بالعديد من أكواب شراب الشعير، وطلبا قهوة بوليفية دسمة بعد وجـــبة تناولاها رويداً رويداً. وبينما كادا ينهيان كوبيهما الأولين، توقفت سيارة جيب بسرعة أمام المطعم، مُحدثةً سحابة كبيرة من الغبار.

وخرج منها جندي بلباسه الرسمي، ودخل، وتوجّه نحو طاولتهما.

"يـــبدو أن هـــناك بعـــض الشوائب في أوراقكما الثبوتية". قال بفظاظة: "يريد الملازم أول التحدث إليكما في الثكنة العسكرية".

فنظر ماكس إلى رولف للتحقق مما يُفترض القيام به أو قوله. وابتسم رولف ودعا النادل إلى القدوم وسكب كوب ثانٍ من القهوة له.

وطلب ماكس كوباً ثانياً من القهوة، غيرَ عالمٍ بما يتوجب القيام به. والتفت إلى الجندي.

"دعنا ننهي وجبتنا فقط، وسنذهب إلى هناك".

فغادر الرجل ذو اللباس الرسمي، وطلب رولف بعد عشر دقائق كوباً آخر من القهوة. وحذا ماكس حذوه.

"يا رولف، ماذا سنفعل؟". سأل ماكس بعصبية وتابع: "لا أستطيع تناول كوب رابع من القهوة، وأعتقد أن صبر أولئك الجنود في سيارة الجيب قد نفد بسبب انتظارنا".

"لا تقلق". أجاب رولف بثقة وقال: "سينتظرون قدر ما يكون عليهم الانتظار. كنت في القوات المسلحة في هولندا، وهذا أمر مسلٍّ بالنسبة إليهم. قد يكون الملازم أول راغباً فقط في التحقق من مخططاتنا بما أننا لم نلازم الفندق ليل أمس".

وهكذا، دفعا فاتورتهما على مَهل وتوجها إلى الجهة الأمامية من المطعم حيث كان لا يزال أربعة جنود بلباسهم الرسمي جالسين في سيارة الجيب وبجانبهم بنادق ثقيلة.

كانت الشمس لا تزال في كبد السماء، وكان الطقس حاراً. فحدّق رولف إلى الطريق الوعر المكسوّ بالغبار، وتبع صديقه.

"ماكس، قل لهم إننا بحاجة إلى السير بعد هذه الوجبة الكبيرة. في استطاعتهم أن يتبعونا بسيارة الجيب، ولكنني أعلم أننا سنشعر بحال أفضل إذا سرنا مسافة ميلَين وصولاً إلى الثكنة من دون أن نُضطر إلى الجلوس بشكل متراصّ في ذلك الجيب غير المريح".

ونقل رغبة صديقه إلى القائد الذي كان ينتظر بصبر، وعندئذٍ، أدرك ماكس أن الأمر لم يعُد مجرّد لعبة.

فأصدر القائد أمراً، وقفز الجنود الأربعة خارج الجيب، وصوّبوا بنادقهم باتجاه رولف وماكس.

"ستدخلان الجيب، وستدخلانه *الآن*". قال لهما القائد بصوت مرتفع وجازم من دون أن يكون في إمكانهما إبداء أي اعتراض. فشعر

ماكس بالخوف، ولكن رولف استمر في الاعتقاد كما يبدو أنها دُعابة كبيرة.

"استرخِ". قال: "هذا ما دُرّبوا على القيام به. لن يطلق علينا أحد النار في الواقع". وابتسم، وصعدا إلى الجيب.

لم يتطلبهم الأمر سوى خمس دقائق للوصول إلى الثكنة العسكرية، وهو المركز الأمامي الأكبر حجماً في يانغاس. كان هناك أكثر من أربعمئة رجل، ولكنهم بدوا أقل عدداً في ذلك الوقت بالذات.

وعندما رحّب بهما ملازم أول شاب لدى وصولهما، سأله ماكس عن بقية الرجال. فشرح له الملازم أوّل أنهم يتعقّبون آخر أفراد ثوار تشي غيفارا. وكانت كل المنطقة قد أُغلقت بوجه الأجانب يوم قفز ماكس ورولف إلى متن مركب الموز، وهو الأمر الذي لم يعرفا به بفضل إضراب وسائل الإعلام. ولدى سماع هذه الأنباء، تبادل ماكس ورولف نظرات قلقة من دون أن يقولا أي شيء.

كان الملازم أوّل شاباً أنيق المظهر وعفوياً. لقد اعتذر عملياً بسبب اصطحابهما إلى هناك في أثناء وجود كل كبار الضباط مع الجنرال في حملة البحث عن المتمردين. وقال إنه بالرغم من كل شيء سيكون لهم شرف القيام بهذه الاعتقالات الأخيرة.

وشرح أن لا وجود لسجن رسمي لديهم، لذلك سيضع ماكس ورولف تحت الحراسة في مساكن الضباط حيث سيمضيان الليل. وأعلمهما كذلك أنهما سيتناولان العشاء معه ومع زوجة الجنرال في ذلك المساء بما أنها الطريقة الأكثر مُلاءَمةً لمراقبتهما.

وبسبب قبّعتَيهما المكسيكيتين وغطاءيهما المبهرَجَين، بدا كما لو أنه يصدّق ما قالاه عن نفسيهما في الواقع، إنهما سائحان لم يسلكا

الطـــريق المعهود، وتمكنا، عن غير عَمد، من تجنّب ثلاث وتسعين نقطة تفتيش منفصلة.

ولكـــنها قـــصة يـــصعب تصديقها، وبما أن كبار الضباط كافة موجودون خارج الموقع، كان خياره الوحيد أن يبعث برسالة بشأنهما إلى القطـــاع الخـــامس، القطـــاع الأمني الأعلى في مقر قيادة القوات البوليفية المركزية المسلحة في لاباز. وطلب تلقّي الأوامر بشأنهما.

قال إنه سيُعلمهما بمصيرهما في أثناء العشاء.

* * *

علـــى جانب الطريق، لاحظ رولف وجود بعض ملاعب التنس الجمـــيلة المخصَّـــصة للضباط كما يبدو. وطلب من ماكس أن يسأل المـــلازم أول عما إذا كان في الإمكان لعب التنس في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم. فمنح الملازم موافقته لأنه لم يجد سبباً للاعتراض.

وبالنتـــيجة، وبعد فترة قصيرة، كان هناك حارسان يتبعان كرات التـــنس في حـــين أبقى الآخرون أسلحتهم مصوَّبة نحو ماكس ورولف لضمان عدم حدوث محاولة للفرار.

في وقـــت متأخر من مساء ذلك اليوم، وفي أثناء تناولهما إحدى الوجـــبات اللذيـــذة التي لم يسبق لهما أن تناولا مثلها، وبعد أن تبادلا أطـــراف حـــديث مشوِّق مع زوجة الجنرال، أرشدهما الملازم أول إلى المكان الذي سيمكثان فيه.

"يشك القطاع الخامس في صحّة روايتكما". أوضح متابعاً: "لقد طلـــبا مـــني أن أرســـلكما إلى لاباز صباح يوم غد ليتمكنوا هناك من اســـتجوابكما بالطريقة الملائمة. ما دام يتم التحقق من روايتكما، فلا شيء يدعوكما إلى القلق".

"حسناً، لسنا جاسوسَين بالتأكيد". أكد ماكس قلقاً.

"أعرف ذلك". اعترف الملازم: "سأرسل راوول معكما كمرافق لكمـــا علـــى متن حافلة الساعة السادسة صباحاً المتوجهة إلى لاباز. ســـتكون الـــرحلة مجانـــية، ولكـــن يتعيّن عليكما شراء الطعام على حسابكما".

ونهض عن كرسيّه.

"لقـــد استمتعتُ بتناول العشاء معكما، وآمل أن يسير كل شيء بشكل جيد في لاباز". قال الملازم.

وفي أثناء مغادرتهما، رمق رولف ماكس بنظرة ساخرة.

"واو، إن التكلفة أقل بدولارَين مما دفعناه للوصول إلى هنا". علّق قائلاً: "لا يمكنك الحصول دائماً على رحلة مجانية!".

كـــان مـــاكس أقل ثقةً بكون هذه الرحلة مجانية، ولكنه ابتسم وأبقى معنوياته مرتفعة.

ومع ذلك، صعب عليه النوم.

* * *

ثبت أن الرحلة على متن الحافلة وفّرت لهما راحة أكبر مما كانت علـــيه حالهمـــا على متن مركب الموز، وتوقفا في بلدة صغيرة، وتناولا الغـــداء. لقد مُنحا فرصة الاختيار من بين أسماك الترويت الصغيرة التي تـــسبح في بِـــرك طبيعية بين الصخور على امتداد النهر، وشُويت بعد ذلـــك. كان مذاقها رائعاً، وشعر الجندي راوول بسعادة غامرة بما أن تعيينـــه كمـــرافق لهما منحه فرصة الحصول على إجازة لمدة ثلاثة أيام يمضيها في لاباز حيث يكون في استطاعته زيارة خطيبته.

لقـــد سار كل شيء بشكل جيد حتى وصلت الحافلة إلى لاباز، وقام راوول بتعريفهما إلى خوان، مرافقهما الجديد إلى القطاع الخامس. كـــان خوان لائقاً، ولكن من الواضح أنه لم يكن يصدّق قصة القبّعتَين

المكسيكيّتَين، والغطاءين الملوّنَين البرّاقَين. ورافق ماكس وورولف إلى سيارة جيب عسكرية فيها سائق وجندي مسلّح.

عند الرابعة من بعد الظهر، وصل الغريبان إلى القطاع الخامس. فأخرج رولف آلة التصوير الصغيرة من طراز مينولتا، وبدأ بالتقاط الصور، ولكن جنديّاً أخذها من بين يدَيه وأدخلهما إلى غرفة كبيرة قبل أن يتمكنا من الاعتراض. وقيل لهما إن الجنرال أناهولا سيلتقيهما ما إن يفرغ من عمله.

عند التاسعة مساءً، شعرا بالجوع. فسألا خوان إذا كان في إمكانهما تناول الطعام، وتفاجأا عندما أمر الجندي بمرافقتهما إلى نادي الضباط حيث قال لهما إن في استطاعتهما طلب وجبتي طعام، علماً أنهما سيدفعان ثمنهما.

بعد نزهة قصيرة سيراً على الأقدام من قسم الاعتقال، توقفا أمام مبنى عسكري يصعب تصنيفه. وعندما دخلا، أذهلت أناقةُ نادي الضباط كلاًّ من ماكس ورولف. كان يشبه نادي ضباط إنكليزي بطاولاته الخشبية قاتمة اللون، وزخرفاته التي تنمّ عن حُسن ذَوق، وتوجد فيه ثماني طاولات فقط، ولا عيب في الخدمة مع وجود أربعة ندّل. كان متناولو العشاء يشغلون ثلاث طاولات، ولكن أيّاً منهم لم يجد أنه من الحكمة الدخول في أي محادثات في الظروف الراهنة.

في أثناء تناول الوجبة، استُبدل خوان بمرافق جديد، خورخيه. وعند انتهاء الوجبة، كان رولف لا يزال يعتقد أن الأمر ليس سوى ممارسة عسكرية مرِحة، واقترح على ماكس أن يشرح أنهما "ضيوف" الجنرال أناهولا، وأن هذا الأخير سيرفع عنهما الحراسة المشدَّدة. وشرح ماكس الأمر بالرغم من عدم اقتناعه بجدوى ذلك وقدرته على الحكم

علـــى واقـــع الأمور بشكل أفضل، فابتسم النادل واستمتعا بوجبتيهما المجانيتين قبل أن يعيدهما خورخيه إلى قسم الاعتقال.

كانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة، ولم يظهر الجنرال بعد.

* * *

شـــاعراً بالـــسأم والتعب، حلّ الاضطراب والقلق على مشاعر رولـــف وقـــضيا على مرَحه المتواصل الذي يعبّر عنه بعبارة *هذه هي الحياة*. وأصبحت لكنته الهولندية أقل وضوحاً وأصعب على الفهم.

"يـــا مـــاكس، اســـأل خورخيه إذا كان في استطاعتنا الاتصال بالقنـــصليتين الهولـــندية والأميركية والتحقق مما إذا كان في إمكانهما مـــساعدتنا". قـــال، وبدا الإجهاد في صوته. "لا نريد تمضية الليلة في السجن. لا بد من وجود مَخرج لذلك".

"يـــا ســـنيور، هل نستطيع إجراء مكالمة هاتفية؟". سأل ماكس خورخـــيه. كـــان الجندي يجلس وراء مكتب في منطقة الانتظار حيث احتُجزا في الساعات الأخيرة، وهناك هاتف على مرأى منهما.

"دعـــني أسأل النقيب موراليس، وأتحقق مما إذا كان يُسمح لكما بذلك". أجاب خورخيه.

مُـــنحت الموافقة بعد خمس دقائق، وكان عند الطرف الآخر من الخط الهاتفي موظف في القنصلية الأميركية.

"ذهب القنصل إلى المنـــزل منذ ساعات". أبلغ الموظف ماكس: "ســـيكون وضعك أول أمر أطرحه عليه في الصباح، ولكنني لا أستطيع القيام بأي شيء هذا المساء".

وهكذا، أنهى الموظف المكالمة الهاتفية.

مـــن جهـــة أخرى، وعندما اتصل رولف بالقنصلية الهولندية، تم تحـــويله على الفَور إلى منـــزل الدبلوماسي. فتحدّث القنصل الهولندي

إلى كبير الضباط في مركز الاعتقال، النقيب موراليس، وتمكّن من نقل رولف وماكس إلى عُهدة القنصلية الهولندية. وقال أيضاً إنه يتعهد بعدم محاولتهما مغادرة بوليفيا حتى حل قضيّتهما.

في غضون خمس وأربعين دقيقة – قبل منتصف الليل تماماً – وصل القنصل الهولندي بنفسه إلى القطاع الخامس، ووقّع المستندات المطلوبة، وتمّت مواكبة رولف وماكس إلى فندق متواضع حيث بقي جندي من القوات المسلحة البوليفية عند باب غرفتهما لضمان عدم حدوث أي محاولة للفرار.

في صباح اليوم التالي، تمّ إيقاظهما عند السادسة واصطحابهما إلى القطاع الخامس. وبعد فترة انتظار دامت ساعة ونصف، استدعى الجنرال أناهولا ماكس.

دخل ماكس غرفة صغيرة تحتوي على مصباح كهربائي واحد مستدلٍّ من السقف؛ كما شاهد في الأفلام السينمائية القديمة التي يحب مشاهدها. كان مستعداً للأسوأ، لا بل للتعرض للتعذيب أيضاً، ولكن آلة التعذيب الوحيدة لم تكن سوى آلة كاتبة يدوية قديمة موضوعة على طاولة، وتُحدث ضجيجاً مزعجاً كلما تم استخدامها.

كان الجنرال جالساً إلى الآلة الكاتبة، وشرع على الفور بطرح أسئلة عليه.

"كم مضى على كونك عضواً في الأن أل أف؟". سأل.

"ما هي الأن أل أف؟". أجاب ماكس بنيّة صافية.

"*جبهة التحرير الوطنية*". أجاب الجنرال: "أولئك الذين يدعمون تشي غيفارا وحيواناته".

"لا، أنا لست عضواً في تلك المجموعة. حتى اللحظة، لم أكن أعرف بوجودها".

"إذاً، لا بـــد مـــن أنـــك عـــضو في السّي آي أيه". قال الرجل العسكري بفظاظة.

"لا". أجـــاب ماكس، محاولاً المحافظة على ثبات نبرة صوته: "لا أظـــن أنني بلغتُ سنّاً كافية تمكّنني من الانضمام إلى السّي آي أيه، ولما انتسبتُ إليها على كل حال".

"ما حزبك السياسي؟". سأل الرجل.

"لا أزال صـــغير السنّ للمشاركة في انتخابات الولايات المتحدة، ولكنني لو كنت أكبر سنّاً لانتسبتُ إلى الحزب الديموقراطي".

واستمر الاستجواب لمدة سبع ساعات، وتناول كل لحظة أمضاها مـــاكس ورولـــف، وتطرّق إلى كل حافز ممكن. وذُكر في التقرير كل شخص؛ بدءاً بالمسؤول البوليفي الأعلى في القنصلية في أريكويبا وانتهاءً بنادل المشرب في كاراناڤي.

بعد انتهاء الساعات السبع، كان الجنرال أناهولا قد أعدّ مستنداً من صفحتين لا يحتوي على أي سطور فارغة بين سطر وآخر، ويتطرق إلى أربع وأربعين نقطة. فقرأ ماكس المستند ووقّع عليه، مؤكداً أن كل ما كُتب هو *اعتراف* صحيح وحقيقي.

ويـــورد المـــستند بالتحديد كيفية انسلال ماكس ورولف عبر الأجهزة الأمنية، وكيفية عملهما مع *مشروع الصداقة*، واتخاذهما قراراً باســـتقلال حافلة *كوليكتيفو* من بونو، ومصادفتهما أرشيبالد بنسن في الـــشارع في لابـــاز، وتفاصـــيل رحلتهما غير المحتمَلة كافة لصيد الجاغوار.

لقـــد وجد ماكس صعوبة في تصديق ما دُوِّن، ولكنه وقّع المستند وعاد إلى غرفة الانتظار، مرهَقاً، حيث كان رولف ينتظره بقلق حاملاً آلـــة التـــصوير الصغيرة من طراز مينولتا. وبدا الاضطراب على وجه

رولـــف، وشرح قائلاً إن التقاط صور للسكان المحليين والحيوانات في الدَّغل هو الذي أفسد الأمور.

لم يكـــن مـــاكس مـــتعاطفاً معـــه كثيراً؛ لقد أرهقته ساعات الاســـتجواب الـــسبع. وحان دور رولف، ولكن الاستجواب لم يدُم سوى خمس دقائق، وعاد بابتسامة واسعة على وجهه.

"ماذا حدث؟". سأل ماكس غير مصدِّق.

"حـــسناً، كما تعلم، إن لغتي الإسبانية غير جيدة. لذلك، سألوني فقط عما إذا كان كل ما قلتَه صحيحاً. فقلتُ *ماكس لا يكذب أبداً*، ووقّعتُ على اعترافك نفسه".

* * *

بالرغم من التوقيع على "اعترافيهما"، أُبقي ماكس ورولف تحت المـــراقبة العـــسكرية طوال سبعة أيام. وسُمح لهما بتمضية لياليهما في الفندق، ويقوم مرافق عسكري بإيقاظهما عند السادسة من صباح كل يوم، ويُعيدهما إلى القطاع الخامس لمزيد من الاستجواب.

وماكس هو الوحيد الذي خضع للاستجواب في الواقع، ولم يتم إدخال رولف معه إلى غرفة الاستجواب.

لقد تم التحقق تكراراً من كل تفصيل في روايتهما، فأُجري اتصال بالفندق في لاباز، وتبيّن أنه لم يكن لديه أي سجل يشير إلى نـــزولهما فيه. وأُرسل محققون إلى أريكويبا، وكوباكابانا، وكاراناڤي، للتحقق من كل تفصيل، واسم، و"مصادَفة".

في الليل، كان في استطاعتهما الذهاب إلى المكان الذي يختارانه، بمـــا أن الاثنين قد كفلهما القنصلان الهولندي والأميركي، ولكن تحت الحراســـة. وذهـــبا ذات مـــساء لحضور مباراة في كرة القدم، وكان المـــرافقون التسعة مسرورين جداً بذلك، وقد حضروا كلهم في الوقت

نفسه – بالرغم من تناوبهم – للتأكد من أن ماكس ورولف لن يحاولا الفرار.

لقد تمكنوا بالصُدفة من الاستمتاع بالمباراة الكبيرة ضد بيرو المجاورة.

في نهاية الأسبوع، وبعد أن عجز المحققون العسكريون عن العثور على أي ثغرة في تأكيد الموقوفَين الأجنبيَّين المذهل بالرغم من عدم احتمالية حدوثه، أُبلغا أنهما يملكان حرية الذهاب في صباح اليوم التالي، وأنه سيتم اصطحابهما إلى محطة الحافلات ونقلهما إلى تياهواناكو، وهو الموقع الصوفي القديم، ووضعهما على متن مركب يُقلّهما إلى بينو في البيرو حيث يُعاد إليهما جوازا سفرهما عندما ينزلان من المركب. وتمّ تعيين ضابطَين عسكريين لمرافقتهما في المرحلة الأخيرة من مغامرتهما البوليفية.

كان الضابطان مسرورَين بهذا التعيين لأنهما رافقا ماكس ورولف في زيارتهما إلى الأطلال العائدة لحضارة الإينكا في تياهواناكو. وبعد انقضاء أسوأ ما في "مغامرتهما"، انتاب ماكس شعور بالارتياح عند الأطلال، إضافةً إلى شعور بالعجَب. كان قد قرأ عن فيراكوشا سيد الشمس القديم ، الذي يُعتقد أنه خرج من مياه بحيرة تيتيكاكا المجاورة وابتدع حضارة أول شعب أصلي.

وأطلال تياهواناكو هي نُصب تذكاري لهذا المعلّم والقائد العظيم، وتدور الأساطير حول وصوله ومغادرته. وتمتاز الأطلال بطابع فريد كما لو أن الصخور نفسها لا تزال تتنفس وتنقل الدروس القديمة لفيراكوشا الأسطوري.

وأكد الضابطان أنهما يصدّقان الأساطير القديمة والاعتقاد المحلي أن بحيرة تيتيكاكا ومياهها المجدِّدة للشباب والنشاط هي مهد البشرية.

وهناك أيضاً من يعتقد أن البحيرة ستغدو مجدداً في الأزمنة القادمة مركز القوة الروحية للكوكب بأكمله، مبشِّرين بعصر جديد للبشرية.

* * *

بعد وصولهما إلى مكاتب مراقبة الهجرة في البيرو، رحّب بماكس ورولف مسؤولان رسميان مبتسمان كانا يحملان جوازَي سفرهما.

"نحن في انتظاركما. أهلاً وسهلاً بكما في البيرو". وسلّماهما جوازَي السفر، وقد خُتمت على الطابع البوليفي عبارة "شخص غير مرغوب فيه"، وكان يوجد تحتها ما يوضح بالإسبانية أن هذين الفردَين المريبَين غير مرغوب فيهما كزائرَين إلى بوليفيا في أي ظرف من الظروف.

الفصل السادس

شخص غير مرغوب فيه

نيسان/إبريل 1973

عندما بلغ ماكس الثانية والعشرين من عمره، تخرّج من يال، وبدأ العمل في شركة النشر التابعة لوالده، وأصبحت مغامراته البوليفية مجرد ذكرى مثيرة.

وسمح له العمل بكسب المال وتعلّم القواعد والإجراءات المعتمَدة في عالم النشر. لقد تعرّض والده لنوبة قلبية طفيفة سمحت لماكس بالتقرّب منه بشكل وثيق.

كان قد عمل لدى والده مدة تسعة أشهر عندما تولى مهمة إعادة كتابة وتطوير كتاب الاستعداد للاختبارات بعنوان: "*كيف تُحرز نقاطاً عالية في اختبار دخول كلّية الطب؟*"، مستمراً في النجاح الذي حققه والده في ميدان مساعدة الطلاب على اجتياز طريقهم إلى النجاح. لم يكن ماكس يعرف شيئاً عن الطب، ولم يسبق له أن حضر أي مقرر دراسي في هذا الشأن بعد المدرسة الثانوية، ولكنه يعرف كيفية إجراء بحث إضافةً إلى الكثير عن إعداد الاختبارات.

كان يُقيم آنذاك في نيوبورت، كونكتيكت، ويتوجه كل يوم إلى المكتبة العامة للشروع بعمله اليومي.

وعند الظهر، يكون جاهزاً للاستراحة.

وبما أن "الواي أم سي أيه" موجودة في المبنى المجاور، ويقوم دَوري كرة القدم بالبحث عن لاعبين جدد، عمد ماكس إلى التسجّل. عندها التقـــى بجورج هاردي، وهو منتج أفلام مستقل وكاتب. وبالرغم من كـــون جورج أكبر سنّاً منه بعشرين عاماً، كان لاعباً كفؤاً وتنافسياً، وأصبح وماكس خصمَين وشريكَين في المباريات الثنائية بشكل منتظم.

كـــان ماكس يتطلّع باستمرار إلى لعب كرة القدم مع جورج في "الواي أم سي أيه"، وتمضية بعض الوقت في التحادث بعد كل مباراة، فيـــشاطره ماكس شغفه بأميركا اللاتينية، والثقافة، والشعب، واللغة، ويُظهــــر حماسة بالغة لدى سرد خبراته لجورج الذي لم يكن التأثير فيه أمراً سهلاً، ومع ذلك فقد كان يُؤخذ بحماسة الشباب لدى ماكس.

لقـــد وافـــق جـــورج علـــى إنتاج فيلم لمؤسسة رالف كوهين بروداكشنـــز بعنوان *البحث عن ألغاز قديمة*، وكان يبحث عن شخص مـــا لاستكشاف المواقع في أميركا الجنوبية. لقد أعجبه ماكس بسبب تمتّع هذا الأخير بمناقبية جيدة في العمل، وإجادة اللغة الإسبانية، ومعرفته بثقافة أميركا الجنوبية.

"مـــا الأمـــر؟". قـــال ذات يوم: "إنها ليست عملية جراحية في الـــدماغ". وهكذا، عرض جورج العمل على ماكس في غرفة الخزائن بعد مباراة اتخذت طابع المنافسة بصفة خاصة.

"هـــل سمعـــتَ يوماً بإريك فون دانيكن وكتابه *البحث عن روّاد الفضاء القدماء*؟". سأل بينما كانا يرتشفان معاً القهوة.

"لا". أجاب ماكس بصدق.

"إنـــه الـــشخص الذي يعتقد أن روّاد فضاء قادمين من الفضاء الخارجـــي اســـتوطنوا الأرض طوال آلاف السنين، وكانوا سبب أحد ألغـــاز الحضارات القديمة التي لا يمكن تفسيرها. لقد شرح رود سرلينغ

في برنامج خاص على شاشة الأن بـــي سي مضمون كتبه. فالعديد من المواقع التي ذكرها موجودة في أميركا الجنوبية، وأعتقد أنك خيار جيد للمـــساعدة علـــى اختيار لائحة بمواقع خاصة بالفيلم. هل تعتقد أنك ستكون مهتماً بالأمر؟". سأل جورج.

من دون تردد، اغتنم ماكس الفرصة.

"بالتأكيد، يبدو الأمر ممتعاً". أجاب.

* * *

في اليوم التالي، قام جورج بتسليم ماكس موجزاً عن الفيلم مؤلفاً مـــن أربع عشرة صفحة، إضافةً إلى لائحة أولية عن المواقع التي تتضمن تـــياهواناكو في بوليفيا، وكوزكو في البيرو، وأماكن أخرى غير عادية تتباهـــى بألغاز لا يمكن تفسيرها، وتشير إلى احتمال وجود روّاد فضاء من كواكب أخرى على الأرض في الأزمنة القديمة.

كان جورج صريحاً تماماً حول تقلّب مفهوم الفيلم.

"ما نكتشفه قد لا يكون على مستوى الآمال". قال: "ليس هناك ما يُثبت أن فون دانيكن على صواب، أم أنه يصدّق الأمر".

"حـــسناً، بعـــد أن أطلعتَني على نظريته، اطّلعتُ على كتابه في المكتـــبة، وعلـــيّ القـــول إن قسماً كبيراً من محتوياته بعيد الاحتمال علـــى الأقل، هذا إذا لم تكن هناك أمور ملفّقة بشكل كامل". أسرّ ماكس.

"إذاً، حـــسناً، أعـــتقد أن هذا المشروع لا يثير اهتمامك". قال جورج بنبرة تنمّ عن خيبة أمل.

"لا، بـــل العكـــس تمامـــاً، أجـــده مشروعاً فاتناً، ويُسعدني أن أســـاعدك. أحـــب استكشاف الألغاز القديمة والحضارات القديمة. إن العمل معك مثير للحماسة".

"عظيم!". أجاب جورج: "سيكون راتبك الأساسي 125 دولاراً في الأسبوع، وأعتقد أنك ستقوم بعمل رائع. وبالإضافة إلى اختيار فريق العمل ووضع لائحة بالمواقع، أنا بحاجة إليك أيضاً للإعداد لإدخال فريق عملنا وتجهيزاتنا إلى كل من البلدان التي نخطط لتصوير الفيلم فيها. هل تظن أن في استطاعتك القيام بهذا الأمر؟".

"بكل تأكيد". أجاب ماكس بثقة.

وهكذا، طلب إجازة من دار نشر الكتب التابعة لوالده للتغيّب عن العمل، وكرّس نفسه للمشروع بحماسة. وبدأ البحث الأساسي، وقرأ في غضون أربعة أسابيع كل موضوع نشرته *الناشيونال جيوغرافيك*، ووضع لائحة بالأماكن المرتبطة بالألغاز والمواقع القديمة في بوليفيا، وإنكلترا، وسوريا، وفلسطين المحتلة، واليونان، والهند، واليابان.

وعندما التقيا، أُعجب جورج بما أنجزه ماكس حتى ذلك الحين، وعرض عليه منصب منسّق الإخراج في المشروع، مما يعني أنه سيشارك في أعمال التصوير اليومية في البلدان كافة. ورفع جورج الأجر الأسبوعي لماكس إلى 150 دولاراً.

فجأةً، وصل خبر تقديم موعد الشروع بتصوير *البحث عن ألغاز قديمة*. سيكون عليهم مضاعفة جهودهم ليكونوا مستعدّين للمواعيد الجديدة ووصول الفريق الجديد.

"هل يمكنك الذهاب إلى البيرو خلال الأسبوعين التاليين؟". سأل جورج ماكس.

في الواقع، كان ماكس مستعداً للذهاب، ولكن هناك مشكلة. لم يتسلّم الأذونات الضرورية من السفارات التي تسمح لهم بالتصوير في الدول المعنية.

ولم يبدُ جورج شديد القلق، وقد عبّر عن ثقته أن كل شيء سيجري في الوقت المناسب، وهو أمر فاجأ ماكس ولم يكن واثقاً من ذلك، فتوجّه إلى ليما والبيرو بعد أيام وحجز في فندق شيراتون، وهو الأكبر والأفخم في ليما.

لقد ثبُت أن جورج يحافظ على رفاهيته باستمرار في أسفاره (فنادق من الدرجة الأولى، وأفضل المطاعم...). وكان يتوقع أن يعامَل فريقه بالطريقة نفسها. لقد علّمته سنوات في ميدان الأعمال الترفيهية، كما قال لماكس، أن فريق عمل مكتفياً يؤدي إلى فيلم ناجح.

وبما أن ماكس عضو في الفريق - مستطلِع - فقد جنى فوائد المساكن الفخمة. ولكن كان لا يزال يتعيّن عليه القيام بمهمة عسيرة؛ يصل بقيّة أفراد الفريق في غضون خمسة أيام، ويتعيّن عليه التأكد من تلبية متطلباتهم كافة.

وتمثّلت الخطوة الأولى بلقاء السكرتير الثاني لوزير الشؤون الثقافية البيروفي، السِّنيور ألتامونتانا، ولكن الأمر لم يجرِ بشكل جيد. كان ألتامونتانا قصير القامة، يضع نظارة، ويتمتع بطاقة كبيرة. وعندما رحّب بماكس، بدا كما لو أنه لا يعرف شيئاً عن إنتاج الفيلم.

فصُعق ماكس، ولكنه استعاد تركيزه بسرعة.

"ولكن، ألم تستلم رسالتي؟". قال: "لقد أرسلتها منذ أكثر من أسبوعين".

فأجاب السكرتير الثاني للوزير قائلاً إنه لم يستلم الرسالة، وحتى ولو استلمها فإن الأمر يتطلب اثني عشر أسبوعاً للحصول على الموافقات المطلوبة وانتهاء الإجراءات الجمركية للسماح للتجهيزات بالدخول وتصوير الفيلم.

بازدياد قلق ماكس، شرح ألتامونتانا بهدوء قائلاً إن القانون الجديد وُضع في ذلك العام لحماية صناعة الأفلام البيروفية.

"لن تكون هناك أي استثناءات". قال السكرتير الثاني لماكس بنبرة الأمر الواقع.

فشعر ماكس بالإرباك.

ماذا الآن؟ قال في نفسه، مفكراً في حلول سريعة.

في تلـــك اللحظـــة، دخل مساعد السكرتير الثاني الغرفة حاملاً كدسة صغيرة من المغلفات على صينية فضيّة؛ البريد اليومي.

هـــناك، وفي أعلى الكدسة، رأى ماكس شيئاً مألوفاً: الرسالة التي كان قد أرسلها مع مزيد من الطوابع البريدية ليتم تسليمها بسرعة.

"هــا هي رسالتي". صاح ماكس فرِحاً: "رجاءً، افتحها فحسب. ستجد كل ما تحتاج إلى معرفته هناك".

وبالـــرغم من ظهور أمارات الارتياب على وجهه، فتح السكرتير الثاني المغلف، وقرأ الرسالة المطبوعة تحت شعار فيوتشر فيلمز.

لقد تأثر السكرتير الثاني بتوقيت تسلّم الرسالة والتأكد من قانونية المـــشروع، ولكـــنه تشدد بشأن استحالة منح الإذن خلال هذه المدة القـــصيرة. فـــشرح لمـــاكس قائلاً إن اللجنة الخاصة بالشؤون الثقافية ســـتكون بحاجـــة إلى الاطـــلاع على نص الالتماس. وكرّر أن شهر أيلول/سبتمبر سيكون أقرب تاريخ للنظر في الطلبات المقدَّمة.

كان ذلك الشهر شهر حزيران/يونيو.

"ولكن فريقي سيصل في غضون خمسة أيام". قال ماكس معترِضاً.

"أيّــاً يكـــن الظـــرف، لن يُسمح لأعضاء الفريق أو لتجهيزاتهم بالدخول". أجاب ألتامونتانا بحزم: "لذلك، من الأفضل لك أن تُعلمهم بعدم القدوم".

وانتهى الاجتماع، وخرج ماكس مغتمّاً. لقد بدا أن نجاحه الباهر والفجائي في مهنة البرامج التلفازية انتهى قبل أن يبدأ.

كان من المقرَّر أن ينضم إليه جورج في ليما، ولكنه لم يستطع انتظار وصوله. فاتصل على الفور بأحد المنتجين، دان براندون، في لوس أنجلوس وقال له: "هناك مشكلة".

"لا تقلق". أجاب دان مبتهجاً، وغضّن ماكس جبينه مُربَكاً. "لقد استبقنا اضطرارنا إلى تسريع جدول الأعمال وإمكانية مواجهة مشكلة مع المسؤولين البيروفيين. لحسن الحظ أن جوليان جاسبر من يو أس سي هو أحد أصدقاء رالف كوهين المقرَّبين".

فلم يعرف ماكس الاسم، وأضاف دان.

"كان جوليان في فريق السباحة وشارك في الألعاب الأولمبية. إنه عنصر جيد، ويدير صناعة الأفلام في البيرو، حتى إنه يملك شركة الحافلات الرئيسة في ليما وعدداً من المؤسسات الأخرى. لقد وافق على لقائك.

"هو يقيم في ميرافلوريس وينتظرك على الغداء".

بالرغم من ابتهاجه بقدر ابتهاج دان بسبب هذا الأمر، كانت لا تزال لدى ماكس شكوك قوية عندما أُنهيت المكالمة الهاتفية. قد يكون جوليان "شخصاً قوياً" ومنتج أفلام مقتدراً، ولكن مساعد السكرتير الثاني لوزير الشؤون الثقافية البيروفي كان واضحاً، يتطلب الأمر الحصول على موافقات، والتقدّم بنموذج عن السيناريوهات، وانتظار اثني عشر أسبوعاً على الأقل.

مع ذلك، كانت ميرافلوريس بمثابة بفرلي هيلز ليما، لذلك، سيحظى ماكس على الأقل بغداء ممتع.

وعندما وصل إلى ملكية جاسبر، استقبله خادم منزلي يرتدي ثياباً لا عيب فيها، ورافقه إلى البستان حيث يجلس جوليان إلى مائدة

غـــداء أنيقة مع زوجته وابنته، وقد وُضِعَت عليها زهور وأوانٍ خزفية صـــينية، وكان البستان مليئاً بأشجار الفاكهة وبعدد كبير من مشاتل الزهور المزروعة بطرائق غير عادية.

كان جوليان شخصاً ضخم البنية ومبتهجاً. فنهض وعانق ماكس وعرّفه إلى عائلته.

كان الطعام ممتازاً والمحادثة لطيفة ومليئة باقتراحات حول المشاهد التي يُعتقد أن ماكس سيلتقطها في ليما. وبالرغم من قلقه حيال وصول فريق التصوير، بدأ ماكس بالاسترخاء في الواقع.

وبعد الغداء، انتقلوا إلى بناء مُطلّ في جزء آخر من البستان، حيث تطرّق جوليان إلى الموضوع الرئيس.

"ليس عليك القلق". قال مبتهجاً: "لقد اهتممتُ بكل شيء. لن يواجه فريق عملك والتجهيزات أي مشاكل تتعلق بالحصول على إذن للتصوير".

فصُعق ماكس.

"ولكـــن، هـــل هذا ممكن؟ لقد غادرتُ مكتب مساعد الوزير منذ ساعات قليلة فقط، وأُبلغت أن القانون الجديد لن يسمح بأي استثناءات".

فكـــشف جولـــيان أنه من وضع قواعد وقوانين تصوير الأفلام بنفسه، وأنها وُضعت بشكل أساسي بحيث تحميه وتحمي أصدقاءه. وبما أن ريتـــشرد كوهين هو صديقه، اتفقا على أن يكون فيلم *البحث عن ألغاز قديمة* إنتاجاً مشتركاً مع جاسبر بروداكشنـــز.

وهكـــذا، فقد غدا إنتاجاً بيروفياً ولن يخضع لأي قوانين جديدة. وأضـــاف أنه قد تكون هناك مشكلة صغيرة مع الجمارك بسبب وجود قانـــون وطـــني يقضي ببقاء تجهيزات مماثلة أسبوعاً على الأقل في عزلة إلزامية درءاً لأعمال التهريب.

ومن جهة أخرى، كان جوليان قد حصل على ميدالية رئيس بلدية ليما الفخرية بسبب خدمة النقل بالحافلات التي يؤمّنها لعامة الناس. وقد أهّلته الميدالية ليكون مستثنى من القوانين كافة المُلزِمة لموظفي المدينة. وبما أن بعض مسؤولي الجمارك هم مسؤولون في المدينة، كان على ثقة تامة أن مكانته الفخرية ستسمح بإدخال التجهيزات.

كان جوليان مُحِقاً في كل شيء، وأُنقذ النهار.

* * *

بضمان الجانب البيروفي، كانت بوليفيا المحطة التالية على جدول أعمال ماكس، وحان الوقت ليقوم بإخبار جورج أنه شخص غير مرغوب فيه في ذلك البلد مما يحول دون تمكّنه من التوجه إلى جنوب لاباز حيث يُفترض به تصوير تياهواناكو وبحيرة تيتيكاكا.

ووصل جورج إلى ليما، والتقيا في رَدهة الشيراتون. كان جورج قد احتسى البيسكو سورز، وهو الشراب البيروفي الأصلي، لذلك جرى اللقاء بشكل أفضل مما يتوقعه ماكس.

"حسناً، ما دمتَ على اتصال بأشخاص هناك يلبّون متطلباتنا، وبما أنّ جدول الأعمال محدَّد، أظن أن الأمر سينجح". قال جورج بين رشفة وأخرى. "يمنحك هذا الأمر يوماً أو يومين إضافيَّين هنا في البيرو. لِمَ لا تصعد إلى تروجيلو لمعاينة الأهرامات، والتحقق مما إذا كان في الإمكان تصوير أي شيء أو أي شخص يمكننا إجراء مقابلة معه؟".

الفصل السابع

بدأت الرحلة بالحب

حزيران/يونيو 1973

نــــــزل ماكس من الطائرة في تروجيلو، واستقلّ سيارة أجرة إلى الفندق المحلي. فبالرغم من الحجم الأكبر للمدينة في شمال البيرو، كانت تروجيلو لا تزال تستعيد حياتها الطبيعية بعد الزلزال، ويوجد فيها فندق فخم رئيس واحد.

بعد تسجيل اسمه، كشف ماكس عن مهمته لموظف الفندق الذي يدعـــى خوســـيه، وســـأل عن مدى بُعد الهرم القديم والأطلال. كان خوسيه سعيداً جداً بتقديم المساعدة، ولم يمضِ وقت طويل حتى وصلت سيارة الأجرة لاصطحاب ماكس في مهمة لاستكشاف هرم هواكا دي لا لونا، أو معبد القمر.

في أثناء تجوّله في هذا البناء الضخم الذي يحيط به الغموض، وعلى بُعد ميلَين ونصف فقط من المدينة، دنا من ماكس عدد كبير من "علماء الآثـــار الهـــواة"، وعرضوا عليه شراء ذخائر قديمة مُبجَّلة ومنحوتات. وبالرغم من جدران الهرم المتقَنة والمثيرة للإعجاب، لم يكن يحتوي على أسرار هامة لحبكة رواية فون دانيكن.

وبعـــد عـــودته إلى الفندق، وجد شاباً حيوياً وذا شعر أسود في انتظاره. فعرّف الرجل بنفسه قائلاً إنه إدواردو، وشرح أنه يعمل لصالح المحطة التلفازية المحلية.

"لم يسبق أن قدم فريق عمل أميركي إلى تروجيلو لتصوير فيلم، باستثناء تغطية الزلزال، ونرغب في إجراء مقابلة معك". قال.

كان ماكس صادقاً مع إدواردو وأخبره أن التصوير في تروجيلو هو أمر غير مؤكّد. ومن جهة أخرى، لم يكن المراسل التلفازي الشاب المتحمّس مهتماً كثيراً بذلك الأمر كما يبدو، وغادر لاصطحاب فريق التصوير.

فافترض ماكس أنه أسبوع إخباري مُملّ.

بعد دقائق، عاد إدواردو برفقة المصوّر، ريجينالدو، والمرأة الأكثر جمالاً وفتنة التي رآها ماكس يوماً.

كان اسمها ماريا، في العشرين من عمرها، وكانت نحيلة، وشعرها قاتم اللون، وعيناها بنيتين داكنتين، وابتسامتها سلسة ونابضة بالحياة، وتتمتع بتركيز يُفقد المرء اتزانه.

كانت ماريا ترتدي ملابس بسيطة عبارة عن بلوزة وبنطال فضيَّين. وكما شرح إدواردو، فهي مساعدة المنتج في البرنامج الإخباري، وتقوم بالقليل من كل شيء. فابتسمت لماكس وبدت مهتمّة له في أثناء وجوده معها.

بعد انتهاء المقابلة، غادرت برفقة ريجينالدو وإدواردو. وبعد لحظات، عادت لتطلب من ماكس تدوين اسمه، واسم شركة الإنتاج، وبعض التفاصيل الأخرى التي ذكرها خلال المقابلة. وبعد الحصول على المعلومات المطلوبة، استدارت للمغادرة ولكنها توقفت فجأةً ونظرت إلى ماكس.

"هل أنتَ بمفردك هنا؟". سألت، وقفز قلبه في صدره. "هل ترغب في رفيق على العشاء؟ أعرف أفضل المطاعم في تروجيلو".

فاستعاد ماكس رباطة جأشه بسرعة وقال إن الانضمام إليها هو أمر يَسرّه. ولم يمضِ وقت طويل حتى استقلا سيارة أجرة في طريقهما

إلى مطعم صغير تذوّقا فيه أسياخ قطع قلب عِجل مشويّ ومبهَّر، وتلا ذلك طبق لحم هندي مشويّ مع خضار غريبة لم يتمكن من معرفتها، ولكنه استمتع بها بالرغم من ذلك.

طـــوال العـــشاء، لم يتمكن ماكس من الامتناع عن التحديق إلى عـــينيّ ماريا. كانتا قاتمتَي اللون ولا نهاية لغوريهما، ووجد نفسه يفقد تسلسل أفكاره أيّاً يكن الموضوع المطروح.

وبـــدت ماريـــا مأسورة بماكس بالطريقة نفسها، واعترفت أنه السائح الأميركي الأول الذي قابلته يوماً.

"هل كل الأجانب مثيرون للاهتمام على غرارك؟". قالت ممازحة: "وهل يتكلمون كلهم لغة *الكاستيلانو* بهذه الطلاقة؟ أشعر تقريباً كما لـــو أنني أتحدث إلى ملك إسبانيا. لغتك الإسبانية أفضل بكثير من لغتي التي أخجل بها إلى حدٍّ ما". وضحكت.

ومتّسماً بطابع جدّي أكبر وتائهاً في جمال ماريا، تمتم ماكس قائلاً:

"حـــالفني... حالفني الحظ إذ قمت بجولة في أنحاء أوروبا والقارة الأميركـــية في سنّ مبكّرة، ولكنني لست مثيراً للاهتمام إلى هذا الحدّ. عالمك يفتنني بقدر ما يفتنك عالمي، وربما أكثر. أحب طريقة حديثك، وفي صوتك عذوبة وموسيقى طبيعية بَحتة".

وكلمـــا تحدثت ماريا شعر ماكس أكثر فأكثر كما لو أنه يفقد السيطرة على ذاته.

لقـــد بقـــيا في المطعم إلى ما بعد منتصف الليل حتى أغلق المطعم أبـــوابه. لم يشأ أي منهما أن ينتهي الليل، لذلك طلبا من سائق سيارة الأجرة أن يُقلّهما إلى المتنـــزّه العام الواقع إلى جانب الفندق حيث يقيم ماكس. وبينما كانا يسيران وسط الأشجار ممسكَين بيد أحدهما الآخر تحت السماء الساطعة بضوء النجوم، قام رابط بينهما.

بالنسبة إلى ماكس، بدا الأمر كما لو أنهما يعرفان بعضهما بعضاً منذ زمن بعيد. وأخبرته ماريا عن عائلتها وجذورها الإينكية الأصلية. وتحدثت عن اعتقادها الراسخ بقوة روحية تتخطى الإدراك البشري، وكيف أن لكل الأشياء حياة. "حتى الصخور والأشجار تملك وَعياً". قالت.

وأعربت عن اعتقادها بعودة أسياد الإينكا القدماء ذات يوم، فيحكم شعب الإينكا الحقيقي مجدداً أرضهم الأم. وتحدثت عن تقبّلها الطقوس والممارسات الكاثوليكية التي لا تسمح بممارسة الجنس إلا بعد الزواج فقط.

وبعد جلوسه بجانبها على مقعد خشبي، وجد ماكس أن الكلمات تخرج من فمه بشكل متعثّر وعلى نحو غير متوقّع ومضبوط.

"أعرف أن هذا الأمر يبدو جنونياً، ولكنني مُغرَم بك تماماً". قال: "أرغب فيك بقوة أكبر مما رغبتُ في حياتي في امرأة أخرى. حبي لك طاهر لم يسبق لي أن اختبرته...".

"أعلم أن الأمر ضرب من الجنون التام...".

وفجأةً، طبعت ماريا على شفتَيه بشغف قبلة طويلة. وحدّقا إلى عيني بعضهما بعضاً، وشاهد في ثلاثين ثانية عمراً يمضيانه معاً. ولدى النظر إلى وجهها، وجد أن الفكرة نفسها تستحوذ عليها.

فسمعا صوت طفل حديث الولادة يبكي.

وشاهدا نفسَيهما يتقدّمان في السنّ معاً ويغدوان جداً وجدة.

ورأيا مستقبلَين مماثلَين و لم يتحدثا.

لم يكن في الإمكان التعبير بكلمات عن وضوح الاختبار، ووصف الشعور المتبادَل.

أخيراً، تكلمت ماريا.

"أحـــبك كما تحبني، وأنا مستاءة على غرارك. إنه حب لا يمكن تجسيده أبداً بالأعمال، ولكنه حب رفعته قبلتنا إلى مستوى الكمال في ملء الزمن وسيعيش في ذاكرتنا إلى الأبد".

ولـــزم ماكس الصمت، مصدوماً بهذا الاعتراف بالحب، ومُربَكاً وحائـــراً علـــى حدٍّ سواء. لقد رأى حياةً مع هذه المرأة. كان يعرفها، وأراد البقاء معها حتى نهاية الأزمنة.

وأدرك أيـــضاً أن ماريا صادقة وأن ظروفهما لن تسمح بارتباط على مدى الحياة من النوع الذي نشأت ماريا على الإيفاء به.

كـــان علـــيه الاتصال بجورج في لاباز في غضون ساعات قليلة، وإبلاغه بما إذا كان هناك ما يمكن تصويره في تروجيلو، على أن ينتقل بالطائرة بعد ظهر ذلك اليوم من ليما إلى كيتو، الإكوادور، ومن ثم إلى لـــندن. فهـــو يكاد لا يملك الوقت للاستحمام والتوجه إلى المطار في تروجيلو للسفر إلى ليما.

وبتبادر هذه الأفكار وغيرها إلى ذهنه، نظر ماكس إلى ماريا بمزيج من الفرح والحزن والتسليم، ورفع يدَيها ووضعهما على قلبه.

"كانت ليلة، ولن أنساك أبداً".

فأخرج قلماً وورقة، وطلب من ماريا أن تدوّن اسمها وعنوانها كي يتمكن من الاتصال بها.

وســـلّمته ماريـــا الورقة التي كتبت عليها اسمها وعنوانها البريدي الكامل.

ماريا ماغدالينا راميريز

224 كالي دي لاس فلوريس

تروجيلو 9490 البيرو

ودخل ماكس في حالة صدمة.

هـو اسم رآه قبل سنوات من دون أن يتمكن من تذكّره بالرغم من محاولته الجاهدة. ولكنه بدا شديد الوضوح في أثناء التحديق إليه مدوَّناً على الورقة التي يُمسك بها بإحكام.

فاسم ماريا هو أول الأسماء الاثني عشر التي اختبرها في أثناء اختبار حالة النورانية.

ونظر إلى ماريا ببلوزتها الفضية، وأعاد النظر إلى الورقة.

لقد ظهر اسمها لماكس باللون الفضي قبل ثماني سنوات. لا يمكن أن يكون الأمر مصادَفة. يجب أن يكون هناك معنى أعمق، ربما صلة يُفترض بها في الواقع تبديل حياتهما. ربما كانت ماريا رفيقة روحه حقاً، لذلك رأى اسمها عند اختباره حالة النورانية.

وحاول أن يشرح لماريا هذا المستوى الجديد من الربط بين الأفكار.

"ربما كان لقاؤك السببَ الوحيد لقدومي إلى البيرو". قال: "ربما قُدِّر لنا حقاً أن نكون معاً، أم أن هناك مصيراً هاماً يربطنا".

وشعر بالارتياح لأن ماريا لم تتصرف كما لو أنه أصيب بالجنون، وبقيت هادئة وتقبّلت التزامنية الغريبة التي جمعتهما.

"العالم واسع وغريب، ولن نفهم أبداً كل ما يحدث". قالت مؤكّدة: "إذا كان مقدَّراً لنا أن نكون معاً، فإن ذلك سيتحقق بطريقة ما، ولكنك إذا لم تغادر الآن، فإنك ستُغفل الرحلة الجوية ولن أسمع رأي والدَيّ بالموضوع".

"أحبك، لقد أحببتك دائماً، وسأحبك على الدوام". وأضافت: "أشعر حقاً بصلة بك أعمق من أي صلة شعرت بها حيال أي شخص آخر، صلة أعمق من صلة الأصدقاء والأشقاء، لا بل أعمق من صلتي بوالدتي ووالدي، ولا أشك في أن حياتَينا تتقاطعان لسبب ما. ومع ذلك، لا أرى كيف يمكننا تبديل قدرَينا الحاليَّين".

بهــذه الكلمــات، قبّلت ماريا ماكس، ووقفت، وخرجت من المتنــزّه العام، تاركةً إيّاه بمفرده أمام فندقه وهو يفكر مليّاً في الكلمات نفسها التي استخدمتها والدته بعد أن اختبر حالة النورانية.

الفصل الثامن

ويستمر البحث

حزيران/يونيو 1973

الجزيرة الشرقية.

ستوهنج.

غلاستنبيري.

متحف الرَّجُل، كهوف لاسكو في فرنسا، أثينا، وجزيرة سانتوريني اليونانية.

لقد عقد ماكس اجتماعات في كل من هذه الأماكن مع علماء في العلوم الطبيعية، وعلماء آثار، وكانت لدى الجميع معلومات إضافية حول البحث المستمر عن الألغاز القديمة.

من جهة ثانية، لم يتمكن ماكس من الكف عن التفكير في ماريا ماغدالينا راميريز خلال الدقائق القليلة من اليوم التي لا يكون منشغلاً فيها باستئجار سيارات، ومراكب، وطائرات، وكل آليات العمل التي تساعد فريق الإنتاج.

وطوّر نمطاً محدداً للقيام بأعماله؛ يصل أولاً إلى كل مدينة، ويتصل بالمسؤولين الحكوميين، ومسؤولي المتاحف، وأشخاص آخرين يكون بحاجة إليهم للحصول على التصاريح. ويقوم باستكشاف المواقع، ويستقبل فريق العمل لدى وصوله إلى كل مطار دولي.

يـوري أليك هو الخبير السينمائي في فريق العمل، واعتُبر في تلك الأيـام أفضل مصور سينمائي في جيله على أرض وعِرة. كان في العقد الـرابع مـن عمره، نروجياً، نحيلاً، يرقى إلى مستوى لاعب رياضي محترِف، ويستمتع بحمّامات البخار والسونا، إضافةً إلى ممارسات صحية أخرى لاكتساب لياقة بدنية تساعده على الاسترخاء.

إنـه متماسـك، واثق بنفسه في أثناء التصوير، يقصد أي مكان لتـصوير مشهد ما، ولا يخاف شيئاً. ففي استطاعته تسلّق المباني بسبب لياقـته البدنـية ورشـاقته، والجثوم على الدرابزين لتصوير مشهد ما، والـتقاط المشاهد بأنواعها كافة من الحوامات والطائرات من دون أن يـواجه أي مـشكلة بسبب العلوّ، فينحني إلى الخارج أو يربط نفسه بهـيكل طائرات صغيرة تم استئجارها لتصوير خطوط نازكا المُبهَمة في الصحراء البيروفية، أو الأطلال في أماكن نائية.

يسهل على يوري الانسجام مع أي وضع، ويعامله الجميع باحترام، وتـتم الاسـتعانة بخدماته باستمرار. يوري متزوج وله ابنان في لوس أنجلوس، ولكنه يلازم مواقع التصوير لما يزيد عن ثمانية أشهر في العام.

وراس أرنـولد، وهو المصور السينمائي المساعد، في العقد الثالث من عمره، ضخم البنية وقوي. وفيلم *البحث عن ألغاز قديمة* كان بمثابة فرصـة كبيرة لراس كونه المشروع الأكثر أهمية في تاريخ مهنته الفنيّة. ويـستمتع راس باحتـساء شراب الشعير، وهو أقل حركة من يوري ولكنه كفؤ ومحترف ويُظهر مناقبية عالية في العمل.

راس شـديد التدقـيق بالتفاصيل كونه خبير الفريق في التصوير والإضـاءة، ويحـب تناول الطعام وإطلاق الفكاهات، ولكنه لا يهتمّ بلياقته البدنية بقدر يوري، وغالباً ما يُسرف في الأكل والشرب واللهو بعد انتهاء العمل.

أورلانـــدو سامرز في التاسعة والعشرين من عمره ومسؤول عن الميزانية. لقد منح ماكس علاوته اليومية وبقي على اطّلاع على شؤون التجهيزات والنفقات. كان يرفع تقاريره إلى جورج مباشَرةً الذي يثق به تماماً. ويطمح أورلاندو أن يصبح منتجاً ومخرجاً، وكان ماكس على علاقـــة به أكثر من أي عضو آخر في الفريق، يعملان معاً بشكل وثيق لتنظـــيم عملـــية انتقال التجهيزات وفريق العمل. لقد تعلّم أورلاندو الاعـــتماد على حكم ماكس بشأن إحداث توازن بين التكاليف وأهمية اختيار المشاهد وفقاً لأولويتها.

وأنـــدي مونيتـــز هو العضو الأخير في الفريق. كان في السابعة والعـــشرين من عمره، نحيلاً، بارز العظام، ويرفع تقاريره إلى أورلاندو ويـــوري مباشَرةً كونه تقنيّ الصوت، ويساعد كلاًّ منهما على إعداد المشاهد المصوَّرة وكل ما قد يكونان بحاجة إليه في أي ظرف.

بالنـــسبة إلى ماكس الذي لم يخدم أبداً في القوات المسلحة، كان *الـــبحث عـــن ألغاز قديمة* بمثابة رفيقه في السلاح الذي تربطه به علاقة وثيقة. عمل الفريق الصغير من دون توقف تقريباً، واعتمد أعضاؤه على بعضهم بعضاً في شتى الأمور تقريباً.

الـــرهانات عالية لكل منهم، قد يكون المشروع خطوة كبيرة إلى الأمام في مهنهم. لقد اكتسبوا خبرة وافية نتيجة للضغط الذي يتعرضون له في أثناء التفاوض مع بلدان أجنبية، والذهاب إلى أماكن غريبة وبعيدة لم يزرها سوى عدد قليل من الناس بحثاً عن الألغاز القديمة.

وهناك حاجة ماسّة إلى العمل لم يظنّ ماكس أنها موجودة في العمل المنتظم بين التاسعة صباحاً والخامسة بعد الظهر. إنه أمر مُبهج تماماً.

أمـــا تجهيـــزاتهم فتساوي مئات آلاف الدولارات، وأينما ذهبوا رُحِّـــب بهم بفضول وتدقيق. ففي الهند، توقعوا أن يكون من المستحيل

عليهم السير في الشارع. ولكن الأمر نفسه كان صحيحاً في القدس، وليما، وأثينا، وسانتوريني، ولندن، وطوكيو، لا بل أيضاً في البلدات الأصغر حجماً المحيطة بكهوف لاسكو، وأعمدة ستوهنج الحجرية، وأطلال كوزكو.

لقد عملوا وتناولوا الطعام معاً، ولم يفترقوا أبداً إلا عند النوم. وطوّروا لغتهم الخاصة، فإذا سمعوا مَن يقول منهم في نهاية اليوم: "السادسة صباحاً، بعد الانتهاء". فإن ذلك يعني الاجتماع عند السادسة صباحاً بعد تناول الإفطار، و"واحدة فقط في الأكروبوليس عند شروق الشمس"، تعني تصوير مشهد واحد فقط في الأكروبوليس عند شروق الشمس.

كانت كل دقيقة ويوم وليلة مغامرة. لقد تمت تمضية كل لحظة خارج العمل بزيارة مدن غريبة واستكشاف مواقع إضافية، وأمضوا الوقت في أثناء توقف الإنتاج بالذهاب إلى منتجعات المياه المعدنية أو تسوّق هدايا للعائلة والأصدقاء. وبعد انتهاء فترة التصوير البالغة اثني عشر أسبوعاً، اعتبروا أنهم سيكونون أصدقاء حقيقيين وليس مجرد زملاء تشاطروا المغامرات فحسب... وهكذا كانوا.

كان ماكس يعرف أنواع الشراب الاسكتلندي والشوكولاته المفضّلة، ولم يفتقر أعضاء فريق التصوير أبداً إلى مشروباتهم المفضّلة وولائمهم بالرغم من مخصصاتهم المالية الزهيدة ووجود المتاجر التي لا تُفرض ضرائب على سلعها. وثبت في النهاية أنه يتمتع بمهارة أخرى فريدة ألا وهي قدرته على الركض وراء سيارات الأجرة.

ولدى الوصول إلى المطارات، كان من السهل الحصول على سيارات الأجرة المطلوبة لنقل فريق العمل والتجهيزات، ولكن لم يكن هناك عدد كافٍ من السيارات لدى القيام بجولة في المدينة لتفقّد

الأماكن. وبطريقته السلسة والواقعية، بدا ماكس قادراً على تأمين كل السيارات المطلوبة بشكل عجيب، حتى عندما تمطر أو يكونون في مكان لا توجد فيه العديد من سيارات الأجرة.

ولكنهم علموا أن الأمر سيكون مختلفاً في فلسطين.

فنظراً إلى الاحتياطات الإضافية المتخَذة لتوفير الأمن، اتُخذ قرار بالاستعانة بمدير إنتاج محلي للاهتمام بلوجستيات استئجار السيارات كافة، والطائرات، ومتطلبات الإنتاج الأخرى. كان ماكس سعيداً تماماً بالتخلي عن تلك المهام الشاقة.

في القدس، سيركز ماكس على أعمال البحث والمقابلات. وبعد أيام من العمل على مدى أربع وعشرين ساعة، سيبدو الأمر كما لو أنه إجازة.

كان مكتب نيويورك قد اتصل بماكس في الفندق الذي ينزل فيه في أثينا عندما كان يستعد للانطلاق إلى المطار، وأخبروه أن مدير الإنتاج الذي سيلتقي به في الطرف الآخر من الرحلة الجوّية يدعى يوسكي حاسفور.

فابيضّ وجه ماكس مرة أخرى عندما تذكّر هذا الاسم بشكل واضح.

كان يوسكي حاسفور الاسم الثاني في لائحة الاثني عشر.

* * *

في أثناء الرحلة الجوية التي دامت ثلاث ساعات، فكر ماكس مليّاً في ما قد تعنيه الأسماء الاثنا عشر.

لقد مضت ثماني سنوات على اختباره الحالة النورانية، وقليلاً ما كان يفكر في الاثني عشر. ولكنه التقى في غضون أربعة أسابيع شخصين من الأشخاص الاثني عشر، علِماً أنه لم يكن يملك أي فكرة عما قد يعني ذلك.

واعتـــبر أنه لا بد من وجود صلة بين إنتاج الفيلم وهذه الأسماء. هل للأمر علاقة بالقادمين من الفضاء الخارجي الذي يسعى الفريق إلى تسليط الضوء على إنجازاتهم؟ قد يكونون موجودين حقاً، وهي الطريقة الوحيدة لإثبات ذلك.

فاســتناداً إلى خــبراته في يال حيث ثبت عدم رغبة الأشخاص الأكثــر ثقافــةً في أخـــذ أفكار جديدة في الاعتبار، قرر ماكس عدم الإفصاح ليوسكي عن طبيعة علاقتهما عندما يلتقيان. لا، فهو سيراقب ويشاهد ويحاول العثور على رابط من نوع ما قد يقدّم تفسيراً.

* * *

كان يوسكي شديد الابتسام في المطار، قصير القامة ولكن قوي، كـــان لديه شاربان وشعر مرتدّ إلى الوراء، يرتدي بزّته العسكرية التي تعود إلى زمن خدمته العسكرية، يضع خاتماً، ويتدلى من حزامه عدد لا يُحصى ولا يُعَدّ من المفاتيح، ويضع حول عُنُقه لفاع أبيض.

هـــو يـــضحك بسهولة ويحب رواية القصص والدُّعابات، ويشعّ وجهه عندما يبتسم الآخرون.

ووفقـــاً لماكس، لم يكن هناك شيء لا يستطيع يوسكي القيام به. فهـــو الرجل الأكثر تنظيماً الذي التقى به يوماً، واعتُبر منسق الإنتاج الأفـــضل في كـــل فلـــسطين. لقد عمل على إنتاج العديد من الأفلام الوثائقية، ويعرف كل من يعملون في هذا المجال.

لقـــد أخـــذ يوسكي على عاتقه أمر التأكد باستمرار من توافر الـــسيارات عـــند الحاجة، وتدبّر أمر زيارة ماسادا في أريحا، والأماكن الأكثر بُعداً كذلك. كان يحب المرح والطعام والشراب الجيّد مما جعله محبَّباً لراس وأندي. وأخذ على عاتقه أيضاً استمتاع فريق العمل بأفضل الفنادق، والمطاعم، والمناظر الطبيعية الجميلة، في فترات الاستراحة.

وتعرّف ماكس إلى الحمامات التركية الأصلية في القدس التي يعود تاريخها إلى ألف عام مضت، واصطحبه إلى كل الأماكن المقدسة في القدس. وبقي ماكس خمسة أيام فقط مع يوسكي، ولكن تعاوناً قام بينهما لا يحدث إلاّ في أثناء الحرب، أو لدى إنتاج فيلم.

وفي نهاية تلك الفترة، وبينما كانا متجهَين إلى المطار حيث يستقلّ ماكس الطائرة المتوجهة إلى دلهي في الهند، التفت إليه يوسكي وسأله عن زيارته إلى فلسطين.

"إذاً، يا ماكس، من بين كل ما عرّفتك إليه في هذه الأيام الخمسة الأخيرة هنا في فلسطين، ما الذي ستتذكره أكثر من سواه؟".

ففكر ماكس قليلاً قبل الإجابة.

"كان كل شيء مثيراً للدهشة، لا يمكنني اختيار موقع واحد فقط، ولكن قد أختار الأرض نفسها وحيوية الشعب. هناك الكثير من التركيز والحيوية في الشوارع، والمطاعم، والمشارب، وفي كل مكان". قال.

"أنا سعيد جداً لأنك تشعر بهذه الحيوية". أجاب يوسكي، وابتسم. "أجل، يكمن الجمال الحقيقي في فلسطين في شعبها.

"أما وقد اختبرتَ فلسطين للمرة الأولى، فأنا على ثقة تامّة أنك ستعود، وعندما تقوم بذلك، سأكون هنا للترحيب بك".

فشعّ وجه يوسكي ابتساماً في أثناء رَكن السيارة في موقف السيارات في المطار.

وقبل أن يدخل ماكس إلى المنطقة الأمنية المُتقَنة في المطار، التفت إلى صديقه.

"كنت كوالد ثان بالنسبة إليّ هنا". قال: "لن أتمكن أبداً من شكرك بما يكفي أو مُجازاة حسن ضيافتك".

فابتسم يوسكي.

"لا تقلـــق. لقـــد استمتعتُ بكل دقيقة في أثناء عملي معك ومع فريقك. أنت شاب، ويوماً ما سيكون شاب ما بحاجة إلى مساعدتك. عندئذ، تذكّرني وأكون لك شاكراً".

"الآن، اذهب وأَعدَّ فيلماً رائعاً. رافقتك السلامة".

وفي أثـــناء صعوده إلى متن الطائرة، كان ماكس على ثقة أنه اتخذ له صديقاً لمدى الحياة. وبالرغم من العلاقة الوثيقة بينهما، لم يتمكن من تبـــيان أي صلة تفسّر وجود يوسكي في لائحة الاثني عشر، فقرر عدم مشاطرته هذا السر.

عندما كان جندياً، لم يكن يوسكي يبدو أنه من الأشخاص الذين يمكـــن مشاطرتهم الخبرات، ولكن دخول يوسكي في حياته كان أمراً كافياً بالنسبة إليه.

الفصل التاسع

الهند

تموز/يوليو 1973

بعـــد الخـــروج من مبنى الوصول والمغادرة في مطار دلهي، وجد مـــاكس نفـــسه مُحاطاً بحمّالين، ومتسوّلين، وسائقي سيارات أجرة، ومـــدّعين أنهـــم ســـائقو سيارات أجرة، ونشّالين، ومسافرين يرتدون ملابس ذات ألوان برّاقة. كان عليه النضال لأجل التحكم بحقيبته، وبعد قلـــيل مـــن الإجهـــاد تمكّن من دخول سيارة أجرة إلى فندق أشوكا بالايس، أحد الفنادق الثلاثة الفخمة في دلهي.

وبعـــد اســـتراحة جيدة في أثناء الليل، بات على استعداد للقاء الـــرئيس الأعلـــى للشؤون الثقافية، بروجاب أكبر، المسؤول عن كل مـــشاريع الأفـــلام الأجنبـــية المـــصوَّرة في الهند. وبعد دخول المركز الحكومـــي، أُجفل ماكس لدى رؤيته أربعين قِرداً ترتدي بذلات حمراء وتتولّى الحراسة في الناحية الخارجية من البوابة الرئيسة. كان الأمر أشبه بمـــشهد من قصر ويكد ويتش في فيلم *ويزارد أوف أوز*، ولم تكن هذه القِـــردة أفـــضل مـــن أتباع الساحرة الذليلين إذ يمسّون السياح برِفق ويلتقطون كل ما يمكنهم التقاطه من طعام أو أشياء صغيرة.

بعـــد عبور منطقة القِردة، شق طريقه إلى داخل مكتب بروجاب أكبر، وكان مَهيب المظهر وفي العقد السادس من عمره. فأصغى أكبر

إلى ماكس بصبر، وشرح قائلاً إنه لن يتمكن من منح الإذن لدخول فريق التصوير إلى البلد ما لم يحصل على ثلاث نسخات كاملة من السيناريو تشير إلى كل المشاهد التي سيصورونها هناك.

فحاول ماكس أن يشرح له عدم وجود سيناريو لأنهم يصوّرون فيلماً وثائقياً. وضحك بروجاب.

"حسناً، إذاً، لن يكون هناك أي فيلم". قال: "يجب عليك أن تزوّدني بالموضوع على الأقل، وبلائحة بالمواقع، وما الذي سيظهر ويقال في كل فقرة. ما لم أحصل على هذا السيناريو عند الخامسة من بعد ظهر اليوم، لن أتمكن من منح الأذونات التي تحتاجون إليها".

ووقف ماكس من دون الشعور بأي إثباط للعزيمة.

"شكراً لك. سأُعدّ لك سيناريو وأعود قبل الخامسة بعد الظهر".

كان النهار قد انتصف تقريباً عندما عاد ماكس إلى فندق أشوكا بالايس. كان يعرف كل الأماكن وجزءاً من السيناريو ممّا يمكّنه من إعداد المستند المطلوب، ولكن لم تكن لديه آلة كاتبة أو ناسخة لإعداد النسخات الضرورية.

كان يتعيّن عليه العمل بسرعة.

فشرح ماكس طبيعة المشروع لموظف الاستقبال، شيفا، الذي ابتسم وقال إنه مستخدم ماهر للآلة الكاتبة ويمكنه استعمال إحدى الآلات الكاتبة التابعة للفندق.

عند الثالثة من بعد الظهر، أعدّ ماكس سيناريو مكتملاً وظنّ أنه في وطنه. ولكن عندما شرح أنه بحاجة إلى ثلاث نسخات، أخبره شيفا أنه لا تتوافر أي آلات نسخ في دلهي في ذلك الوقت، لا بل في كل الهند أيضاً. ولكنه طمأن ماكس قائلاً إن لديه خطة.

* * *

شقّت سيارة الأجرة طريقها داخل دلهي القديمة، وسط الأصوات المتنافرة الناجمة عن سائقين يجرّون عربات، وأولئك الذين يقودون دراجات هوائية ثلاثية الإطارات لنقل الركاب، ودراجات هوائية ثنائية الإطارات، إضافةً إلى أصوات الأبقار، والعربات التي تجرّها جياد، والجرّارات، والشاحنات الخشبية، والسيارات الحديثة، والحافلات التي تنفث المازوت، وعدد لا يُحصى ولا يُعَدّ من المشاة الذين يحمل العديد منهم أحمالاً ضخمة على رؤوسهم.

فجأةً، أشار شيفا إلى السائق بالتوقف أمام متجر للتصوير الفوتوغرافي لا يمكن تمييزه عن سواه من المتاجر. لم يكن ماكس واثقاً من الأمر، ولكنه تبع مرشده عبر الباب. وبعد دقائق، شُرِح له أن هذا المتجر لديه آلة تصوير قديمة الطراز بقياس "8 × 10". فأخذوا صوراً لكل صفحة من المستند وقاموا بتظهيرها بعد ذلك بالمواد الكيميائية في الغرفة المُظلمة في الناحية الخلفية من المتجر.

وفي غضون أربعين دقيقة، حصل ماكس على ثلاث نسخات لا عيب فيها، جاهزة ليتم تقديمها إلى الحكومة.

* * *

دخل ماكس مكتب بروجاب عند الرابعة وتسع وخمسين دقيقة تماماً. فسُرّ المسؤول ولكنه تفاجأ برؤيته، وتفاجأ أكثر فأكثر عندما قدّم إليه ماكس النسخات الثلاث "لسيناريو التصوير".

"سأطّلع عليه وأتصل بك بعد يومين لأُبلغك بما إذا كان كافياً لمنح الإذن بدخول فريق عملك والتجهيزات إلى الهند". قال بلطف: "إذا تمت الموافقة على طلبك، سيعيَّن لك مشرف على التصوير".

وبارتياح كبير، أسرع ماكس عائداً إلى فندقه، وجمع مقتنياته، وطار إلى باكستان حيث يتعيّن عليه الإعداد للتصوير في لاهور.

كـــان علـــيه العمل بسرعة لأنه سيعود إلى دلهي في اليوم التالي. لـــذلك، قام بتحديد المواقع الباكستانية خلال يوم واحد في عمل كان من المقرَّر له أن يدوم يومَين.

لقـــد عمل بسرعة كبيرة وكان سعيداً بالجلوس على متن الطائرة والـــتقاط أنفاســـه. وفكّر مليّاً في الصُّدفة الجميلة والمثيرة للدهشة التي جمعـــته بماريا ويوسكي، وشعر بوجود صلة وثيقة بهما، ولكنه لم يعتقد أنه قد يراهما مجدداً.

وعملـــه علـــى فيلم بعنوان *البحث عن ألغاز قديمة* هو أمر مثير للسخرية في الواقع لأن الأمر بدا كما لو أن خبرته الخاصة تتطور لتغدو رحلـــة هامـــة من الاكتشافات الشخصية. لم تكن لديه أي فكرة عما يوجد وراء كل زاوية، وجعلته العلاقة الغرامية يشعر بالحماسة وكانت حافزاً له.

لقد شعر ماكس أنه يعي الاحتمالات التي قد يحملها المستقبل في طياته.

القيّم على القرن الخامس عشر

تموز/يوليو 1973

تحقق ماكس بسرعة مما يتعيّن تصويره في لاهور، وأمضى بقية اليوم متنقلاً في المدينة القديمة على ظهر الحمير وعلى متن عربات تجرّها الجياد، أكثر منه بواسطة الحافلات على الطرقات الرئيسة.

ومن جهة أخرى، كان قلقاً ويريد العودة إلى دلهي بأسرع وقت ممكن للتأكد من الموافقة على سيناريو التصوير، ومنح الإذن لفريق العمل والتجهيزات بدخول الهند. لذلك، عاد إلى الهند في أول رحلة جوية متوافرة، ومكث في فندقه بانتظار الجواب.

في اليوم التالي، كان ماكس مسروراً لدى تلقّيه من بروجاب نبأ موافقة لجنة الأفلام على السيناريو وتعيين مشرف لضمان التقيّد بالقوانين المحلية في أثناء التصوير. وعلم أيضاً أنه يحظّر عليهم تصوير الجسور، والمتسوّلين، ومحطات سكك الحديد، وإذا لم يتقيّدوا بهذا القانون تتم مصادرة كل الفيلم وترحيل فريق العمل.

وأحد هذه الأماكن، المتحف الوطني الهندي في نيودلهي، يتطلب الحصول على إذن من مدير المتحف نفسه، ويجب تقديم رسالة الإجازة هذه إلى بروجاب في اليوم التالي.

"وفقاً لمعلوماتي، لم يمنح الإذن أبداً لأي فريق عمل للتصوير داخل المتحف الوطني، لذلك أشك في نجاحك". قال لماكس. كان هناك في طريقة قول ذلك ما يُلمح إلى أنه قد يكون في الإمكان تجاوز مدير المتحف... عندما تكون الظروف مناسبة.

أدرك ماكس منذ البدء أن للمال سلطة تفتح الأبواب الموصَدة. ومع ذلك، فقد كان متردداً بسلوك ذلك الطريق وعازماً على القيام بأي شيء بنزاهة. حتى ذلك الوقت، جرت الأمور بنجاح وشق طريقه في أوضاع صعبة.

لم يتوقع أن يكون هذا الوضع مختلفاً.

ومتسلّحاً بأفكاره، انطلق إلى المتحف. ولدى وصوله، شرح مهمته للحراس الموجودين عند المدخل، فأرشدوه وسط المتسوّلين والبائعين الجوّالين إلى المدخل المخصص للموظفين وأولئك الذين يقومون بأعمال رسمية.

كان المتحف واسعاً، ويعرض لحضارة شبه القارة الهندية العظيمة التي تعود إلى عشرين قرناً مضى. ويشار إلى كل عصر بفترته الزمنية، وقيل لماكس إن المسؤولين عن كل فترة مُنحوا لقب القيّم. ووجد أنه من المدهش أن يكون شخص واحد مسؤولاً عن قرن كامل من التاريخ والحضارة.

وأينما ذهب ذُهل بمحتويات المتحف. وفي أثناء جلوسه في غرفة الانتظار خارج مكتب المدير، تأمّل بمزاج عصبي كيفية تمكّنه من إقناع المدير بمنحه الإذن لتصوير الفيلم.

"يمكنك الدخول الآن". قالت موظفة الاستقبال المبتهجة لماكس بينما كانت تُدخل تحسينات على مظهر ساريها. وبعد ثوانٍ قليلة، جلس ماكس أمام رجل طويل القامة، مثير للإعجاب، في العقد السابع من عمره، ولديه لحية بيضاء، ويضع نظارة.

إنه في. أس. نايبول الذي شغل منصب مدير المتحف لأكثر من عشرين عاماً. وبينما كانا يتحدثان، شعر ماكس أنه لا يزال يملك ذلك الفضول الفكري نفسه الذي جعله بحّاثة مَهيباً يشغل المنصب الذي يرغب فيه الجميع بقوة. كانت عيناه تشعّان حكمة ومعرفة.

"تقوم سياستنا على عدم السماح بتصوير أي شيء في هذا المتحف". شرح بطريقة واقعية: "تحفنا الفنية القديمة دقيقة تماماً، ولا يمكننا السماح بنقل أي منها عندما لا تكون هناك حاجة إلى ذلك بسبب ما قد يلحق بها من ضرر يستحيل إصلاحه".

"تتمثل مهمتنا بالمحافظة على تحفنا الفنية القديمة لصالح البحّاثة والجمهور الهندي". أضاف: "إذاً، لماذا يُفترض بنا السماح لك بالتصوير؟".

فَوَزَن ماكس كلماته بعناية.

"لستُ واثقاً من أنك ستسمح لنا بالتصوير". قال بصدق: "في أثناء عبوري المتحف للقائك اليوم، لاحظتُ مدى تميّز العديد من المعروضات ودقّتها".

"لقد درست الأدب والأنثروبولوجيا في جامعة يال، وأجريت العديد من الأبحاث حول مكتبة الكتب النادرة في حرم الجامعة. فعلى غرارك، لم تكن سياسة يال تسمح بالتقاط صور لأي شيء. ومع ذلك، كانت هناك استثناءات في مناسبات نادرة. أعتقد أن مشروعنا المدعوّ *البحث عن ألغاز قديمة* قد يستحق استثناءً مماثلاً من قِبل متحفكم".

"ولماذا بالتحديد؟ ما المميَّز في فيلمكم؟". قال في. أس. نايبول، مُصرّاً.

"أحد أهداف فيلمنا هو إظهار التكنولوجيات المتقدمة في الحضارات القديمة". قال ماكس بصراحة وصدق تامَّين. "يشير بحثنا إلى

وجـــود نصوص قديمة باللغة السنسكريتية هنا في متحفكم توثّق وجود آلات طائـــرة قديمـــة في الهند منذ قرون. نريد تصوير تلك النصوص وإجـــراء مقـــابلات مع خبراء قد يكون في إمكانهم تأكيد وجود هذه الآلات الطائرة بالفعل".

ارتسمت ابتسامة على وجه نايبول.

"أنـــا بحّاثة في اللغة السنسكريتية، وقرأت النصوص التي ذكرتها. تعـــود معـــرفة الآلات الطائرة في الهند إلى أكثر من ألف عام. وتعود النصوص الوحيدة في متحفنا والتي توثّق آلاتنا الطائرة القديمة إلى القرن الخامس عشر، ولكنني أعرف بوجود نصوص قديمة أخرى تحتوي على مراجع عديدة تصف تصميم هذه الآلات وقدراتها".

أخـــبر ماكس أنه درس في أوكسفورد، وكان يتعرض للسخرية على الدوام من قِبل زملائه البحّاثة عندما يعلن أن أولى الآلات الطائرة لم يطـــوّرها كـــيتي هوك في الولايات المتحدة بل تم تطويرها في الهند. وأكد أن نصوص المتحف تحتوي على رسوم توضيحية، ولكنه قال إن مـــاكس ســـيكون بحاجـــة إلى موافقة القيّم على القرن الخامس عشر لتحريك النصوص وفتحها من دون إلحاق الضرر بها. وإذا منحه الإذن، يكون الأمر استثناء لسياسته العامة، كما قال، فيسمح لهم بالتصوير.

وازدادت حماسة ماكس عندما أدرك أنه على شفير اختراق هام. ولكـــن الوقت هو الأساس بما أنه يجب توجيه رسالة الأذونات في اليوم التالي.

فاســـتُدعي القـــيّم على القرن الخامس عشر، وعندما وصل، تم تعريف ماكس إليه على أنه "بـــي. أن.".

كـــان رجـــلاً في أواسط العقد الثالث من عمره، رماديّ الشعر، معـــسول اللـــسان ولطيفاً. لقد درس في جامعة بوسطن في الولايات

المتحدة، وحصل على مقررات دراسية عدة في الرياضيات المتقدمة والأنثروبولوجيا بينما كان يعمل للحصول على شهادة متقدمة في علم الآثار.

وشاءت الصُّدَف أن يكون قد تلقى علومه على أيدي أساتذة درسوا مع أساتذة في يال. فبعض هؤلاء الأساتذه قاموا بتدريس ماكس.

لقد بدا الأمر كما لو أنه اجتماع عائلي ثقافي.

وأُقفل المتحف، وبات بي. أن. مستعداً لمرافقة ماكس في أرجاء رَدهة القرن الخامس عشر وتعريفه إلى المعروضات كافة من دون مقاطعة. وكان المخطوط الذي يتعيّن تصويره في حالة جيدة، ولن تُطرح أي مشكلة إذا فُتحت صفحاته التي تشير إلى الآلات الطائرة القديمة.

وطمأن ماكس بأنه سيتأكد من قيام في. أس. بتوفير الإذن المطلوب وتمكينه من التقاط الصور بعد ظهر اليوم التالي. ودعا ماكس إلى مرافقته إلى منزله لتناول العشاء.

"أعرف أن عائلتي ستكون سعيدة بلقائك". قال بحرارة، وأضاف: "يتعيّن علينا الذهاب بواسطة القطار".

* * *

لقد بدا لماكس كما لو أن الجميع في دلهي موجودون في المحطة. ومرّ بي. أن. عبر الحشود، وعثر على قطاره، وشق طريقه إلى مقصورة تحتوي على ثمانية مقاعد محجوزة. كان هناك ستة بَرَهْميّين آخرين من الطبقة العليا، على غرار بي. أن. جالسين، فسلّم على كلٍّ منهم كما لو أنه يعرفهم بسبب تنقّلاتهم التي لا تُحصى ولا تُعَدّ.

كان الركاب الأقل حظاً يجلسون خارج المقصورة على أرض القطار، وأولئك المتمسكون بأعلى القطار يتشبثون بحياتهم العزيزة

كلما تمايل إلى الأمام والوراء عندما يتوقف وينطلق كل خمس أو عشر دقائق.

ومن نافذة المقصورة، شاهد ماكس الحقول والعمال العائدين إلى منازلهم في البلدات الصغيرة القائمة على امتداد الطريق. كان الأمر أشبه بالعودة في الزمن قرناً إلى الوراء أو أكثر.

عندما خرجا من القطار بعد أربعين دقيقة، كانوا في بلدة صغيرة ذات شوارع قذرة حيث يقود عدد كبير من الأطفال دراجات هوائية، ويمارسون لعبة رَكل الصفيحة المعدنية وألعاباً أخرى. وأثار ماكس ولون بشرته الفاتحة فضول الأطفال، قام العديدون بفركه للتحقق مما إذا كان مطليّاً بذلك اللون الأبيض الزهريّ الغريب الذي يوجد تحته اللون الأسمر المماثل للون أجسادهم.

ومازح بي. أن. الأطفال، والتفت إلى ماكس ليشرح الوضع.

"بالرغم من كوننا على بُعد عشرين ميلاً فقط من نيودلهي، أنت أول شخص أبيض يراه هؤلاء الأطفال. يظنون أنها خدعة ولا يمكنك أن تكون بهذا البياض".

"ويتساءل آخرون عما إذا كنتَ مريضاً. فمدارسنا بدائية في هذه البلدة، والأطفال في هذه القرية يعيشون في عزلة تامة باستثناء عائلتي وعائلات بَرَهمية أخرى. هم لا يعرفون أي شيء عن العالم الخارجي. لم يسبق لهم أن سمعوا بأميركا".

بعد خمس عشرة دقيقة من السير في الشارع المكسوّ بالغبار، والذي تقوم على جانبه أشجار لَيلك، دخل بي. أن. وماكس بوابة باحة منزل العائلة. كان المنزل المؤلف من طابق واحد منبسطاً ويتباهى بفناء كبير. كان هناك رُواق خارجي مسقوف واسع يمتد على

ثلاثــة جــوانب وعليه كراسٍ، وطاولات، وأُرجوحات للنوم، يشغلها أكثر من عشرين شخصاً.

ويعيش في منـــزل العائلة عدد مساوٍ، أو أكبر، من النساء، كما شرح بـــي. أن، ولكنهنّ كنّ في المطبخ يساعدنَ على إعداد الطعام، أو يسترخين في غرف التجمع الكبيرة داخل المنـــزل.

فعـــرّف بـــــي. أن. كل أفراد عائلته إلى ماكس؛ زوجته وابنته الصغيرة، والده، وعدد كبير من الأنسباء الآخرين. كان الجميع يرتدون ملابـــس بـــسيطة مع ثياب هندية تقليدية وعلى وجوههم ابتسامات رِضـــى. وفي أثناء تعرّض ماكس لسؤال تِلو الآخر بلغة إنكليزية خالية مـــن الأخطـــاء، أدرك أنه بالرغم من الفقر البادي على المحيط، فهذه المجموعة مؤلفة من أشخاص مقتدرين ومطّلعين. كانوا محترفين، ومنهم المهندســـون المعماريون والأساتذة والمهندسون المدنيون الحائزون على أعلى الشهادات، وقد سافر عدد كبير منهم إلى الخارج لتحصيل العِلم والعمل.

وقُرابة نهاية المساء، كان ماكس جالساً في الفناء المكشوف عندما قامت امرأة بتقديم الشاي إليه في أثناء تبادل أطراف الحديث مع غوبتا، عـــمّ بـــي. أن.، كان نحيلاً، ولائقاً، في الخمسين من عمره، عاش في إنكلترا ودرس الفلسفة في جامعة أوكسفورد. كان مفكراً حقيقياً حائزاً علـــى شهادة متقدّمة في الهندسة المعمارية من جامعة كامبريدج، إضافةً إلى شهادة في علم الاقتصاد من كلّية لندن لعلم الاقتصاد.

في ســـنّ الخامـــسة والثلاثين، أصبح المدير الإداري لجامعة دلهي. كـــان بـــــي. أن. يُذعن له على غرار أشقائه الخمسة، ويطلبون على الـــدوام نُـــصح العمّ غوبتا في أمور تتعلق بالمهنة، أو السياسة، أو علم الاقتصاد.

إنه أول شخص يستمتع ماكس معه بمناقشة الأفكار المعقّدة لسبينوزا، ووايتهيد، والفلاسفة الآخرين المفضّلين لديه، منذ أن منعته يال من دراسة الفلسفة.

وشاطر ماكس أيضاً العمّ غوبتا حادثةً وقعت في اليوم السابق في أثناء قيام مراسل *هندوستان تايمز*، وهي أكبر صحيفة في الهند باللغة الإنكليزية، بإجراء مقابلة معه.

لم يطلب إجراء هذه المقابلة، ولكن بوّاب الفندق اعتبر أن الأمر جدير بالمحاولة بعد اطّلاعه على مشروع ماكس، واتصل بالمراسل. كان ماكس قد حاول أن يشرح له أنه ليس المسؤول عن الفيلم، ولكن البوّاب رفض الإصغاء إليه.

"يا لحماقتك، يتضح من هالتك أنك الشخص المسؤول. لا يمكن إتمام هذا الفيلم من دونك". قال بالرغم من اعتراضات ماكس.

"أتعاطى مع الأشخاص الأكثر اقتداراً في العالم، ويمكنني التأكيد لك أنك رجل مميَّز جداً. في الواقع، يمكنني أن أتبيّن من خلال هالتك أنك لا تتمتع بأي كرما(*)، ولكنك هنا في مهمة خاصة لمصلحة الآخرين".

وضحك غوبتا عندما نقل له ماكس الحديث، ولكنه أجفل ماكس بتعليقه التالي.

"لست واثقاً من سبب تكبّده عناء قول ذلك لك". قال غوبتا: "ولكن الأمر جدير بالمحاولة حقاً. أنا أيضاً أستطيع قراءة هالتك، ولا شك في أنك لم تولد في حالة الكرما".

"مع ذلك، لا تدَع الأمر يُربكك. فأنت مسؤول عن أعمالك هنا حتى وإن لم تكن تتمتع بأي كرما، ولا شك في أنك حققتَ بعض

(*) الكرما: هي العاقبة الأخلاقية الكاملة لأعمال الفرد في طور من أطوار الوجود (القدر).

الكـــرما في حـــياتك. لـــستُ خبيراً في هذه المسائل وأوليها قليلاً من الاهتمام لأن الحياة بحد ذاتها زاخرة بالتحديات. لا أظن أنك بحاجة إلى إرباك نفسك بهذه النظريات الفلسفية. تابع فقط التركيز على عملك، وستعيش حياة طويلة ومنتجة".

بعـــد ذلـــك، شعر ماكس بما يكفي من الارتياح لمشاطرة غوبتا خـــبرته مـــع ماريـــا. وفي أثناء مواصلتهما مناقشة طبيعة الزمن والحيِّز الزمني، حاول ماكس تطبيق نظرياتهما على ما كان قد خبره.

"هل لا تزال تلك اللحظة التي خبرتُها موجودة؟ هل من المقدَّر لماريا ولي أن نتشاطر الحياة معاً؟ وهل نتشاطر هذه الحياة في أثناء تحدّثنا؟".

"باختصار، نعم". أجاب غوبتا: "تدوم هذه اللحظات إلى الأبد، ولكـــن إذا لم تكـــن موجوداً معها الآن، ولا تسمح لك الظروف أن تكون معها في المستقبل، عليك ألا تقلق في هذا الشأن. فالاختبار الذي مررتَ به يحملك على الشعور بأن وضعك آنذاك حدث معك من قَبل. هو ليس علامة لحياة مستقبلية، ولست بحاجة إلى السعي وراءه".

فـــصُدم مـــاكس قليلاً بسبب مقاربة غوبتا العملية، ولكنه تأثر بحكمته وأراد التحقق من شعوره حيال أحداث روحانية أخرى.

وفكـــر ملـــيّاً في مشاطرته حدث اختباره حالة النورانية والأسماء الاثـــني عشر التي رآها، ولكنه قرر عوضاً عن ذلك أن يسأل غوبتا عن رأيه بممارسي اليوغا وبالمعلمين الهندوس الذين يذيع صيتهم في الولايات المتحدة.

"يـــستطيع ممارس حقيقي لليوغا السفر إلى أي مكان في الكون". شـــرح غوبتا: "لقد تعرفتُ إلى هذا النوع من الأشخاص، وقد كانوا استثنائيين. هم لا يعلنون عن قدراتهم ولا يحاولون جني المال من خلال القيام بخدع".

فـــتفاجأ مـــاكس إلى حدٍّ ما بالثقافة الواسعة التي يتمتع بها هذا الرجل، وقرر مواصلة الحديث معه.

"تعني أنه في استطاعة ممارس حقيقي لليوغا الذهاب إلى أي مكان في الكون بواسطة فكره؟".

"لا". قال غوبتا مصحِّحاً: "يمكنه القيام بذلك بواسطة جسده".

عندئذ، دنا بـــي. أن. من ماكس وأشار إلى ساعته.

"لا مـــزيد مـــن القطارات لهذا المساء، لذلك يتعيّن عليك العودة بالحافلة، ويجب علينا أن نوصلك إلى المحطة على الفور وإلا أغفلتَ آخر رحلـــة بالحافلة إلى المدينة"، قال محذِّراً، "هناك عربة يجرّها شخص في الانـــتظار". وبينما كان ماكس يقف ويستعد للمغادرة، أضاف بـــي. أن.

"ربمـــا أراك عـــندما تعـــود إلى التصوير". وسلّم ماكس بطاقته التعريفية. "لنبقَ على اتصال".

* * *

هكـــذا، وجـــد مـــاكس نفسه على متن حافلة متجهة إلى دلهي القديمـــة. ولم يكن ركاب الحافلة جديرين بالاحترام على غرار ركاب القطار، وبدوا أشراراً في الواقع.

وعـــندما ترجّل من الحافلة، بدا الأمر أكثر سوءاً. كان يحيط به نـــشالون، ولـــصوص شـــائعون، وقوّادون، وفتيات ليل، ومتسوّلون، وأشـــخاص على شفير الموت، ومرضى، ومتشرّدون. ومبقياً وجهه نحو الأســـفل، وشاقّاً طريقه باتجاه عربة يجرّها شخص، تمكن من الفرار من نتانة الخوف والمرض اللذين يغلّفان المحطة نفسها.

وفي غـــضون دقائق، عاد ماكس إلى فندق أشوكا بالايس وتوجه إلى غرفته. وشعر بقليل من الدهشة عندما رأى ماسح الأحذية نائماً في

الكـــوّة خـــارج باب غرفته. فعرف أنها عادة متوارَثة منذ زمن الحكم الإنكليـــزي للهـــند، إذ يترك نـــزلاء الفندق أحذيتهم خارج أبواب غـــرفهم ليتمّ تلميعها وإعدادها لتكون صالحة للانتعال في صباح اليوم التالي. لم يسبق له أن فكر أبداً في كيفية تلميع حذائه.

فاعـــتذر بسبب إيقاظ الرجل الذي تمثل ردّ فعله الوحيد بسؤال ماكس عن حذائه. فسلّمه إيّاه.

بعـــد دخـــول الغرفة، استسلم ماكس للنوم بسرعة ما إن لامس رأسه الوسادة.

ومـــع ذلك، فقد استيقظ مراراً في أثناء الليل ليجد جسده طافياً فوق السرير. فيظن أنه يحلم، ولكنه كان يمد يده ويدرك أنه غير مُستلقٍ على الفراش.

كـــان يحوم في الهواء من دون الاتكاء على أي شيء، سابحاً فوق السرير. ومن دون أي إنذار، شعر ماكس بحضورٍ يمسك يده اليسرى. بـــدا الأمر كما لو أنها يد بشرية، ولكنها أكثر خفة. فأدرك أنه جسد نـــوراني يملك ميزات الجسد البشري كافة، ولكن لا كثافة له. وخاطبه صوت قائلاً:

"لا تخـــف، أنا ممارس يوغا أرسلني غوبتا. لقد استمتع بالحديث معك هذا المساء ويريدني أن أُريك حقيقة ما أَخبرك به".

"يمكنـــنا الـــذهاب إلى أي مكان ترغب فيه في الكون". وسأل ممارس اليوغا: "إلى أين تريد الذهاب؟".

فقال ماكس بشكل فطري من دون أن يعي ما الذي يجري.

"إلى القمر".

وفي لحظة من الزمن، شعر بجسده الخفيف يسافر إلى القمر. كان بجـــسده المادّي، ولكن من دون كثافة على غرار جسد ممارس اليوغا،

محتفظاً بمزاياه كافة وأحاسيسه وبقدراته على التفكير والتحدث والمشاهدة.

كان القمر رمادياً وبلا حياة، ولكنه يحمل طابعاً غبارياً وسائلاً في الـــوقت نفسه. كان شفافاً تقريباً ويوحي بانعدام الوزن في أثناء وثوبه مـــن مكان إلى آخر، مما حدا بماكس على الظن أحياناً أنه قد يقع على القمر. وبعد قليل، خاطبه ممارس اليوغا مجدداً.

"إلى أين تريد الذهاب أيضاً؟".

كان لا يزال مُربَكاً إلى حدٍّ ما، ولكنه تمكن من الإجابة.

"خذني إلى الكوكب الذي تحيط به حلقات".

علـــى الفور، وجد ماكس نفسه في مكان يوحي بأكبر قدر من الإحساس باللون البرتقالي الذي لم يسبق له أن اختبره من قَبل. إنه لون لم يرَ ماكس مثيلاً له على الأرض، لون واضح وساطع يُثبت أنه اختبار حقيقي وليس مجرّد حلُم أو خيال.

وأمضى ما بدا أنها ساعات عدة منتقعاً باللون البرتقالي للكوكب، ولكنّ ممارس اليوغا خاطبه مجدداً.

"إلى أين تريد الذهاب أيضاً؟".

"أه، هـــذا يكفي لأمسية واحدة". أجاب ماكس: "في استطاعتنا العودة الآن. ينتظرني يوم شاق".

وبـــسرعة وصولهما إلى القمر والكوكب البرتقالي، عادا إلى غرفة الفندق في فندق أشوكا بالايس القديم.

كان جسد ماكس الذي يتمتع بكثافته المعتادة طافياً على ارتفاع ســـت بوصات من السرير، ولا يزال ممارس اليوغا ممسكاً بيد ماكس الذي شعر أن جسده الخفيف عاد إلى كثافته الطبيعية.

وشـــعر أن ممارس اليوغا يبتسم له ويغادره، وهبط جسد ماكس ببطء على السرير، ونظر إلى الساعة.

إنها الرابعة وأربع وأربعون دقيقة صباحاً.

فقرص نفسه للتحقق من أنه لا يحلم، وعاد إلى النوم.

عندما استيقظ بعد أربعين دقيقة فقط، نظر حَوله في أرجاء الغرفة للتحقق من أنه لا يزال في فندق أشوكا بالايس. ونهض عن سريره، ونظر عبر النافذة إلى المَرجة الخضراء، وشم هواء الصباح، ونظر إلى الزهور والفاكهة الموجودة على طاولة غرفته، وابتسم متأمّلاً رحلته الليلية.

ونظر إلى نفسه في المرآة ليتحقق مما إذا كان ماكس نفسه الذي كان عليه في اليوم السابق. وشكك في لحظة من الزمن في الاختبار كلّه، ولكنه لاحظ توهجاً في وجهه، ورأى للمرة الأولى الجسد الأثيري ضمن جسده، شيئاً لم يره من قَبل.

* * *

في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم، عاد ماكس إلى المتحف الوطني، وتمّت مواكبته إلى مكتب المدير. فابتسمت السكرتيرة في أثناء تسليم رسالة إلى ماكس.

"شغلتُ منصب سكرتيرة المدير طوال أكثر من خمسة عشر عاماً. قالت، وبدت الإثارة في صوتها: "إنها المرة الأولى التي يُطلب مني طباعة رسالة تمنح الإذن لشخص ما بالتصوير. لا بد من أن مشروعك على قَدر كبير من الأهمية. أهنّئك".

وأخذ ماكس الرسالة إلى مكتب بروجاب أكبر بعد ظهر ذلك اليوم، وعندما فتح رئيس الشؤون الثقافية المغلف، ظهرت على وجهه ملامح عدم تصديق كامل، وخيبة أمل.

"أعترف أنني مندهش". قال بصدق: "ولكن المدير يمنحك وفريق عملك الإذن للتصوير في المتحف، وهذا ما سيحدث. لقد عُيّن لك

مشرف للتصوير، وسيلتقيك وفريق عملك في فندقك يوم الثلاثاء عند التاسعة صباحاً".

وخـــرج ماكس من المكتب، ومرّ أمام القردة التي ترتدي بذلات حمـــراء، وواصل البحث عن المواقع المتبقية الواردة في لائحته؛ المرصد الفلكي القديم في دلهي وكهوف أجانتا خارج بومباي.

فهذه الأماكن هي بعض من الألغاز غير المحلولة التي تشكل جوهر الهند.

* * *

كـــان ماكس يعلم أنه يتعيّن عليه أن يكون في المطار عند الرابعة من صباح اليوم التالي لإنهاء المعاملات الجمركية وإخراج فريق عمله إلى فـــندق أشـــوكا بالايس، لذلك تناول عشاءً باكراً واستعد للخلود إلى السرير.

وفي أثـــناء إفـــراغ جيوبه، قرأ بطاقة بـــي. أن. التعريفية للمرة الأولى.

القيّم على القرن الخامس عشر

المتحف الوطني في دلهي

براما نيبال ماهارز

لقـــد صُعق للمرة الثالثة بسبب مروره بحالة من الوضوح المفاجئ والإلهام المذهل.

فبـــــي. أن. هـــو براما نيبال ماهارز، الاسم الثالث بين الأسماء الاثني عشر.

إن القيّم على القرن الخامس عشر مرتبط بماكس على نحو يتخطى منح الإذن للتصوير في المتحف الوطني.

الفصل الحادي عشر

على متن الطائرة إلى اليابان

آب/أغسطس 1973

بعد التحديات التي واجهها في أثناء إعداد مجموعة بسيطة من النسخات في دلهي، كان ماكس مستعداً لدى بلوغه اليابان للتعاطي مع مجتمع التكنولوجيا المتقدمة المنظّم والفعال المؤلف من سكان مدينة طوكيو.

كان قد تمّ استخدام مترجم، واستئجار سيارات، وتأمين سكرتيرات، وكانت الاتصالات بالولايات المتحدة سهلة نسبياً. وما لم يكن سهلاً في الواقع أنهم في شهر آب/أغسطس الذي تبدو فيه اليابان كلّها في إجازة، كان ماكس قد خطط لاصطحاب فريق العمل إلى هوكايدو، وهي الجزيرة التابعة لليابان والواقعة في أقصى الشمال حيث يعيش الآينو، وهو عِرق أبيض البشرة.

فلا علاقة لهذا العِرق أبيض البشرة ببقية سكان اليابان. وهناك تأويلات كثيرة حول هويّتهم والمكان الذي قدِموا منه، ويقترح بعض الناس أنهم متحدّرون من حضارة أجنبية.

شعر ماكس أنه مكان بعيد غير ضروري بالنسبة إلى فريق العمل. وعندما وجد أنه من المستحيل حجز رحلة جوية لفريق العمل، ألغى التصوير في ذلك الموقع وأخبر أعضاء فريقه أنهم سيلتقطون مشاهد في المتحف الوطني بدلاً من هوكايدو.

في تلك المرحلة، كان مقتنعاً أن نظرية فون دانيكن عن رواد الفضاء القدماء غير قابلة للتصديق تماماً. كان قد بحث - كما يقضي عقده - عن ألغاز قديمة أينما أودت به عملية البحث، وعاين أكثر من عشرة ملايين قطعة موجودة في متاحف العالم ووجد ست قطع فقط من صنع الإنسان يمكن نَسبها إلى رواد فضاء قدماء أو سفن فضاء قديمة.

فالعثور على ست قطع بين مجموعة عشرة ملايين قطعة هو أمر جيد. وكلما تابع البحث ازداد إحباطه بسبب عدم جدوى إعداد الوثائقي التلفازي بالاستناد إلى الألغاز غير القابلة للتصديق التي كشف النقاب عنها.

وهناك ألغاز ستونهنج وجراحة الدماغ التي أُجريت قبل ستمئة عام في البيرو وتُثبت أن الحضارات القديمة كانت تمتلك تكنولوجيات مثيرة للاهتمام فُقدت بطريقة ما. وشعوب الأزمنة القديمة مثيرون للإعجاب بهندستهم المعمارية، وتكنولوجياتهم، وتنظيمهم الاجتماعي، وفنّهم. لقد بدا الأمر كما لو أنه لا حدود لما يستطيعون تحقيقه، ولم يجد أن هناك حاجة إلى إدخال شخصيات من الفضاء الخارجي إلى حبكة الرواية لتطويرها.

ففي الحالة التي اختبر فيها خروجه من جسده عناصر غريبة مرتبطة بمرحلةٍ لاحقة، ولكن من الغريب أنه لم يفكر في أن الأمر مرتبط بالفضاء الخارجي. ولم يبدُ الأمر غير مألوف بالنسبة إلى ماكس. في الواقع شعر في أثناء الرحلة الجماعية بسلام داخلي وبشعور بالانتماء.

هل ذلك يعني أنه من حضارة غريبة؟ إذا كان في استطاعة ممارسي اليوغا مغادرة كوكب الأرض والعودة إليه، فهل يُعتبَرون أغراباً أيضاً؟

لم يعتقد ماكس ذلك. لقد التقى بالتأكيد بكثير من الأشخاص في حـــياته، قال في نفسه، وظنّ أنهم قد يكونون من كوكب آخر، على رأسهم شقيقه، لويس. ولكن الأكثر إثارةً للاهتمام من إمكانية وجود المخلـــوقات الأجنبية بأنواعها كافة على كوكب الأرض هو رؤية دليل على ذلك.

فـــتأمَّل هذه الأفكار بينما كان في سيارة أجرة متوجهاً إلى المتحف للإعـــداد لالتقاط مشاهد مصوَّرة. كان قد حصل على الأُذونات بسهولة نسبية، وتعرّف إلى المعروضات التي ينوي زيارتها، مستعيناً بكتيّب.

ولـــدى دخوله المبنى، وقع الكتيّب من يده وهمّ بالتقاطه. وعندما انحنى، سمع صوت تمزّق مرتفع.

عـــندما تحقـــق من الأمر، أدرك أن درزة موجودة في ناحية البنطال حـــيث يجلـــس تمزّقت وأحدثت فتحة بقياس ثماني بوصات، كاشفةً عن ملابسه الداخلية. فشعر بالإحراج و لم يكن واثقاً بما يتعيّن عليه القيام به.

فحـــاول أن يشرح الأمر للحارس الموجود عند مدخل المتحف، قائلاً إنه بحاجة إلى إبرة وخيط. ولكن الحارس لم يفهم ما قاله ماكس، إضافةً إلى أن أدوات الخياطة لم تكن من مهامه.

وعندما حاول ماكس تحديد خطوته التالية، دنت منه امرأة يابانية عرّفت بنفسها قائلةً إنها يوكو. كانت ترتدي فستاناً أصفر برّاقاً متمّماً لشعرها الأسود ومظهرها الذي لا عيب فيه، وتتكلم الإنكليزية بشكل ضعيف.

"تعالَ معي. يمكنني مساعدتك". قالت.

فاقتادته يوكو إلى باب غرفة الرجال.

"ادخل وأعطني بنطالك". قالت لماكس الذي لبّى مطلبها بالرغم من شعوره بالإجفال.

وجلست على كرسي بجانب حارس الأمن، وبعد دقائق قليلة، سلّمت ماكس بنطالاً قد تمّ إصلاحه مرمَّماً على النحو الأمثل.

"شكراً جزيلاً لك". قال بامتنان، وأضاف: "رجاءً، هلاّ انضممتِ إليّ في جولتي في أرجاء المتحف. أعمل لصالح التلفاز الأميركي وأختار ما يجب تصويره لفيلم وثائقي".

فابتسمت يوكو خجَلاً.

"حسناً". قالت، وأمضيا الساعتين التاليتين في مشاهدة المعروضات وقيام ماكس بتدوين ملاحظات عن قطع متنوعة للتصوير.

"عملك مثير جداً للاهتمام". قالت يوكو: "لقد استمتعتُ كثيراً بمعرفة بعض الأمور عن الألغاز اليابانية".

"حسناً، لقد استمتعتُ كثيراً برفقتك". أجاب: "رجاءً، هلاّ انضممتِ إليّ لتناول العشاء".

وابتسمت يوكو خجَلاً مرةً أخرى.

"هل أنت واثق من ذلك؟".

"أجل". أجاب: "أنا بمفردي وهناك سبب للاحتفال بما أنه المكان الأخير هنا في اليابان. رجاءً، ساعديني على الاحتفال".

"إذاً، أنا موافقة". أجابت بلغتها الإنكليزية الضعيفة: "سيكون من الممتع أن أنضم إليك".

وعثر ماكس بسرعة على سيارة أجرة، وغامرا بالذهاب إلى الفندق حيث يقيم. كانت غرفة الطعام هناك مطعماً من الدرجة الأولى، وشجع ماكس يوكو للانضمام إليه لتناول وجبة مُتقَنة.

في أثناء العشاء، تبدد بعض الحياء لدى يوكو وتحدثت عن حياتها. كانت وكيلة سفريات وخياطة، وهي الابنة الوحيدة والصغرى لعائلة عامل مصنع، وتنتمي إلى الطبقة الوسطى، ولديها خمسة أشقاء وسبعة

أبـــناء وبـــنات أشقاء، وتعيش بمفردها في استوديو صغير قائم في المبنى نفـــسه الـــذي يوجد فيه والداها المسنّان، وتقع على عاتقها مسؤولية الاعتناء بهما.

وشـــرحت يوكو أنها وُلدت خطأً عندما كانت والدتها في الثالثة والأربعين من عمرها. ولا تزال تتذكر الرُّعب الذي تعانيه طفلة صغيرة في أثناء الحرب العالمية الثانية، وبعد سقوط القنبلة الذرية.

بالـــرغم من ذلك، كانت تستمتع بكونها وكيلة سفريات، وأكثر ما تفضّله في الحياة الحصول على إجازة أسبوعين كل عام للذهاب إلى هاواي، أو باريس، أو أماكن غريبة أخرى، مع الحسومات التي تحصل عليها من وكالة السفريات التي تعمل لديها. وكشفت عن اعتقادها أنها لـــن تتزوج أبداً، وتشعر كما لو أن أبناء وبنات أشقائها هم الأطفال الذين رغبت في إنجابهم يوماً.

وعـــندما أنهت قصتها، طلب ماكس زجاجة من شراب خفيف للاحتفال بنهاية أسابيعه الاثني عشر من العمل المستمر المُرهق. ووصف بعـــض المغامـــرات الأكثر إثارة للاهتمام التي اختبرها، وكانت يوكو تضحك في أثناء تناول الشراب. لم تكن معتادة على تناول المشروبات، وقالـــت أخيراً لماكس إنها لا تشعر أنها في وضع يسمح لها بالذهاب إلى المنـــــزل بمفردها. وسألت ماكس عما إذا كان في إمكانها النوم قليلاً في غرفته بالرغم من أن الأمر مُعيب، فوافق.

وبعـــد قليل، كانا مستلقيَين على السرير قُبالة بعضهما بعضاً، ولم يكـــن في الإمكان مقاومة مزيج الشراب وتقرّبهما الوثيق من بعضهما بعضاً.

لم يُقم ماكس علاقة حميمة مع امرأة منذ بداية أسفاره، وشعر أن يوكـــو لم تُقـــم ربما علاقة حميمة مع رجل منذ عدة سنوات. فما بدأ

ملامسات لطيفة أدى سريعاً إلى تطوّر الأمور بينهما، وشعر ماكس باتزان جسده وعقله وروحه مع يوكو. لم يسبق له أبداً أن تحسس بشرة بنعومة ملمس بشرة يوكو، وكانت هشة بقدر هشاشة دمية من البورسلان.

* * *

عندما استيقظ في صباح اليوم التالي، كانت يوكو قد رحلت.

ولاحظ أنها تركت بطاقتها التعريفية على الطاولة الموجودة بجانب السرير، وعليها اسمها الكامل وعنوانها وملاحظة جاء فيها:

وجـــودي معك كان أمراً رائعاً. لتكن عودتك إلى أميركا ميمونة وراسلني إذا أردتَ العودةَ مجدداً إلى اليابان.

XOXOXO (قبلة، معانقة)

يوكو

وكان الاسم على البطاقة:

مياكو ميتسوي

من الواضح أن يوكو هو لقب تحبّب. وأدرك ماكس بوضوحٍ ما بـــات مألوفاً، وبذهول، أن اسم مياكو ميتسوي هو الاسم الرابع على لائحة الاثني عشر.

وأدرك أن التزامن قد بدأ يغدو الأمر السائد، وتساءل عن القوى الـــتي توجهه كما يبدو من دون أن يَعي ذلك. فأيّاً تكن هذه القوى، يبدو أن تأثيراتها تتسارع.

ومـــع ذلـــك، لم يعرف بعد مكان وجود تلك القوى التي تقوم بتوجيهه. ما لغز الاثني عشر؟ لقد باتت هذه المجموعة المنوّعة من الأسماء أمراً جديراً بالتصديق. ولكن لماذا يلتقي بهؤلاء الأشخاص؟

فـــرحلته إلى تروجيلو لم تحدث إلا بسبب خوفه مما قد يحدث إذا عاد إلى بوليفيا، ومع ذلك، فقد التقى ماريا في تروجيلو.

ويمكن نَسب لقائه بيوسكي إلى العمل الذي جمعهما، ولكنّ لقاءه ببـــي. أن. جاء نتيجةً للموضوع الذي أراد في. أس. نايبول مناقشته.

حتى إن زيارته إلى متحف طوكيو جاءت نتيجة عدم قدرته على الوصـــول إلى منطقة الآينو، ولم يكن في إمكان أحد توقّع تمزّق بنطال ماكس.

ويبقى الافتقار التام إلى الصلة بالأسماء الأربعة الأمر الذي لا يمكن دحضه.

الفصل الثاني عشر

أحداث الحياة تتكشف

1976-1973

عاد ماكس إلى الولايات المتحدة وإلى أسلوب حياة عادي.

كان على الدوام ابناً مطيعاً، وكان السبب الرئيس وراء عمله في شركة النشر هو مساعدة والده الذي سبق له أن أصيب بنوبة قلبية. وبعد عودة هربرت إلى حالته الطبيعية، قرر ماكس التدريس.

فعاد إلى أكاديمية فيليبس في أندوفر، ماساشوستس، لتدريس الإسبانية لمدة عام، محاولاً أن يطبع في نفوس طلابه بعض الحماسة التي اكتسبها من السِّنيور إغليزياس قبل أعوام.

ولكن مهمته في أندوفر كانت بديلاً مؤقتاً، وعندما انتهى العام الدراسي، تلقى منحة من المؤسسة الوطنية للسلامة العقلية لدراسة الأنثروبولوجيا الثقافية في جامعة هارفرد. وبعد ستة أشهر من وجوده في هارفرد، أدرك ماكس أنه أخطأ.

لقد اكتشف أن الأنثروبولوجيا لم تعُد تتناول دراسة الشعوب الأصلية. في الحقيقة، لم يتبقَّ سوى القليل من المجموعات الأصلية، وبدا أن مجرد الاتصال بالحضارة الغربية العصرية يحكم على أي من القبائل الأصلية القليلة المتبقية بالزوال التدريجي أو الفوري.

وأدرك أن البــشر العصريين يتطورون في الواقع ليغدوا ما يدعى *كائـنات غير بشرية*. فكتب بحثاً عن الموضوع لم يقدّره أساتذته حق قـدره. وشرح في بحثه أن الصفات الأساسية التي تجعل البشر "بشراً" على طريق الزوال.

ومن جهة أخرى، شعر أساتذته في هارفرد أن بحثه يضفي الطابع الرومانـسي على الحضارات البدائية، ولكن ماكس بقي على قناعته أن أمـراً جوهرياً فُقد عبر السعي المتهور وراء التكنولوجيا والراحة المادية والوَفرة.

وشـاهد أولى الأفـلام السينمائية عن التراث العِرقي مثل *نانوك الـشمال*، آخذاً في الاعتبار خبراته الخاصة التي اكتسبها جرّاء اختلاطه بالشعوب المعزولة في الأمازون، والهند، والأنديز، وأماكن غريبة أجنبية أخـرى كـان قـد زارهـا في أثـناء صناعة الأفلام وإجراء بحث أنثروبولوجي. واستنتج أن فن العيش بتناغم مع الطبيعة قد فُقد.

لقـد طوّرت بعض هذه الشعوب البدائية وسائل لزراعة الحدائق تُعتبر أعمالاً فنية إضافةً إلى كونها مصادر للتغذية، كما ابتكرت تصاميم هندسـية غيّـرت اللـون مع تغيّر الفصول، ولا يمكن اكتشاف هذه التـصاميم في غالـب الأحيان إلا لدى النظر إليها من سفوح التلال المـشرفة على الحقول. ومن جهة أخرى، فقد بدا له أن بذل كل هذا الجهـد في عمل زراعي جمالي لضمان إنتاج محصول ثانوي هو أمر لا يمكن تخيّله.

ولاحـظ أن حـضارات أخـرى طورت شعائر خاصة بالرقص والموسـيقى أدت إلى معالجة العلاقات البشرية وصقلها. وراقب ماكس أنماطـاً من الابتكار والفرح لدى ما يُدعى بشعوب بدائية حتى في أدق التفاصيل؛ تزيين عصا للحفر بنقوش خاصة، قطعة من الفخاريات، آنية

خــزفية للطهو بألوان وأشكال مختلفة تُبدي الامتنان للتربة التي جُبلت منها.

لم يتجاهل ماكس فوائد المجتمع العصري والوفرة التي استمتع بها، ولكنه يعتقد *حقاً* أنها لم تتحقق من دون ثمن، وهذا الثمن هو التضحية بعناصــر أساســية تجعل المرء بشرياً بَحتاً. وشعر أن الإنسان العصري يــتطور ليصبح كائناً مستهلكاً غدت حاجاته الحقيقية ثانوية، وحلّت الأمــور الاقتــصادية والتكنولوجــية الضرورية للعالم العصري مكان الحاجــات البشرية الحقيقية. ولا يمكن للفرد أن يحظى بمنــزلة رفيعة، ويصبح ذا نفوذ، ويحافظ على سلامته السيكولوجية، إلا من خلال تلبية متطلبات المستهلك.

كــان ثمن هذه السلامة السيكولوجية باهظاً، تطوّر المرء ليصبح كائناً غير بشري، وفقاً لماكس.

ولدى طرح هذه النظريات التشاؤمية، شعر ماكس أنه يغدو أيضاً كائــناً غــير بــشري، ولم يكن سعيداً بشعوره بالعجز. لقد ارتاب بإجراءات "العمل" و"التملّك" التي بدت كما لو أنها تهيمن على حياته.

فتــساءل عمــا كان في الإمكان أن تكون عليه حياته لو بقي في تــروجيلو مــع ماريــا. لقد وجّه إليها رسائل كما وعد، وبلغه أنها تزوّجت، كما توقّع. كانت حاملاً بطفلها الأول.

وبقي على ثقة أنه وماريا كانا معاً في حياة أخرى، ولكن من غير المقدَّر لهما أن يكونا معاً في *هذه* الحياة.

في أثناء دراسته في هارفرد، استمر ماكس في تلقي دعوات لإجراء أبحــاث واستطلاع مواقع لصالح أفلام وثائقية أجنبية تتطلب السفر إلى بلــدان في مخــتلف أنحاء العالم. كان يوافق على الاضطلاع بهذه المهام كلمــا أمكــنه ذلــك بــسبب سعادته بفرصة استكشاف مزيد من

الحضارات، واعتُبر الرجل المناسب من قِبل العديد من شركات إنتاج الأفلام في هوليود. كان هناك عدد قليل من الأشخاص الذين يمكنهم تولّي مهمة التصوير والاهتمام بلوجستيات إنتاج الأفلام الوثائقية.

وبالرغم من ادّعاء والده أن كل ما يقوم به ماكس هو مجرد هراء، وأنه يُفترض به الانتقال إلى كلية الأعمال في هارفرد حيث يمكنه أن يتعلم أموراً عملية، قرر ماكس مرة أخرى المساعدة على إتمام تصوير فيلم وثائقي بعنوان: *البحث عن الفادي التاريخي*.

لقد شعر بالسرور عندما علم أن راس أرنولد، المصوّر في *البحث عن ألغاز قديمة*، مشارك في المشروع، وكان يتطلّع إلى اكتساب خبرة جيدة أخرى في إعداد الأفلام... حتى التقى بالمنتج.

* * *

كانت أماندا هاردينغ مديرة يصعب التعامل معها، جميلة، وقد بدأت مهنتها كعارضة أزياء وأصبحت ممثلة بعد ذلك. لم تتفوّق في أي من المهنتَين، ولكنها تمكنت بطريقة من الطرائق من الارتقاء إلى مستوى المنتج، ربما بسبب مثابرتها... أو بوسائل أخرى.

كانت طاغية ولا أحد يحترمها، ومع ذلك فقد كانت المسؤولة، نظرياً على الأقل.

لم يكن أي شيء يُسرّ أماندا، فتقلق حيال *كل* شيء، لا سيما كيف تبدو، وماذا تأكل، ومدى نظافة ملابسها، واهتمامات أخرى لا علاقة لها بمشروع الفيلم الذي يتطلب اجتياز خمس قارات واثني عشر بلداً في ثمانية أسابيع.

لم تكن تأكل سوى الطون المعلّب بالماء، فيتعيّن شحن علب الطون لها كلما نفدت الكمية المتوافرة لديها مهما كان الأمر مكلفاً وغير ملائم. لقد جُنّ جنون ماكس بسبب تضييع الوقت على أمور لا

علاقــة لهــا بالعمل، وحاول التركيز على التفاصيل الضرورية لإنجاز المشروع.

شمــل عمل ماكس لإنتاج الفيلم إجراء مقابلات مُسبَقة مع كل قائــد روحي وديني رئيس على الكرة الأرضية. وتضمّنت هذه اللائحة الــدالاي لامــا، والمعلمين الدينيين الهندوس الرئيسين في ريشيكيش، ورئــيس دير مار سابا للروم الأرثوذكس القائم خارج مدينة القدس، وحاخام القدس، ورئيس كنيسة إنكلترا، وعدداً من الرهبان في اليابان، ورجــال دين مسلمين في دمشق، وعدداً لا يحصى ولا يُعَدّ من القادة الدينيين والروحيين الأقل شهرة.

وأجرى مقابلات أيضاً مع الأفراد الأكثر تميّزاً على الأرض، بدءاً بعلماء الفيزياء وانتهاءً بعباقرة يتمتعون بمواهب استثنائية.

لم تترك المقابلات التي أجراها مع هؤلاء الأشخاص أثراً كبيراً في نفسه. لقد بدا معظمهم متعطشين للسلطة وأكثر اهتماماً بالمحافظة على تقالــيدهم وقــواعدهم الشعبية التي توفر لهم النفوذ أكثر مما توفر نقل المعرفة الروحية الحقة.

فإحدى المقابلات التي تركت أثراً في نفسه هي تلك التي أجراها مــع الدالاي لاما في منــزله في دارامسالا، في الهند. فالدالاي لاما ذو شخــصية محبَّــبة حقيقية ويتحدث بصراحة عن الوضع العالمي وعيوبه الخاصة.

"لا أحمّــل الصينيين بالإجمال مسؤولية المحنة التي يمر بها شعبــي التيــبتي"، قال شارحاً، "كان المجتمع التيبتي فاسداً وطاغية. كان لدينا فلاحــون مستعبَدون ومجتمع غير منصف. لقد رتّب الصينيون الأمور، ولكنهم ذهبوا بعيداً بذلك. إنهم يدمرون الحضارة التيبتية، ونحن بحاجة إلى العمل معهم للعثور على حل أفضل لمصير شعبــي.

"أنـــا موجود لمنفعة شعبـــي"، أضاف شارحاً، "أنا لست قائدهم الروحـــي فحـــسب، بل قائدهم السياسي أيضاً. قد أكون آخر دالاي لامـــا، قد لا تكون هناك حاجة إلى دالاي لاما آخر في المستقبل. فإذا تمكـــنت التيبت من الاندماج في المجتمع الصيني والمحافظة على حكمها الذاتي، أكون قد حققت غايتي. يُفترض السماح بازدهار البوذية.

لقـــد استمتع ماكس كثيراً بهذه المقابلة، ولكن بقية الرحلة كانت مُثقلة بالمواقف المزعجة والمخيّبة للآمال بسبب اضطراره إلى التعاطي مع متطلـــبات أماندا المنطوية على اضطراب عصبـــي، ومع قادة روحيين مغرورين وتواقين إلى السلطة تعيّن عليه إجراء مقابلات معهم.

ومـــن جهة أخرى، لاحظ أن الطاقة السلبية التي تجسدها أماندا تبدو متجانـــسة مـــع العديد من أولئك المشاركين في المشروع. فلم يتمكن من الامتـــناع عن التساؤل عما إذا كان ذلك دليلاً إضافياً على التزامن ومدى ارتباط الطاقات السلبية والإيجابية بمستواها الخاص من الطاقة الفكرية.

غالـــباً مـــا كـــان ماكس يفكر في الاثني عشر وفي بحثه الروحي الخـــاص. لماذا اختير للقاء كل هؤلاء المعلمين الروحيين والدينيين؟ فأيّ منهم لا يبدو على صلة بأسمائه الاثني عشر. حتى إن أيّاً منهم – باستثناء الـــدالاي لامـــا – لا يجيد إجراء محادثة مشوّقة. فغالباً ما يكون أفراد مثيرون للجدل محط ثقة أشخاص في الشؤون الدينية.

* * *

بلغ الأمر ذروته في البلدة الهندية الصغيرة قاديان التي ازدهرت في الصحراء.

وسافر ماكس إلى لاهور حيث أجرى مقابلة.

لقد قيل له إن قرية قاديان الصغيرة، الموجودة بالقرب من أمريتسار، أساسية للمشروع، فتشجع للذهاب إلى هناك، والتقاء الأكبر سنّاً.

وهكذا، طار ماكس إلى أمريتسار، وعندما هبطت الطائرة، طُلب منه انتظار نزول الركاب الآخرين من الطائرة. وعندما حان دوره لمغادرة الطائرة، وجد أن الدرج مكسوّ بسجادة حمراء تمتد مسافة ثلاثين قدماً على المدرج، ويقف إلى جانبَي السجادة رجال ذوو بشرة داكنة يحملون أكاليل ضخمة من الزهور.

وعندما نزل الدرج ووطئت قدماه الأرض، غُمر بأكاليل الزهور هذه، فبلغ بعضها ركبتَيه. وفي نهاية السجادة، كانت هناك طاولة عليها شاي وكعك مُحلّى، وقد دُعي ماكس للتمتّع بها.

بعد تعريفه إلى مضيفيه، رئيس بلدية البلدة وقادة دينيين متنوعين، شرب ماكس كوبَي الشاي الذي يُفترض به تناولهما إضافةً إلى كعكتَين، وتمت مواكبته إلى سيارة رولس - رويس بيضاء قديمة مركونة في مكان قريب.

لقد طُلب منه الجلوس في المقعد الخلفي مع ثلاثة من مضيفيه، يرتدي كل منهم بذلة بيضاء، وحلّة رسمية، ويعتمر قبّعة مستطيلة الشكل، أي في الزيّ التقليدي.

وحتى في الرولس - رويس، كاد المقعد الخلفي لا يتسع لأربعة أشخاص، وأُنهك ماكس برائحة أجساد مضيفيه الذين اشتبه أنهم لا يستحمون يومياً في بلدتهم الصحراوية.

وبعد ذلك، وعندما سلكت الرولس - رويس طريقاً ترابياً، أصبحت الجولة في السيارة أقل متعة. وبالرغم من متانة السيارة، فقد تسببت الأخاديد الموجودة في الطريق بقفزات كبيرة، وبذل ماكس جهده حتّى لا يتقيّأ. وبعد أربعين دقيقة، أبطأت السيارة عند حدّ فاصل في الطريق يوجد أمامه شاب على دراجة نارية.

لدى رؤية الرولس - رويس، سلك سائق الدراجة النارية الطريق الداخلي باتجاه وسط البلدة مباشَرةً، وسلكت السيارة طريقاً دائرياً يمر بجانب مقبرة في الضواحي.

وتطلــب الأمر عشر دقائق لتصل السيارة إلى وسط البلدة، وسمح الــوقت الإضــافي باســتعداد القرية لاستقبال "ضيفهم بالغ الأهمية". وتوقفت السيارة مترنّحة، وعزفت فرقة موسيقية على المنصة، ورُفعت راية ضخمة تحمل حروفاً حمراء كبيرة بالإنكليزية:

أهلاً وسهلاً بهوليود!

فخــرج مــاكس من السيارة، وألقى رئيس بلدية البلدة خُطبة، وذكّــر الأمــر ماكس بالترحيب الذي لقيته دوروثي من رئيس بلدية مانشكين عندما قَتَلَ منــزلُها ساحرة الغرب الشريرة.

واســتمرت الفرقة الموسيقية في العزف، وبعد ذلك، تمّت مواكبة ماكس إلى الشارع الرئيس للبلدة حيث تجمّع كل السكان على جانبَي الطــريق بحسب الأقدمية الروحية لتلقّي بَركة ماكس. فلمس كل فرد مــاكس وحاول معانقته. وبلغ ماكس أن هناك ألفَي شخص، ووجد الاختبار مُرهقاً.

بعــد إلقاء التحية على كل البلدة، تم اصطحابه إلى منــزل مميَّز للضيوف حيث أُعدّت مأدبة تحتوي على الأطباق الأكثر أهمية وإمتاعاً الــتي يمكــن لأهل البلدة تقديمها له. كان هناك بَلَح، بَرش جوز هند طازج، أشرِبة غير كحولية، ومقبّلات خاصة، وتلت ذلك مجموعة من الأطباق الرئيسة التي تحتوي على العديد من أطباق الخضار الغريبة إضافةً إلى اللحم، والسمك، والطيور الداجنة.

كانت وجبة وافرة ومنوّعة أشبه بمأدبة ذكرى الشكر، يبدو أن لا نهاية لها.

* * *

بعد ساعتين من قَيلولة ضرورية جداً، استعدّ ماكس للجولة. عندها فقط، اكتشف سبب هذا الترحيب المَلكي الذي حظي به.

لقد تحقق التوقع الثاني عشر الذي توقّعه مؤسس البلدة في القرن التاسع عشر.

فالتوقعات الإحدى عشرة الأولى تتضمن ادعاءات مثل:

ستزهر الصحراء.

ستصبح مجموعة العائلات الاثنتَي عشرة المؤسِّسة أكثر من اثني عشر مليون.

سيتمّ بناء معبد ضخم يتّسع لأكثر من مئة ألف متعبّد.

لقد تحققت هذه التوقّعات إضافةً إلى توقعات أخرى واهية، ولكن مع وصول ماكس؛ ممثلاً فريق تصوير من هوليود؛ اكتمل التوقع الأخير.

سيقصدنا العالم.

بعد اتضاح ذلك اللغز، شرع ماكس بتفحص المواقع المبجلة الموجودة في البلدة.

وأدرك بسرعة أن لا وجود لأي شيء مشوّق يمكنه إغناء الفيلم، ولا حاجة إلى إضافة أي من تفاصيل معتقدات أهل البلدة. وهكذا، اقتصر عملهم في نهاية المطاف على عدد كبير من التوقعات والخبرات الذاتية للمعتقدين بها... أو للذين اختاروا عدم الاعتقاد بها.

الفصل الثالث عشر

لويس

1977-1976

بينما كان ماكس يتنقل في أنحاء العالم، كان لويس ينهي عام التخرج من كلية الحقوق في جامعة ديوك، كارولاينا الشمالية. كان في المرتبة الأخيرة في صفه في ديوك، ليس بسبب عدم قدرته على الدراسة، بل بسبب عدم رغبته في ذلك. كان يشعر أن والده يدين له بتوفير سُبُل العيش، لا سيما وأنه يكرهه أكثر مما يكره ماكس.

كان لويس قد أسرّ لماكس أن السبب الوحيد الذي حمله على ارتياد كلية الحقوق يتمثل بكون برنامج التخرج فيها هو الأطول والأكثر تكلفة بين الجامعات الأخرى. كان يعلم أن والدتهما ستُجبر هربرت على دفع تكاليف كلية الحقوق لأن الدراسة هي أولى الأولويات بالنسبة إليها.

في الصيف التالي لتخرج لويس، أمّن له هربرت عملاً في شركة محاماة في مدينة نيويورك. وفي الوقت نفسه، بدأ لويس بالاستعداد لإجراء امتحان يخوّله مزاولة مهنة المحاماة، وهو الاختبار نفسه الموجود في دليل الاستعداد للاختبار الأولي الذي قامت شركة النشر التابعة لوالده بنشره.

ومن المثير للسخرية أنه رسب في الامتحان في المحاولتين الأوليين، ولم ينجح إلا في المحاولة الثالثة. لقد تطلبه ذلك أكثر من عام، وشغل في

هــذه الأثـــناء منصب موظف متدنّي الرتبة في شركة غوتليب هاريس ذات المكانة الرفيعة.

فغوتليب محامٍ في محكمة الجنايات، وكان وكيل بعض أبرز رؤساء المافـيا في مدينة نيويورك. لقد التقى هربرت غوتليب في حفلة خيرية لمنظمة الدفاع عن اليهود، وأصبحا صديقَين بشكل غير منتظم. وأوضح هربرت للويس أنه يؤدي له خدمة جُلّى بتأمين عمل له في شركة محاماة مماثلـــة. من جهته، شعر لويس أنه يؤدي لوالده صنيعاً كبيراً من خلال شغل منصب لا يعود عليه بأي مبلغ من المال.

كـــان لـــويس يكره العمل لصالح غوتليب الذي يعتبره غشاشاً علـــى غرار موكّليه، ويشكو إلى والدته قائلاً إنه لا بد من أن يكون هربـــرت مجـــرماً أيـــضاً بسبب اتخاذه غوتليب صديقاً له. ففي أثناء وجـــوده في الكلّـــية، كان لويس قد اعتبر نفسه شخصاً أخلاقياً ذا أفكار متصلّبة حيال السلوك الأخلاقي واللاأخلاقي، فيقول إنه يشعر أن أي ســـلوك ناجم عن "الكَسب السهل" لا بد من أن يكون غير أخلاقي.

ولـــدى مواجهـــته بواقع أنه اعتمد على والده مالياً طوال حياته، كـــان يجـــيب بصوت عالٍ قائلاً إنه لا يعتبر ذلك "كَسباً سهلاً"، إنها ظروف مختلفة كونه الابن البكر.

وفي أثـــناء مناسبة من مناسبات الشكر، انفجر لويس أخيراً غضباً وحقـــداً وإحباطاً في وجه والده. كان ماكس خارج الوطن، وهكذا، فقـــد كانوا هم الثلاثة فقط في غرينويتش. وسلّم لويس هربرت رسالة مـــن مصلحة الضرائب تهدد باتخاذ إجراءات ضده بسبب عدم تسديد ضريبة الدخل، هو أمر آخر اعتبره لويس غير منصف، نظراً إلى الدخل الضئيل الذي يكسبه في شركة غوتليب هاريس.

"مــن غــير المنــصف أن يكون عليّ دفع ضرائب"، قال لويس بغضب، "لديك الكثير من المال، ويُفترض بك تسديد ضرائبـــي".

فضحك هربرت في أثناء إعادة الرسالة إلى لويس.

"إنـــه أمـــر مثير للسخرية. الجميع يدفعون ضرائب، وهذا الأمر يشملك أيضاً".

"حـــسناً، في هذه الحال، سأبدأ بإرسال فواتير إليك وإلى والدتي بـــسبب الـــوقت الذي أمضيه هنا. سيكون سعري الخاص لكما 50 دولاراً في الـــساعة، ولكـــن مـــضى على وجودي هنا أكثر من أربع وعشرين ساعة، لذلك أنتما تُدينان لي بأكثر من ألف دولار".

فـــضحك هربرت بصوت أعلى، ولكن كانت هناك خشونة في ضـــحكته. ونهض وغادر المائدة، واتجه إلى غرفة الحديقة حيث يجلس علـــى كرســـيّه المفـــضل بين النبتات بالقرب من المدفأة، ويبدأ بقراءة الصحيفة.

كـــان هربـــرت قد تعرّض منذ مدة غير طويلة لنوبة قلبية ثانية، ويعلم أنه يُفترض به تجنّب مواجهة انفعالية مع ابنه البكر.

فتبع لويس هربرت وواصل الجدال قائلاً إنه يُفترض بوالده الدفع لقـــاء "خدماته القانونية". وعندما أوضح والده أنه لن يسدد أي فاتورة مـــن فواتير لويس – أو ضرائبه – وأنه يتوقع منه الحصول على وظيفة حقيقـــية بعـــد أن ينجـــح في امتحان مزاولة مهنة المحاماة، شرع لويس بالصياح، ناعتاً والده بالمخادع والغشاش.

أخيراً، نهض هربرت وهمّ بصفع لويس، الأمر الذي لم يفعله مذ كان ابنه في الثانية عشرة.

إنـــه الاستفزاز الذي لطالما انتظره لويس. فأمسك بعُنُق هربرت، وأوقعه على الأرض الرخامية الصلبة، وبدأ بضرب رأسه بالرخام.

ووجّـــه إلى والده مزيداً من الألفاظ البذيئة، مُطلقاً كرهه الدفين الذي تراكم طوال سنوات حياته.

"أيها الأخرق، لم تُرِدني أبداً! لم تحبّني أبداً!".

وحمـــل الضجيج جاين على الإسراع إلى غرفة الحديقة وفصْلِهما عن بعضهما، ولكنها لم تكن قوية بما يكفي لإبعاد لويس.

فهرعت إلى الهاتف واتصلت بالشرطة التي وصلت في غضون دقائق.

فـــوجد رجال الشرطة هربرت على الأرض الرخامية فاقد الوعي جزئياً ومغطى بالدماء، وتضع جاين المضطربة منشفة على رأسه.

ســـحب الشرطيان سلاحَيهما وبحثا بحذر في أرجاء المنـــزل. و لم يـــدُم الأمـــر طـــويلاً حتى حاصرا لويس في المرأب حيث كان يوجّه ضربات إلى سيارة الرولس-رويس الخاصة بهربرت بواسطة فأس.

وبعد إخضاعه، ساقاه إلى السجن في أثناء وصول سيارة الإسعاف لنقل هربرت إلى المستشفى.

* * *

أصـــيب هربـــرت بارتجـــاج في الدماغ، و لم يتمكن من مغادرة المستشفى قبل عدة أيام، ولكنه لم يُصَب بضرر دائم كما يبدو.

لقد اختبر للمرة الأولى، وبشكل مباشَر، الغضب الذي كان يصبّه لويس على ماكس، وأدرك أن لويس لم يكن كسولاً وبغيضاً فحسب، بل خطراً أيضاً.

بالـــرغم من ذلك، وعندما حان وقت محاكمة لويس، لم يتمكن هربـــرت مـــن الامتناع عن الإدلاء بشهادته ضد ابنه. وتم التوصل إلى اتفـــاق مـــع النائب العام يقضي بتمضية لويس ثلاثين يوماً في مصحة للأمـــراض العقلية بدلاً من إيداعه السجن. وإذا شعر الأطباء بعد مرور هذا الوقت أنه أهل للاهتمام بنفسه، يُطلق سراحه.

ووُضــع شرط إضافي ينص على إبقاء لويس تحت المراقبة في حال إطــلاق ســراحه، ويغطــي نطاق المراقبة أنحاء بلدة غرينويتش كافة، كونكتيكت، حيث يقيم هربرت وجاين. وبما أن لويس لم يرتكب أي عمل عنفي من قَبل إلا بحقّ ماكس، لم يكن هناك ما يدعوهم للاعتقاد أنه سيسبّب الأذى للآخرين.

ومــا دامــت الــصلة مقطوعة بينهما وبين لويس، أملت جاين وهربرت أن يجد طريقه في الحياة.

* * *

كــان لويس مريضاً نموذجياً في أثناء حجزه في مصحة للأمراض العقلية، وهو أمر فاجأ الجميع، وأُطلق سراحه بعد نهاية الثلاثين يوماً.

لقد اتضح لجاين أنه لن يجد أبداً عملاً تقليدياً، ناهيك عن الإفادة مــن إجازتــه الجامعية في الحقوق. وشعرت بذَنب كبير بسبب حالته العقلــية. وبالرغم من سلوك ابنها الوحشي، أصرّت على هربرت فتح حساب مصرفي صغير للويس ليتمكن من إعالة نفسه. وأملت جاين أن يزيل هذا الأمر بعض الضغط المالي الذي يتعرض له ابنها، مما قد يسمح له ربما بالعثور على مهنة متواضعة تُبقيه بعيداً عن العائلة والمشاكل.

* * *

عــندما عاد ماكس من أسفاره وعلم بما جرى من أحداث، شعر بارتياح كبير. أخيراً، لقد فهم والده ووالدته طبيعة لويس العنيفة وقاما بعمل ما لحماية العائلة.

لقــد شــعر بالأســف حيال لويس. كان يحبه في الواقع وأراد مساعدته، ولكنه لم يشأ في الوقت نفسه إجراء أي اتصال به.

كان ماكس لا يزال خائفاً من استمرار تصرف لويس معه بعنف.

الفصل الرابع عشر

خيبة أمل

1978

عـــاد مـــاكس إلى هارفرد مرتاحاً، ظنّاً منه أن قيامه باستخدام الأنثـــروبولوجيا في أثـــناء إعـــداد أفلام وثائقية سيكون محط إعجاب أساتذته وزملائه.

ولكـــنه شـــعر بإحباط كبير لدى معرفته أن مهنته الجانبية لم تلقَ الاستحـــسان من قِبل زملائه في الجامعة. فهذا التبسيط للمعرفة لم يكن ثقافـــة جدّية برأيهم. لقد شعروا أن التقدير الذي ناله ماكس غير لائق تقريباً وغير ملائم لطالب متخرّج.

وبتحـــرر أســـاتذة ماكس من نظرتهم الواهمة إلى ماكس، تحرر ماكس أيضاً من نظرته الواهمة إلى هارفرد.

لقد شعر بالملل وأراد البحث عن تحديات أكبر.

* * *

لم يمـــر وقت طويل حتى واجه ماكس تحديات جديدة. لقد اتصل به والده وأسرّ إليه أن دار النشر بحاجة إليه. كان هربرت قد تراجع عن الاتفاق المتمثل ببيع مؤسسته برفكت فيلم، ورفض كل العروض مذاك الحين. ووعد هربرت بشراء كامل حصة شريكه وتسليم الشركة إلى ماكس إذا وافق هذا الأخير على الانتقال إلى نيويورك وإدارة شؤون قسم التحرير.

كـــان هربـــرت مصرّاً على اكتساب ماكس مزيداً من الخبرة في مكتب نيويورك قبل تسليمه شؤون الشركة.

فوافـــق مـــاكس وانتقل إلى نيويورك، ولكنه سرعان ما تحرر من نظـــرته الـــواهمة. فبالرغم من مغامرته الرومانسية الجديدة التي اتخذت طابعـــاً جـــدّياً بـــسرعة، لم يستمتع بالحياة في المدينة ولم يجد التحدّي المنشود في المنصب.

وبعـــد أقل من عام في عمله مع قسم التحرير، تلقى ماكس دعوة هاتفـــية إلى القيام بجولة حول العالم لتصوير فيلم وثائقي آخر. وبلغت مـــدة التـــصوير اثني عشر أسبوعاً، وكان في استطاعته وضع شروطه الخاصة.

ونظراً إلى مدة التعاقد الطويلة، تدبّر ماكس أمر الحصول على إجازة.

لا مـــشكلة في ذلك، قال ماكس في نفسه. *سيكون كل شيء في مكانه عندما أعود.*

* * *

تعرّض هربرت دوف لنوبة قلبية ثالثة يوم مغادرة ماكس إلى الهند وإلى أمـــاكن غير معروفة من دون أن يكون ماكس على عِلم بما جرى لـــوالده. كانت نوبة قلبية أكثر خطورة من النوبتَين السابقتَين، وشعر هربرت أنه مُرغَم على حماية عائلته وبيع الشركة بأفضل سعر. وعندما عاد ماكس، كانت الصفقة قد تمّت.

وللمـــرة الأولى في حـــياته، تمكن ماكس من اختيار مصيره. لقد تحرّر من القيود.

فمـــزّق العقـــد البالغة مدته ثلاث سنوات والذي كان والده قد تفـــاوض معه بشأنه، وانتقل إلى هوليود للعمل كمنتج مساعد في فيلم وثائقي كبير. وبعد أسبوعين، أدرك أنه ارتكب خطأً آخر.

لقد كره هذا العمل.

فكــــونه منــــتجاً مساعداً، يتعيّن عليه المحافظة على إنتاجية وراحة الفـــريق الإبداعي وإبقائه منتجاً وسعيداً. هذا يعني أنه إذا أراد أعضاء فريقه أي شيء، يُفترض بماكس تأمينه لهم.

واستقال ماكس على الفور.

وعاد إلى نيويورك من دون عمل أو تصوّر لعمل مستقبلي.

ففكــــر مليّاً في خياراته، وقرر أنّ لعب الورق في مشربٍ رديء الــــسمعة في سوهو في أثناء أمسيات السبت هو أفضل بديل متوافر له. كــــان لويس قد علّم ماكس كيفية لعب الورق في صغَرهما، وكسب ماكس خبرة إضافية فيه خلال أسفاره مع فرقاء عمل متنوعين لتصوير أفلام. كان ماكس يتمتع أيضاً بموهبة تخيُّل أي ورقة يريد. فبطريقة من الطرائق، يحصل فوراً على الورقة التي يكون بحاجة إليها.

وســــواء أكان ذلك ضرباً من ضروب الحظ أو شيئاً إضافياً آخر، كان ماكس منجذباً إلى الأرقام على الدوام. فهي حيّة فيه منذ طفولته مــــن دون أن يكــــون قــــادراً على البَوح بالأمر. إنها زميلة الطفولة في اللعب... وكانت بمثابة صديق له.

وهكذا، فإن لعب الورق أمر طبيعي بالنسبة إليه.

* * *

كــــان يحــــضر قُرابة منتصف ليل السبت للمشاركة في لعبة نهاية الأسبوع من دون أن تكون الرهانات مرتفعة بصفة خاصة، ولكن كان هــــناك باستمرار مشاركون من سكان الضواحي يسهل التغلب عليهم بسبب إفراطهم في تناول المشروبات.

إنهم يشاركون في لعب الورق بهدف التسلية ليس إلا.

أما ماكس فيشارك لجني المال.

ويمكن اعتبار عدد قليل جداً من المواطنين لاعبين شرعيين. فكثيراً ما كانوا يأتلفون ضمن فريق أو يمارسون الغش من دون افتضاح أمرهم. وهكذا، لم يكن ماكس يرغب في التورط مع المواطبين.

كان هناك عدد كافٍ من السيّاح ليتمكن ماكس من جني 200 أو 300 دولار كل ليلة سبت، وهو كل ما يحتاج إليه كل أسبوع لدفع الإيجار، ورسوم القاعة الرياضية، وفواتير الطعام.

ولكن أيّاً من هذه الأمور لم يكن مُرضياً، ولم تكن هذه هي المهنة التي يريد مزاولتها.

فوجد ماكس نفسه على مفترَق طرقات.

لقد تخلى عن هارفرد وعن شركة النشر التابعة لوالده، لا بل عن هوليود أيضاً، وشهدت علاقة رومانسية أخرى نهاية سيّئة.

* * *

كان قد خطب تينا قبل الشروع بمشروع تصوير الفيلم الذي دام اثني عشر أسبوعاً. وفي أثناء وجوده في الخارج، اشترى لها خاتم خطبة جميلاً من دمشق وأقمشة حريرية غير عادية لتتمكن من ابتكار ثوب زفاف.

لم يكن هناك موعد محدد أو إعلان رسمي، ولكن تينا وماكس اتفقا على إطلاع عائلتَيهما بعد عودته.

ولسوء حظ ماكس أن تينا بدّلت رأيها بشأن الزواج عندما عاد من المشروع. كانت قد بدأت بمقابلة معالج للتحقق من مسائل متعلقة بصدمات عاطفية ماضية حدثت لها بسبب تحرّش تعرّضت له في المراحل الأولى من طفولتها.

كان الأمر مفاجئاً جداً لماكس.

وفي أثـــناء المعالجة، اقترح المعالج امتناع تينا عن ممارسة الحبّ إلى أن تتمكن من فك عقدة مشاعرها الدفينة. وجدت تينا الفكرة جيدة، وأعلمت ماكس أنه لا معنى لخطوبتهما، أو حتى لاستمرار علاقتهما.

لم يـــستطع ماكس فهم ما يجري. كانا يبدوان سعيدَين جداً معاً. لقد ابتعدت خطيبته فجأةً وتغيّرت.

وغابـــت الإثـــارة عـــن حياة ماكس، ولم يكن واثقاً من كيفية استعادتها.

ودخل مرة أخرى في حالة من الكآبة العميقة. فتوقف عن تناول الطعـــام، والحلاقة، لا بل الاستحمام أيضاً، وكان ينام طوال أيام. لقد بات مستنفَد القوى ولا يعرف ماذا يريد أن يفعل في حياته.

وظهر في عينَيه احتمال عدم تمكّنه أبداً من تحقيق الطموحات التي كـــان يـــتوق إلى تحقيقها في طفولته. لقد اعتبر أنه خيبة أمل لوالده... ولنفسه.

في خـــضمّ هـــذا الذُّعر، قرر كتابة رواية تعكس وضعه الحالي، وعنْوَنَها *أكثر من انتحار*. وصاغ السطر الافتتاحي:

الاثنا عشر

استيقظ السير ونستون على صوت صيحات مكتومة... صيحاته.

لقـــد وثّقت الرواية نضال ماكس اليومي مع أفكاره الانتحارية. وبـــدأ يكتب عن مشاعره بانفعالات منحرفة على آلة كاتبة قديمة كان والده قد أعطاه إياها.

لقـــد بلغتُ الحافة المظلمة لليأس... لا أعرف من أكون، أو ماذا أريـــد، أو مـــا الذي يمكنني القيام به، أو ما ستكون عليه حالي... لقد سـئمت نفـــسي... لا أمل... يجب أن أموت في هذه الحياة... أريد التخلّي عن هذه الحياة.

كـــان يعلم أن الموت بحدّ ذاته لم يكن يخيفه، ويتوق إلى العودة إلى الـــنور الأبيض والبرَكة اللذَين خبرهما في عيادة الطبيب غراي عام 1965.

في الوقت نفسه، كان ماكس لا يزال يعتقد بشدة بارتباطه بقدَر محدد يقتضي بقاءه حيّاً. فقرر تسليم مصيره إلى قوة أعلى وكتب: *لتكن مشيئتك*.

وواصل الكتابة ومكافحة ميوله الانتحارية.

ويـــوم أنهى ماكس روايته، تُوفّي فجأةً أحد جيرانه. كان ماكس قـــد تأمّل الموت عدة مرات طوال أسابيع، وصعقه الواقع وتساءل عما إذا كانت روايته تشير إلى مصيره أو إلى مصير شخص آخر.

* * *

عاد لويس مجدداً إلى حياة ماكس.

وعندما ظهر عند بابه الأمامي، لم يعرفه ماكس تماماً. كان كريه الرائحة، قذراً، غير حليق الذّقن، ومفرط الوزن مع بطن ضخم.

كان غريب المظهر.

فتمـــتم لـــويس بشكل غير منطقي عن كيفية قيام الجميع بخرق القانون، ولا سيما والده والمحامون في غوتليب هاريس.

"لا فكرة لديك عن مدى فسادهم الخُلُقي... وليسوا الوحيدين. *الجمـــيع* يخرقون القانون... *كل* القوانين. حتى إنهم بدأوا بخرق قوانين الجاذبية، وعندما يحدث ذلك، تعرف أننا سنذهب بأجمعنا إلى الجحيم". قال لويس، متوقعاً من ماكس تأييد مكامن القلق لديه.

ولكـــن ماكس ابتسم بسبب مزيج الذكاء والجنون لدى شقيقه، ممـــا جعلـــه يرتعد ويدرك أن ما آلت إليه حاله ليست أفضل من حال شقيقه.

فاشترى ماكس وجبة لذيذة للويس، قد تكون الأولى له منذ مدة طـويلة. وأمـل طـوال الوقت ألا ينفجر جنون لويس غضباً، وشعر بالارتياح لأنه لم يقم بذلك.

وبعـد ذلك، عانق شقيقه واقترح عليه العثور على مكان هادئ خـارج مدينة نيويورك، حيث يقوم عدد قليل من الناس بخرق قوانين الجاذبية ويكون في أمان.

وغادر لويس، وتساءل ماكس عما قد يلي ذلك.

الفصل الخامس عشر

كاليفورنيا

1979-1982

انتهت فجأةً أيام ممارسة ماكس لعب الورق. لقد بدأ الأمر بأسوأ ألم للأسنان شعر به يوماً.

كان الألم مبرحاً، فحاول قدر المستطاع تجنّب القيام بأمر ما حيال ألمه من دون أن يتمكن من ذلك. وفي أثناء دخوله عيادة طبيب الأسنان، التقى مصادَفةً بزميل الصف السابق في المدرسة الثانوية بيتر بور الذي كان يغادر العيادة.

"تُسعدني رؤيتك، يا ماكس! كيف هي الخُدَع؟". سأل بيتر، ممسكاً بيد ماكس. "أما زلت تعمل لصالح رجلك المسنّ؟".

"لا عمل لديّ الآن". أجاب ماكس بألم: "باع والدي شركته منذ أشهر قليلة. لست واثقاً مما سأقوم به كخطوة تالية، ولكنني لطالما احترمتك في هاكلي. أعطني بطاقتك ولنتصل ببعضنا قريباً". قال ماكس، مقطّباً حاجبيه.

بالفعل، لقد ارتاد بيتر كلّية هاكلي مع ماكس، ولكنه تخرّج قبله بعام واحد. كان مسؤولاً في الفصل الأول عن قاعة الدرس التي يلجأ إليها ماكس، ورئيساً لصفه، ومُلقياً لخُطب الوداع، وأحد أبرز اللاعبين الرياضيين في المدرسة.

"بكـــل تأكيد، إليك بطاقتي". قال بيتر بحماسة: "لقد اضطلعتُ مؤخراً بشؤون قسم الأعمال في مؤسسة سي أر أم فيلمز. اتصل بـــي، يُفترض بنا تناول الغداء معاً ومواصلة الاتصال ببعضنا بعضاً".

* * *

اتصل ماكس ببيتر، وقبل مرور أسبوعين، التقيا في مطعم فاخر في تـــريبيكا. وأخبر ماكس بيتر عن الأفلام التي شارك في إعدادها، وقبل إنهاء الطعام، عرض عليه بيتر منصب منتج مساعد مسؤول عن مكاتب الشاطئ الغربـــي لسي أر أم فيلمز.

"والدي هو المدير التنفيذي الأول، ونبحث عن شخص ذي فطرة في أعمـــال المقاولـــة ويعـــرف مداخل ومخارج الأفلام الوثائقية"، قال شارحاً، "قد يتحول اجتماعنا إلى فرصة سانحة لكلينا علماً أنه كان أمراً غير مرجَّح الحدوث".

"حـــسناً، لديّ اطلاع واسع على الأفلام الوثائقية"، أقرّ ماكس، "وهذا ما أطمح إلى القيام به، موافق".

* * *

بعـــد إنجـــاز بعض الأمور، أقام ماكس في دل مار، كاليفورنيا، واستمتع بالطقس الأمثل وبالحكم الذاتي التام في إدارة قسمه في سي أر أم فيلمز. فدل مار هي بلدة صغيرة شمال سان دييغو ومقرّ حلَبة سباق اكتـــسب شهرته من مشاركة مشاهير من أمثال بينغ كروسبـــي. وفي كل عام، يتضاعف حجم البلدة في موسم السباق.

والمـــنازل هـــناك مرتفعة التكلفة، ولكن ماكس كان يتلقى أجراً جيداً.

والأهم من ذلك استمتاعه بمنصبه الجديد وشعوره بأنه منتج للمرة الأولى مـــنذ مدة طويلة. كان يتشاطر المكتب مع مدير مبيعات، وتقوم

ســكرتيرة تنفيذية بتنظيم أعمالهما. ففي كل صباح، يكون في انتظاره عشرون أو ثلاثون مشروع فيلم جديد، ولا يتطلبه الأمر أكثر من ساعة للاطـلاع علـيها، ويختار بعد ذلك الأفلام العشر أو الاثني عشر التي يعتقد أنها ذات طاقة إبداعية أو تجارية.

بعــد ذلك، يحمل ماكس المشاريع التي اختارها، ويعبر الرَّدهة إلى مكتب مدير المبيعات. كان هناك جوّ من الاسترخاء التام في سي أر أم فيلمــز؛ فاجتماعاتهم لا تتبع جدول أعمال محدداً، وكل الاجتماعات متشابهة في بداياتها.

"هل لديك دقيقة، يا فرانك؟".

ويبدأ ماكس بشرح كل مشروع اختاره، ثمّ يطرح أسئلة أساسية.

"إذا كــان هذا أفضل فيلم ممكن لمعالجة هذا الموضوع، فما عدد النسخات التي يمكنك تأمينها في الإصدار الأول؟". فبالرغم من قيامهما بعمل إبداعي، كانت المبيعات لا تزال الاعتبار الرئيس.

في معظم الحالات، يكون الجواب: "غير كاف"، أو "ليس كبيراً"، أو "لا شيء" أحياناً، ولا يعاد النظر في هذه المشاريع مجدداً.

ويكــون الجــواب مخــتلفاً أحــياناً؛ كمرةٍ واحدة أو مرتين في الأسبوع.

"يمكنــنا تــأمين عــشرة آلاف نسخة أو أكثر إذا توافرت لدينا المهارات المطلوبة".

في تلــك الحالــة، إذا تم توزيع الأدوار واختيار فريق العمل على النحو الصحيح، يحصل ماكس على الحقوق.

وغالــباً ما تدوم العملية حتى منتصف بعد الظهر بالأكثر، ويقوم ماكس بعد ذلك باستكشاف الشواطئ، والحمّامات الساخنة، ومفاتن كاليفورنيا الجنوبية.

لقـــد اعتمد هذا النمط، و لم يمضِ وقت طويل حتى التقى بامرأة ســـلبت لبّه تماماً. ومرّت الأسابيع والأشهر، وسعى وراءها بلا كلل أو ملل حتى وافقت على الزواج به، وحصل ماكس على كل ما يتمناه في حياته.

كان فعالاً وناجحاً، وبدأ يلفت انتباه الصحافة حتى كُتب عنه في *ســان ديـــيغو تربيون* وسان *دييغو ماغازين* حيث نُشرت صورته على صفحتين.

"منـــتج شاب لامع يأتي إلى سان دييغو"، هذا ما جاء في العنوان الـــرئيس. وتُعتبر سان دييغو مدينة هامدة بقواعدها العسكرية وبعض النشاطات الزراعية، مما يحمل المقيمين فيها على الشعور بالامتعاض من المديـــنة المجـــاورة الأكبر حجماً القائمة إلى شمالها، ويغتنمون أي فرصة ملائمة للبروز. وكانت شهرة ماكس مكلفة.

فلم يمضِ وقت طويل حتى شعر نظراؤه بالغيرة من الاهتمام الذي يحظى به.

* * *

كانت سي أر أم فيلمز تحتوي على أقسام عدة، وكان رئيس قسم المصلحة العامة، بيل باتلي، رجلاً منافساً. لقد استمال ماكس عن غير قصد أحد خبرائه الأكفّاء لإنتاج فيلم عن أوبك وأزمة النفط، مما ألحق ضرراً بباتلي.

كـــان باتلـــي يأمـــل شغل منصب المدير التنفيذي الأعلى عندما يتقاعد بور المسنّ، والد بيتر. ولكن ماكس حظي بتغطية صحفية كبيرة وكان يتناول العشاء مع "الرئيس"، وهو لقب بور الأكبر.

وظهرت قصة في الصحافة لعالِم الاقتصاد الشهير ميلتون فريدمان، أعـــادت إلى ماكس، وبشكل خاطئ، الفضل في حمل سي أر أم فيلمز

على تحقيق أكبر قدر من الأرباح من خلال فيلم حرّ *في الاختيار*. كان المراسل يأمل أن يلقى استحسان ماكس، في حين أن السبب الوحيد لقيام سي أر أم فيلمز بإنتاج الفيلم يتمثل بالعلاقة الشخصية بين بور المسنّ والدكتور فريدمان.

واغتنم باتلي الفرصة وأرسل المقالة إلى الرئيس، إضافةً إلى أربع أو خمس مقالات أخرى عن ماكس، مُرفَقة بملاحظة بسيطة.

قد ترغب في إلقاء نظرة على هذه المقالات.

فطُرد ماكس، وطلب ويليام بور من ابنه بيتر إجراء اتصال بماكس وتوجيه رسالة خاصة:

لو كنا نعيش في الزمن الغابر، لرميناك عن الجسر. ولكن بما أننا نحيا حياة مدنية، يمكننا نزع شاراتك فقط. سندفع لك في نهاية العام، ولكن اجمع أغراضك وغادر المؤسسة في نهاية يوم العمل.

فصُدم ماكس.

لم يخطئ بشيء، وكان قد وقّع على أكثر من ثلاثين مشروعاً في الأشهر الثمانية عشر السابقة التي عمل خلالها في الشركة.

لقد قدّم إليه بعض الزملاء في ميدان صناعة الأفلام النُّصح بمقاضاة سي أر أم فيلمز بسبب طرده غير المُحِق من العمل، ولكنه لم يكن أسلوب ماكس.

في انعطافة غير مألوفة للأحداث، وفي اليوم السابق لطرده، أنهت خطيبة ماكس علاقتهما، ووجد ماكس نفسه محطَّماً على الجبهات كافة. لقد شعر بصدمة كبيرة بسبب الإنهاء الفجائي لخِطبته مما حال دون تمكنه من تحليل معنى الطرد بالنسبة إليه.

وعندما فكر في الأمر في الأيام القليلة التالية، أدرك أنه لا يريد العمل في الواقع لصالح أي مؤسسة.

أراد أن يحيا حياته بشروطه الخاصة.

لقد وجد نفسه حراً مرة أخرى في رسم طريقه الخاص.

* * *

لم يكن ماكس يملك المال، لذلك كان عليه الانطلاق بإمكانيات محدودة.

فتدبّـــر أمر استخدام تجهيزات محطة التلفاز الكابلية المحلية لإنتاج فيلم فيديو "تعلَّم الطرائق" وفقاً لأسلوب أفلام الفيديو الاختبارية لجاين فـــوندا الـــتي لاقـــت رواجاً كبيراً، وهكذا وُلدت شركة ماكسيموم بروداكـــشنـــز. وكوّن فريقاً مع مبتكر *دل مار وورك أوت* في القاعة الرياضية المحلية، معتبراً أنه اسم سهل التذكر واختبار جيد، مثالي لسوق جاين فوندا.

وتمـــثلت مشكلته الكبرى بعدم تعاقد جاين فوندا - أو أي شهير آخـــر - مـــع دل مار وورك أَوت. لذلك، وعندما عرض عمله على المـــوزع، قـــيل له إن في إمكانهم أخذ خمسمئة نسخة فقط لاختبارها، ولكنهم أعربوا عن تشاؤمهم.

كان ماكس بحاجة إلى بيع خمسة آلاف نسخة على الأقل لتغطية الـــنفقات. وببيع خمسمئة نسخة فقط، يكون قد خسر دولارَين بكل نسخة إضافةً إلى فقدان رأس المال لسدّ العَجز. لقد بدا الأمر كما لو أن ماكسيموم بروداكشنـــز لن تتمكن أبداً من النهوض من كبوتها.

وبينما كان يفكر مليّاً في خياراته، تلقى ماكس اتصالاً هاتفياً من جاره أندي كاي الذي اقترح عليه فكرة مثيرة للاهتمام.

"يـــا مـــاكس، أتذكّر قولك في أثناء إحدى وجبات العشاء التي تناولـــناها معـــاً، إنـــك تعرف مذ كنتَ تعمل في شركة النشر التابعة لوالدك كيفية التدرب استعداداً للاختبارات".

لم يعـرف مـاكس ما الذي يحاول أندي إيضاحه، ولكنه بدا مهتماً.

"أجل، هذا صحيح. ما الذي ترمي إليه؟".

"يقـضي مـشروعي المدلَّل هنا في نونلينيار سيستمز بتطوير آلة أدعـوها "كمبيوتر؛ مدرِّس خصوصي" مصمَّمة لمساعدة الطلاب على تحسين مفرداتهم اللغوية. كنت على الدوام من المعجَبين بعمل جونسون أوكونـورز، وأعـتقد بـشدة أن تحسين المفردات اللغوية هو الهدف التـربوي الأكثـر أهمية بالنسبة إلى كل شخص. هلاّ فكرتَ مليّاً في مـساعدتي علـى إتمام هذا المشروع فتشغل منصب مستشار خارجي بدوام جزئي؟". سأل أندي بلهفة.

"بكـل تأكـيد". أجـاب ماكس، وأضاف: "يمكنني البدء على الفور". مرةً أخرى، لقد وفّر له التزامن فرصة مثالية عندما يكون بأمسّ الحاجة إلى العمل.

فشغل منصب مدير مشروع ومدير مبيعات مقابل الحصول على نسبة مئوية من المبيعات المستقبلية. وانكبّا على العمل على الفور وحققا تقدماً سريعاً.

بعد شهرين من عمله في مشروع "كمبيوتر؛ مدرِّس خصوصي"، طوّر أحد مهندسي أندي ما بات يُعرف بكمبيوتر كاي برو؛ الكمبيوتر المحمول الأكثر رواجاً في العالم بعد أوسبورن، وكاد يفوق هذا الأخير بنسبة مبيعاته.

اسـتمر العمل على "الكمبيوتر؛ المدرِّس الخصوصي"، ولكنه لم يعـد الأولـوية. لقد حقق كاي برو رواجاً منقطع النظير، وارتفعت المبـيعات السنوية لشركة أندي الصغيرة من مليونَي دولار إلى 250 مليون دولار.

فجـــأةً، انضم إلى الفريق عشرات التقنيين وعشرات مستشاري الكمبيوتـــر. وعـــندما علـــم هؤلاء بخلفية ماكس وصِلاته، طلبوا منه مساعدتهم على إنتاج أفلام تدريبية "لتعلّم الطرائق".

وبين ليلة وضحاها، تحوّلت ماكسيموم بروداكشنـــز إلى شركة ناجحـــة منتجة لأفلام التدريب، وتتمتع بإحدى أفضل المهارات التقنية في العـــالم. لقـــد أثـــارت التطورات التكنولوجية والعالم القائم على التكنولوجيا المتقدمة اهتمام ماكس. لم يكن ذا توجّه تكنولوجي، ولكنه ســـرعان مـــا اكتشف كيفية معرفة الأفلام التي قد تحقق رواجاً كبيراً. واعتُبر ماكس معلّماً تكنولوجياً في عالم لا يميّز بين نظام دوس وسي أم بيي، أو بين لوتس وورد برفكت.

وغابت طموحاته لإنتاج *أفلام واقعية* أو القيام بأي شيء باستثناء لعـــب الغولـــف، ومواعدة النساء الجميلات، والاستمتاع بشكل عام بأسلوب الحياة الكاليفورني.

* * *

مرت السنوات من دون أن يصادف ماكس أيّاً من الأسماء الاثني عـــشر المتبقـــية. لقـــد بدا الأمر تقريباً كما لو أن ماريا، ويوسكي، وبـــي. أن. شارما، ويوكو، جزء من حلُم.

وبوجـــود اسم واحد مستبعَد - الدب الراكض - كان من السهل الشك في أن الأمر مجرد وهم ناجم عن الصدمة المتأتية من حالة النورانية.

ولكـــنه صادف حاملي الأسماء واحداً واحداً بحيث إنه لم يعد في إمكانه الاستخفاف بواقعيّتها أو تفسير ما يجري.

وماذا عن... *الدب الراكض*؟

لا بد من وجود تفسير لذلك بالرغم من عدم موافقة الاسم للعقل والمنطق.

كـــان يتلقى مكالمة هاتفية كل بضعة أشهر - من والدَيه عادةً - يُعلمانـــه بحادثة أدت إلى اصطحاب لويس إلى مصحة للأمراض العقلية بهدف مراقبته، ولا يُطلَق سراحه إلا بعد ثلاثين يوماً.

كـــان يعـــرف الروتين: يتناول شقيقه الدواء في أثناء احتجازه، ويتوقف عن تناوله بعد إطلاق سراحه.

وذات مرة، وبعد حادثة أدت إلى احتجازه لمدة قصيرة من الزمن للمعالجة، ظهر لويس في كاليفورنيا. كان لا يزال كريه الرائحة، قذراً، ويتكلم بصوت عالٍ وبشكل غير منطقي تماماً. فشعر ماكس بالأسف لحالـــه وتدبّـــر أمر بقائه في فندق ماريوت حيث يبقى نظيفاً، ويحظى براحة جيدة في أثناء الليل.

والتقـــيا في الـــيوم التالي على مائدة الغداء، وعرض ماكس على لويس دفع أجر بقائه في الفندق لليلة أخرى.

"أه، لا، الفـــندق مرتفع التكلفة كثيراً"، قال لويس معترضاً، "لن أبقى هناك. يمكنني النوم في سيارتي في الموقف وادّخار كل ذلك المال".

فرُوّع ماكس.

"ولكـــنه مالي"، أجاب، "ولا مانع لديّ في دفعه". ولكن لويس قاطعه قبل التمكن من مواصلة كلامه.

"لا! أحـــب ادّخـــار أموالي. سأبقى في السيارة". وهكذا افترقا، واتفقا على الالتقاء على مائدة العشاء في اليوم التالي.

في صـــباح اليوم التالي، ذهب ماكس إلى موقف سيارات فندق ماريوت بحثاً عن لويس، ولكنه لم يتمكن من العثور عليه. ولم يكن في أي من غرف الفندق.

وبعـــد عـــدة ساعات، وعندما التقيا على العشاء، سأل ماكس لويس عن المكان الذي نام فيه.

"رأيت موتيل 6 في مكان قريب، فركنتُ سيارتي هناك ونمت. إن تكلفة فندق ماريوت أكثر ارتفاعاً".

"ولكـــن موقـــف الـــسيارات في الماريوت مجّاني أيضاً"، أكد له ماكس، "ليس هناك أي فَرق".

"لا تفهـــم أي شيء عن المال". وأصرّ لويس على ذلك، وتكلّم بنـــبرة لم تُعجب ماكس: "الماريوت أكثر تكلفة، ويمكننا تحمّل تكلفة عشاء جيد بالمال المدّخَر".

لم يُحب ماكس، واستمتعا بوجبة هادئة.

وبالـــرغم ممـــا تعرّض له من ضرب في صباه من قِبل شقيقه، لم يـــتمالك نفـــسه عن الشعور بالأسف لحاله. وفي أثناء تناولهما الطعام، تـــبادر إلى ذهن ماكس ما أمل أن يكون الحل، واقترح على لويس أن يقوم طبيب نفسيّ بمعالجته. وعرض صفقة تقضي بتأمين راتب شهري إضافةً إلى ما يتلقاه لويس من والدَيه، شريطة تأكيد الطبيب أسبوعياً أنه يتناول دواءه.

فوافـــق لويس، وبدأت العلاجات. في الوقت نفسه، أصبح لاعباً شـــرِهاً ومنتظماً في حلَبة سباق دل مار. كان يجيد اللعب هناك أيضاً ويفـــوز بانـــتظام لدرجـــة أنه لم يعُد بحاجة إلى أخذ المال الإضافي من ماكس.

وبعـــد شهرين، توقف لويس عن رؤية الطبيب النفسي وأقلع عن تـــناول دوائه. وعلى غرار أفراد عائلة دوف كافة، كان الطعام إحدى مُـــتعه الرئيـــسة، متذرّعاً أن الدواء يُفسد معدته، ويتعارض مع مذاق الطعام، ويحمله على الشعور بالتوعك.

وحذّره ماكس من قطع المعونات المالية عنه إذا لم يستأنف تناول دوائه، ولكن التهديد لم يكن ذا أثر كبير بسبب دخله الجديد.

وتمثّل رد فعل لويس بتوجيه رسالة طويلة يتهم فيها ماكس بالقيام بنشاطات غير قانونية. وقال إنه سيرفع تقريراً بحق ماكس إلى مصلحة الضرائب والأف بي آي.

وبعد ذلك بقليل، توارى عن الأنظار وفقد ماكس كل أثر لمكان إقامته. وبعد تحريات سرّية، سمع شائعات بأن لويس اتخذ أسلوب حياة بدوية؛ يعيش في سيارته، يمضي فصل الصيف في ميشيغان وفصل الشتاء في تنيسي وفلوريدا.

وقد يلجأ لويس إلى استئجار غرفة عندما يشعر بالحاجة إلى سرير وإلى استحمام، ولكنه سيلجأ في الغالب إلى مواقع التخييم، ومواقف سيارات موتيل 6، ويتابع سباقات الخيل.

* * *

بعد وقت قصير من إعادة اتصاله بلويس، أظهر تشخيص طبي أن والدة ماكس، جاين، مصابة بداء السرطان في الجهة اليسرى من الدماغ حيث تسبب حادث السيارة بالضرر الأكبر.

وخضعت جاين لعلاجات بالأشعة وعلاجات كيميائية لقرابة عامَين، ولكن عندما فقدت قدرتها على الكلام والتحرك، سلّمت ماكس، الذي عاد إلى غرينويتش في زيارة أخيرة، ملاحظة قصيرة.

أنا مستعدة لدخول النور.

وأسلمت الروح بعد يومين.

فساعد ماكس والده على تنظيم مأتم جاين. لم توجَّه دعوة إلى لويس ولكنه لم يُمنع من المشاركة في المأتم، علماً أن هربرت اعترف في الواقع أن جاين كانت تعتقد سرّاً أن السلوك المنحرف لابنها الذي تسبب بنوبات قلبية مستمرة لوالده سرّع أيضاً في إصابتها بالمرض.

علـــى كل حال، لم يكن ماكس أو هربرت يجد سبيلاً للاتصال بلـــويس، لـــذلك لم يتمكنا من دعوته إلى المشاركة في المأتم، وحتى لو أرادا ذلك لما كان في استطاعتهما إبلاغه بوفاة والدته.

الفصل السادس عشر

غرايس

1984-1979

في حين كانت مهنة ماكس في صناعة الأفلام بمثابة رحلة حقيقية علـــى سكة حديد الملاهي، ثبت في النهاية أن حياته العاطفية مأساوية على نحو مماثل... ولا يمكن توقعها.

فغـــرايس برادلي هي المرأة الأولى التي التقاها ماكس بعد الانتقال إلى ســـان ديـــيغو. لقـــد التقـــى بها مصادَفةً في بركة سباحة "خاصة بالـــسكان" في مجمّعـــات سي بوينت فيلِدج السكنية في دل مار حيث كـــان يقـــيم. كانت تقوم بجولات في السباحة، وعندما خرجت من الـــبركة علم ماكس أنه مغرَم. كانت شقراء ولديها أجمل ساقَين رآهما يوماً. إنها المثال الأعلى للجمال بنظره.

وتبعها إلى الحمّام الساخن.

كانـــت عيـــناها تضحكان كما لو أن شيئاً لا يقلقها في العالم، وكان صوتها عذباً بقدر عذوبة أي موسيقى سمعها يوماً.

"حـــسناً، أتراك السابح الأكثر خداعاً الذي رأيته يوماً!". قالت غرايس، ضاحكة: "أم تحاول تعمّد الالتقاء بـــي؟"

"هناك أمر ما يحثني على ذلك كما أظن"، أجاب ماكس، وابتسم لهـــا. "أنا سعيد للغاية لأنني التقيت بك صدفةً. أنت أجمل امرأة عرفتها يوماً على الأرجح".

وحملها ذلك على إطلاق ابتسامة واسعة وفاتنة.

"لا أرى خاتماً في إصبعك". قال: "آمل أن يعني ذلك أنك عزباء".

"أنا عزباء، ولكن لا تذهب بعيداً في أفكارك. أنا خارجة للتوّ من عملية طلاق، ووعدت نفسي بألا أبدأ بالمواعدة مجدداً طوال ستة أشهر على الأقل". أجابت غرايس، وعيناها تتلألآن تحت أشعة الشمس.

"حسناً، لسنا بحاجة إلى المواعدة، ولكن آمل أن نصبح صديقَين". قال ماكس: "لقد انتقلت إلى هذا المكان يوم أمس وأكاد لا أعرف أحداً في سي بوينت".

"لديّ الكثير من الأصدقاء، ويسرّني أن أكون ضمن اللجنة الترحيبية غير الرسمية". قالت، مبتهجة. "لقد نشأت في كنف والدتي في آيوا وكنت في دَوري الناشئين. وبالرغم من أن الجميع في كاليفورنيا يبدون شديدي الاسترخاء، فأنا لا أزال أعتقد باحترام الواجبات الاجتماعية.

"سأعرّفك إلى الأشخاص المقيمين هنا، وستدرك بعد أسبوع واحد أو أسبوعين أنني إحدى الجميلات العديدات هنا في سي بوينت".

كان ماكس في الثالثة والثلاثين من عمره ويستمتع بحرية العازب في سان دييغو، في حين أن معظم النساء اللواتي لم يبلغن سنّ الثلاثين لا يفكرن في إقامة علاقة حميمة في الموعد الأول. لذلك، وبانتظار غرايس، يمكنه إقامة كل العلاقات الحميمة التي يرغب فيها مع العديد من النساء الجذابات اللواتي يلتقيهنّ في مهرجانات الأفلام، أو يتعرّف إليهنّ من خلال أصدقائه الجدد في كاليفورنيا.

* * *

لكن غرايس كانت مخطئة. فبعد ستة أشهر، لم تبقَ إحدى أولئك الجميلات العديدات، بل هي التي قُدِّر لها الزواج به.

* * *

بعد تسعة أشهر من المواعدة، طلب ماكس يد غرايس للزواج ووافقت.

كانت لا تزال امرأة أحلامه، فيشعر بسعادة غامرة عندما يكون برفقتها، ويقرص نفسه للتيقّن من أن الأمر حقيقة وليس خيالاً، وأنه سيحظى قريباً بزوجة مثالية.

كانت تبدي اهتماماً كبيراً *بغت ريل*، وهي طريقة في التأمل خاصة *بالعصر الجديد* استهلّها شخص يدعى هارولد هندرسن في كاليفورنيا. لقد بدا الأمر غريباً بالنسبة إلى ماكس، ولكنه لم يعلّق أهمية على الأمر بما أنه يُسعد غرايس.

لقد أُعجب ماكس بالنجاح الذي حققه هارولد، علماً أن ما يقوم به لا يعني له الكثير، ولكنه تمكن من اجتذاب جماعة من المعجَبين من خلال تلقين كيفية التأمل.

فالناس يدفعون مبالغ كبيرة من المال لحضور صفوف التأمل، كما أن هارولد يحظى بقدر ما يشاء من النساء. وبالرغم من كونه في العقد السادس من عمره، فقد نشر شائعات تفيد أن عمره يتخطى المئة، وأن تقنيات التأمل منحته شباباً أبدياً. وللمحافظة على شبابه، ادّعى أنه بحاجة إلى إقامة علاقات مع نساء أصغر سنّاً.

وتعتقد غالبية هؤلاء التابعات الشابات أن اختيارهنّ للمحافظة على شبابه هو أمر مشرّف لهنّ.

وغرايس محافظة كونها من آيوا. فبالرغم من ممارسة التأمل، لم تُقم علاقة أبداً مع هارولد وادّعت أنها لم تعتزم أبداً القيام بذلك. هي تعتقد

بالجنس بعد الزواج فقط، قالت بصراحة، ولكنها تعتقد أيضاً بتأملات *غِت ريل*.

من الواضح أن غرايس كانت مفتونة بهارولد.

وعــــندما علـــم هارولد أن غرايس مخطوبة لماكس، اقترح عليها الانضمام إلى صف أحد ممارسي التأمل الأكثر إلماماً.

فعرّف غرايس إلى ستيفن الذي كان طالباً في "المستوى الثالث". كانـــت غـــرايس قد مارست التأمل طوال تسع سنوات وارتقت إلى "المـــستوى الـــرابع". وشرح لها هارولد الأمر قائلاً إن لديها الكثير مما يمكـــنها تلقيــــنه لستيفن، وإنها سترتقي إلى مستويات أعلى إذا قامت بذلك.

وبالإضافة إلى كونه في "المستوى الثالث"، يعمل ستيفن في ميدان العقارات ويملك الملايين من الدولارات، في حين أن ماكس كان يحصل آنذاك على راتب منتج مساعد يبلغ 40,000 دولار في السنة، ولا يمكنه الدخول في أي منافسة.

فأعــــادت غرايس الخاتم إلى ماكس، وبعد ثلاثة أشهر، ارتبطت بستيفن. لم يكن في استطاعة ماكس القيام بأي شيء.

لقد أصيب بصدمة.

* * *

في الـــيوم التالي لقيام غرايس بفسخ خطبتها بماكس، طُرد ماكس من "سي أر أم فيلمز".

لقد شعر بحزن عميق بسبب فقدان غرايس، ورفض التخلي عن أمل العودة إليها لمدة طويلة من الزمن بالرغم من عدم اتخاذ الوضع هذا المنحى.

كانـــت ماكـــسيموم برودكشنـــز قد تأسست منذ مدة طويلة، فـــصرف اهـــتمامه إلى العمل. كانت نعمة مموَّهة، عبارة عن انسجام

فكري وعاطفي في العمل، ولكنه لم يدرك ذلك بالرغم من كونه وسط المأساة.

في الواقـــع، ستمرّ عشر سنوات قبل أن تتضح الصورة كاملة في ذهنه.

الفصل السابع عشر

العودة إلى غرايس

1994

تلقـــى ماكس اتصالاً هاتفياً من مِغ بركينـــز، إحدى صديقات غرايس الأكثر تقرّباً منها.

كـــان قد قطع الاتصال بغرايس أو بأيٍّ من مجموعات غـِت *ريل*، ولكن، مرّ وقت كافٍ ليوافق على التقاء مِغ التي كانت ممثلة.

لقـــد قادت سيارتها من لوس أنجلوس لتطلب النُّصح من ماكس بـــشأن الأفـــلام، ولتطرح عليه فكرة عامة تريد تطويرها. فشرح لها بـــتهذيب قائلاً إن الفكرة التي تطرحها جيدة ولكنها ليست من النوع الذي يقوم بمعالجته.

ومن ثم، صعقته فكرة لاحقة.

"بالمناسبة، ماذا حل بغرايس؟". سأل بلامبالاة، بالرغم من إدراكه أن الجروح القديمة لم تندمل تماماً بعد. "سمعتُ أنها انتقلت. هل لا تزال مع ستيفن؟".

"أه، لا"، أجابت مِغ، هازّةً رأسها بقوة، "دام ذلك الزواج ثلاث سنوات فقط. انتقلت غرايس إلى بولندا وهي تبيع العقارات. في الواقع، هـــي قادمة في الأسبوع المقبل لأجل مؤتمر أعمال. أنا على ثقة تامة أنها ستحب أن تراك إذا كنت تملك الوقت".

لم يكن ماكس واثقاً من شعوره حيال دعوة مِغ، ولكن الفضول تغلّب على الفطرة السليمة، وقال إنه يرغب في رؤيتها. فوافقت مِغ على تدبّر أمر لقائهما.

* * *

بعد يومين، كان ماكس جالساً إلى مكتبه وهو ينظر إلى المحيط من غرفته الواقعة في الطابق الثاني من مبنى ماكسيموم. كان قد اشترى المبنى بسبب المنظر المُطلّ، ويُمضي معظم اليوم على الهاتف، مشاهداً راكبي الأمواج، والدلافين، والحيتان المهاجرة، ومفاتن أخرى على الشاطئ.

وأيقظه من شروده الذهني حضور أنثوي وراءه ويدان توضعان على عينَيه.

إنها غرايس. كان في استطاعته معرفة ذلك من دون سماع صوتها.

لقد شعر بحيويّتها، وسمع ضحكتها عندما رفعت يدَيها. وعندما استدار لينظر إليها، ذُهل برؤية امرأة في الأربعين من عمرها تقريباً لم تكبر يوماً واحداً منذ عشر سنوات.

ربما أثمرت ممارسات غِت ريل التأملية أخيراً، قال في نفسه، ولكنه لم يقل ذلك بصوت عالٍ.

وتبادلا أطراف الحديث لقليل من الوقت، وشعر ماكس أنه يختبر حالة نورانية. هو يعلم أنه يشارك في الحديث، ولكن الأمر كان أشبه بمراقبة نفسه عن بُعد. فطلب منها الخروج لتناول الغداء.

* * *

بعد ثلاثة أشهر، ارتبط غرايس وماكس مجدداً استعداداً للزواج.

فدعا مئة شخص من أصدقائه المقرَّبين إلى أروبا، في البحر الكاريبي، واحتفلا بزفاف دام ثلاثة أيام وتضمّن رحلات استجمام

إلى ملاعـــب الغولف، وعلى متن مركـب، وإعداد ولائم تقليدية حيث يرتدي الضيوف سترات السهرة ويرقصون على موسيقى فرقة موسيقية كبيرة في فندق بريكل باي الذي تم استئجاره لهذه المناسبة فقط.

لقـــد أدّت غـــرايس قسطها من الاستعدادات للزفاف، وضمّنته العديـــد من العناصر التقليدية المتوافرة على الجزيرة؛ كانت ذات ذوق جماليٍّ رائعٍ. ولبّت حفلة الزفاف كل التوقعات... باستثناء توقّع واحدٍ، بالرغم من قيام ماكس برصد ميزانية غير محدودة.

* * *

قـــبل الاحتفال، شعر ماكس أنه يرتكب خطأ. لقد قرر في الواقع استـــشارة العديـــد من الأصدقاء والوسطاء الروحيين، إضافةً إلى رجل الدين الذي سيقوم بمراسم تزويجهما، وأجمعوا على أنه من الخطأ الزواج بها. ولكن ماكس سمح لقلبه مرة أخرى بالحلول مكان عقله.

"إذا لم ينجح الأمر، يمكننا الحصول على الطلاق". قال بثقة. كان مأخـــوذاً برومانسية المناسبة وبجمال هذه المرأة التي سكنت قلبه طوال عشر سنوات وستغدو زوجته. لقد اعتبرها شريكاً روحياً لمدى الحياة، وحالـــة تلبـــي طموحات الجنس البشري والرغبة في إقامة وحدة بين المعلمين الروحيين الرائدين وطرائق التفكير العصرية.

كان ماكس على ثقة أنه الزواج الذي سيجد فيه الغاية من حياته.

الفصل الثامن عشر

التيبت

1996

بعد صيفَين من الزواج، بدأ النعيم الذي شعر به ماكس بعد عقد قرانه يتلاشى.

فمنذ عودهما إلى كاليفورنيا، أوضحت غرايس أنه ليس المكان الذي تريد الإقامة فيه. هي تحلم بمنزل في فيرجينيا، كما شرحت، واستمرت في حثّه على الانتقال. ولكن ماكسيموم برودا كشننز موجودة في كاليفورنيا، وهي المؤسسة التي توفر لغرايس أسلوب الحياة الذي اعتادت عليه.

وبالرغم من مواصلة نشاطاهما كمدرّسة للتأمل، كانت غرايس الشخص الأكثر انهماكاً في شؤونها الذاتية الذي قابله يوماً. لم تكن تهتم بمهنته وبالأمور التي تثير اهتمامه.

كانت تُبدي بعض الاهتمام عندما يحاول إخبارها عن الاثني عشر، ولكن سرعان ما تتظاهر بالحاجة إلى القيام بأمر أكثر أهمية. وإذا ذكر الأمر لاحقاً، تكون قد نسيت ما أخبرها به من قبل.

قررت الذهاب إلى جاكسون هول، وايومينغ، للاختلاء في صومعة الراهبة التيبتية الوحيدة في العالم بعينَيها الزرقاوَين. فالراهبة تدعى أغاتا وينرايت، وقد قصدت التيبت في سنّ التاسعة عشرة

ورُسمـــت كاهنة. وبعد سنوات قليلة، أدركت أن حياة الترهّب ليست لهـــا، وبحثت عن شريك روحي ملائم، وتزوّجا، ورُزقا بأربعة أطفال رائعين، محافظةً على ممارساتها البوذية التيبتية.

لقد جمعت في النهاية ما يكفي من المال لشراء قطعة أرض واسعة خـــارج جاكسون هول تبلغ مساحتها أربعمئة فدّان، وأنشأت معتزل ماندالا للطلاب الروحيين. لقد أعلنت أغاتا عن قيام راهب تيبتي شهير بإحـــياء صـــف خاص في نهاية آب/أغسطس، ويبلغ طول هذا الراهب ستّ أقدام وبوصتَين، أطول من التيبتي العادي بقدم واحدة. وأُشيع أنه يمتلك قدرات خارقة ويمكن ليدَيه أن تخترقا الجلاميد.

إنه نوع المعلمين الروحيين الذين تاقت غرايس إلى لقائهم، لذلك تسجلت على الفور. وشجعت ماكس على الاشتراك أيضاً، ولكنه قاوم الأمر.

فقالت له إنها لا تريد الضغط عليه لحضور الصف، وأعطته كتاباً أزرق صغيراً بعنوان *تأملات الكمال العظيم*. ففتحه ماكس وقرأ الجملة الأولى.

هدف التأمل ليس التأمل.

"حـــسناً، إنه تبدل جيد". قال بسخرية: "قد أقرأ هذا الكتاب في الواقع".

ولكن غرايس لم ترتدع.

"أظـــن أنك ستكوّن فكرة مختلفة عن التأمل إذا انضممت إليّ في المعتزل". قالت.

فلـــم يقتـــنع مـــاكس، ولكنه أراد أن يُسعد زوجته ويُظهر لها أنـــه منفتح العقل - إن لم يكن توّاقاً - لتعلّم أسلوب جديد لضبط النفس.

وهكـــذا، دفـــع رســـم التـــسجيل، وتوجّه بعد مدة قصيرة إلى جاكـــسون هـــول مع غرايس لتعلّم هذا التأمل الذي سيقوده إلى عدم الـــتأمل. وحاولت أن تشرح له أن عدم التأمل هو جوهر التأمل الدائم في كل لحظة من الوعي واللاوعي؛ ما يدعوه البوذيون حالة من السرور البالغ.

في الـــنهاية، تخلّت عن الأمر، ولكنها بقيت في حالة من السرور البالغ.

"أنا سعيدة جداً لأنك قررتَ القدوم". قالت بتودّد: "ستحبّ هذا المعتزَل".

بعـــد هـــبوط طائرتهما في وايومينغ، استقلا سيارة مستأجَرة من المطار وتوجها إلى مركز الاختلاء. كان الطقس حاراً ومغبّراً، والأميال الـــثلاثة الأخيرة من الطريق غير معبَّدة، مليئة بالحُفر، وتطرح تحديات حتى بالنسبة إلى سيارتهما الفخمة.

لم يعلّق ماكس أهمية كبيرة على وسائل الراحة والتسلية التي اعتبر أنها ستكون ريفية في ذلك المكان. وعندما وصلا، شاهد لافتات تشير إلى مكان وجود مواقع التخييم.

لم يكـــن مـــاكس من النوع الذي يحب التخييم، لم يسبق له أن نـــصب خيمة في حياته. كان قد حل المساء تقريباً وخيّم الظلام عندما وصلا. وباستثناء المصباح المحمول الذي اصطحبته غرايس معها، لم يكن هناك أي ضوء.

لم يكن هناك كهرباء في كل الموقع كما يبدو.

فحافظـــت غرايس على شجاعتها في أثناء اختيار موقع للتخييم، ووجّهت ماكس بالطريقة الملائمة لنصب خيمة.

* * *

بعـــد ساعة من الزمن، شعر ماكس وغرايس بالإحباط وبسرعة انفعالهما، فانضما إلى بقية المجموعة في المبنى الرئيس حيث تُعقَد صفوف الـــتأمل. كـــان يـــتم الإعداد للشروع بمرحلة تهيئة للتأمل، وأُعطيت وسادتان لماكس وغرايس وطُلب منهما المتابعة بانتباه.

لحسن حظ ماكس، كانت مرحلة التهيئة نموذجاً قصيراً دام خمس عشرة دقيقة، وكل من في الغرفة يمارسون التأمل منذ خمس سنوات أو أكثـــر. وبعـــد الجلـــسة، طُلـــب من كل شخص التعريف عن نفسه والإفصاح عن الأهداف التي حملته على المشاركة في الخلوة.

لقد أمِل معظم المتأملين رفع ممارساتهم التأملية إلى المستوى التالي. وشـــعر العديدون أنهم على وشك بلوغ مرحلة النيرفانا، أو على الأقل مـــرحلة يقطعـــون فيها صلتهم بأجسادهم أو حواسّهم أو أي أفكار متعلقة بالنشاط البشري العادي، ما دعوه "صَمَدي".

كـــان مـــاكس آخر من يتعيّن عليه التكلم، وعندما حان دوره للكشف عن أهدافه، تحدّث بصراحة.

"أنـــا موجود هنا في الواقع لمرافقة زوجتي، غرايس"، قال معترفاً، "لا أعـــرف شيئاً عن التأمل، ولكنها تمارس التأمل منذ عشرين عاماً، والأمر هام بالنسبة إليها. لذلك، أنا هنا".

لم يتقـــبّل زملاء الصف الجدد حقيقة أمره بارتياح، وتبيّن له أن الاخـــتلاء هـــو للطلاب الذين بلغوا مراحل متقدمة في التأمل. وشعر العديـــد منهم أن ماكس تسلل إلى المعتزَل كونه زوج طالبة متمرّسة؛ نـــادراً مـــا تقوم ممارِسة في مرحلة متقدمة بالزواج بشخص ليس من مستواها أو لا يملك حافزاً قوياً لممارسة التأمل.

فاســـتاء ماكس من الحكم الصادر بحقه على هذا النحو. لقد رآه في وجـــوه الأشـــخاص المحـــيطين به؛ وجوه هؤلاء المدعوّين طلاباً في

مـــراحل متقدمة. لقد ذكّره الأمر بالقادة الروحيين الذين التقى بهم في أسفاره والذين رفضوا تقبّل أولئك المختلفين عنهم.

ولاحـــظ أنــــه يتعيّن عليه الموافقة على ما يمارسونه وإلا انتُقصت قيمته كفرد. كان يكره الرياء، وقد أدرك أنه السبب الكامن وراء عدم اعتناقه أي معتقدات دينية محددة. كان ماكس على طريقه الاستكشافي الخاص، و لم يشأ أن يحيد عن حقيقة أمره وعن سعيه إلى اكتشاف الغاية الحقيقية من وجوده.

وتحـــدثت أغاتـــا، مـــنظمة ومؤسسة مركز الاختلاء، من بعده. فـــرمقت الموجـــودين واحداً تلو الآخر بنظرات هادئة اكتسبتها طوال ثلاثين عاماً من التأمل، وشرعت بالكلام.

"سيكون هناك تبديل في المعلّمين هذا الأسبوع"، أقرّت، "أعرف أن معظمكـــم جاؤوا للقاء التولكو (الكاهن عالي الرتبة) هانكا بصفة خاصة وممارسة التأمل معه. لسوء الحظ، رفضت الحكومة الصينية منحه تأشـــيرة السفر التي تسمح له بمغادرة الصين، ولن يتمكن من الانضمام إلينا".

فحدثت همهمة بين الحشد، وانتظرت خمودها، وأضافت.

"ســـيحل مكانه التولكو الريبونش شيبا، مؤسس دير توركواز في النيـــبال. كـــان التولكو شيبا قادماً، على كل حال، لإجراء احتفالات تكـــريس المـــزار الـــبوذي الجديد الذي سينتهي العمل على بنائه هذا الأسبوع. التولكو شيبا هو المرجع الأعلى في العالم للاحتفالات المرتبطة بالمزارات البوذية".

وفي حـــين فهم ماكس معنى عبارة "دير توركواز"، لم يتمكن من فهم مدى الأهمية التي أولاها الحشد للشخصَين اللذَين ذُكر اسماهما. و لم يُبالِ بالأمر بما أنه لا يوجد أي فرق بين رجال الدين.

"إنـــه معلّـــم رائع"، أضافت أغاتا، "لذلك آمل أن تستفيدوا من الخلوة كما لو أن التولكو هانكا هو الذي يدير جلسات التأمل فيها".

لقـــد جمع ماكس بعض المعلومات عن احتفالات المزارات البوذية عندما كان يعمل على فيلم *البحث عن الفادي التاريخي*. فالمزار البوذي هـــو بناء مستدير الشكل، مليء بأغراض مبجلة لبوذا وذخائر من صُنع الـــرهبان، ويقوم بوذيون مكرَّسون بالتطواف في المكان في أثناء تلاوة أدعيتهم.

ويُعـــتقد أن المزار البوذي يمثّل وجود بوذا على الأرض، ويستمدّ الطاقة من بوذا ويمرّرها إلى أولئك الذين يموّلون بناء المزار، ويشيدونه، ويحافظون عليه، ويكرّمونه، إضافةً إلى أولئك الذين يتلون أدعيتهم.

بالرغم من تبريرات أغاتا، لم يتلقَّ طلاب التولكو هانكا بشكل جـــيد نبأ عدم تمكنه من الحضور. إنهم قادمون من مختلف أنحاء البلد، وقـــد دفعـــوا مـــبلغاً طائلاً من المال للقاء التولكو هانكا ذي القامة الطويلة.

و لم يكن التولكو شيبا مثل التولكو هانكا.

وكانت غرايس الأكثر تعبيراً عن خيبة أملها.

"إنـــه أمـــر غير منصف"، قالت بصوت عالٍ، "من أسباب مجيئي إجراء مقابلة مع التولكو هانكا سأضمّنها كتابـــي الذي أعتزم وضعه. كان يُفترض بك إعلامنا قبل وصولنا".

"سنبقى"، أضافت، "ولكن الأمر يتخطى كونه مخيِّباً للآمال".

ودمـــدم الحشد موافقاً، ولكن قبل أن تتمكن أغاتا من الإجابة، دخل زوجها إلى غرفة الاختلاء ولفت انتباه أحدهم.

"مـــن يملك سيارة رقم لوحتها 4 جي 18 في أر؟". سأل وسط الضجيج. "هي متوقفة في موقع التخييم، ويجب رَكن كل السيارات في

الموقـــف المخـــصص لها فقط. إنها أرض مبجلة وحساسة من الناحية البيئـــية. يجـــب علينا أن نحترمها بأجمعنا، لذلك، أيّاً يكن مالك تلك السيارة، أرجو أن يقوم بنقلها على الفور".

إنهـــا ســـيارة غرايس وماكس، فخرجا، وتمكنت من التدخين في طـــريق عـــودتها إلى موقـــع التخييم، ومن موقع التخييم مروراً بموقف السيارات ووصولاً إلى الخيمة.

كانـــت الـــساعة قد تخطت منتصف الليل بإحدى عشرة دقيقة عـــندما عـــادا، و لم تتمكن من استئناف تذمّراتها، و لم يتبقَّ لهما سوى الخلود إلى النوم.

* * *

في صباح اليوم التالي، وصل الريبونش، أي المعلّم كما دُعي طوال فترة الاختلاء، إلى المخيّم. كان مفتول العضلات، ويمتاز بصفات تيبتية حادة، ويرتدي لباساً أرجوانياً.

لم يكـــن الـــريبونش يـــتكلم سوى اللغة التيبتية – لم يكن يجيد الإنكليزية أبداً – لذلك اصطحب معه مترجمه الخاص.

لم تُعقـــد الجلـــسات في الوقت المحدد، ولكن عندما اعتاد ماكس على التأخير، أصبحت الصفوف كأي صفوف في الكلّية تقريباً. ووجد الأمر مثيراً للاهتمام، الأجواء مماثلة تقريباً لأجواء هارفرد ويال، وكانت المرة الأولى التي يحفّزه أستاذ على التطرق إلى شؤون فلسفية بعد حرمانه في يال من حضور صفوف في الفلسفة.

ولكـــن الـــريبونش أفضل من أساتذة يال. لم يكن يطرح أسئلة فحـــسب مـــثل: ما شكل الكون؟ أو ما لون الكون؟ بل كان يُعطي إجابـــات عـــنها أيضاً. وبدلاً من التعبير عن آرائه ببساطة، كان يبدو شديد الفضول لسماع آراء أفراد المجموعة الحاضرة.

لم يكـــن معظم الحاضرين يتطوعون للإجابة، ولكن ماكس اعتاد المـــشاركة... وإعطـــاء إجابات صحيحة. ولسبب ما، قال إن الكون أزرق.

وعندما أعطى هذا الجواب، قيل له إنه مخطئ ويُفترض به الخروج إلى الغابـــة المحـــيطة والتأمل للعثور على الجواب الصحيح. وقيل له إن الريبونش سيستدعيه عندما يمر وقت كاف على وجوده في الخارج.

وانتهـــى الأمر بماكس مُمضياً مزيداً من الوقت في الغابة أكثر من إجمالي المدة التي أمضاها المتأمّلون بأجمعهم.

لقـــد تخيّل الكون مجدداً على صورة لولب مزدوج، ولكنه مخطئ وفقاً للريبونش.

وكان عليه الخروج إلى الغابة مجدداً.

وبـــدأ يشعر كما لو أن الذهاب إلى الغابة أشبه باعتمار قلنسوّة مغفّـــلٍ في الصف الثاني يجلس في الزاوية على كرسيّ من دون ظهر في أثناء حصة الآنسة مونتالدو الدراسية، ويسخر منه الطلاب.

ولكن هؤلاء المتأملين لم يكونوا يسخرون منه بالرغم من أن بعضهم لم يتمالكوا أنفسهم عن الابتسام بسبب كثرة خروجه إلى الغابة.

بالـــرغم من ذلك، كان الأمر جديّاً بالنسبة إلى المشاركين، وبدا أنهـــم ينظـــرون إلى انصياع ماكس بكل تقدير. ولم تُرسَل غرايس إلى الغابـــة أبداً لأنها لم تتطوّع للإجابة عن أي سؤال من أسئلة الريبونش، كمـــا هـــي حال معظم أفراد المجموعة. لم تكن طبيعة التعليم تتطلب وجـــوب الإجابـــة عن الأسئلة المطروحة، ولم تكن توضع علامات، باستثناء العلامة التي قد يضعها كل مشارك لنفسه، تحديداً لمدى اقترابه من مرحلة التنوّر.

* * *

لاحظ ماكس العديد من الأمور بما في ذلك حس الفكاهة الرائع الذي يتمتع به معلّمهم.

ففي سنّ الثالثة، اعتُبر المعلّم مكمّلاً لسلالة الرهبان في دير عظيم في التيبت. وفي سنّ السادسة، كُرِّس تولكو في دير مجاور. إنه أمر غير عادي تماماً بما أن هذه التعيينات تعني أنه متقمّص من تولكو سابق، وهو أمر مماثل لعملية اختيار الدالاي لاما. ومن النادر في الواقع أن يتم اختيار الشخص نفسه مرتين، مما يعني أنه متقمّص من روحين متنوّرتين مختلفتين، ولكن من الواضح أن التعاليم البوذية تسمح بحدوث هذه الأمور الاستثنائية.

ومن وجهة نظر الريبونش، من النادر جداً أن تكون السلالتان اللتان يمثّلهما قد تمتعتا بأكثر من خمسمئة عام من الحكم الذاتي المتواصل الذي انهار في أثناء عهده.

كان في الخامسة عشرة من عمره فقط عندما قام الصينيون - الذين اجتاحوا التيبت - بسجن كل الدالاي لاما ووضعهم في سجون ذات حراسة مشدَّدة، وفي معسكرات للأعمال الشاقة في مناطق حرجية نائية حيث يُجبَر السجناء على قطع الأخشاب طوال اليوم ويتعرضون للتعذيب في الليل. والسجناء الآخرون الموجودون في المعسكرات هم المجرمون وأولئك الذين حُكم عليهم بالموت.

ويدخل الحراس في منتصف الليل ويختارون لاما أو مجرماً، ولا يظهر ذلك الفرد مجدداً في غالب الأحيان. وعندما يظهرون مجدداً - ولا يحدث ذلك إلا في حالات نادرة - يكونون قد تعرّضوا للضرب بشكل وحشي. ولن يطول الأمر حتى يؤخذ أولئك السجناء الذين تعرضوا للتعذيب للاستجواب، ولا يعودون أبداً بعد الاستجواب الثاني.

"في الواقع، كنت ممتنّاً لقيام الصينيين بسجني"، شرح الريبونش بواسطة مترجمه، "الأمر أشبه بالتواجد في جامعة اللاما الأكثر تثقيفاً في العالم. لقد جمع الصينيون اللاما الأكثر حكمة من أنحاء التيبت كافة، وتعلمت منهم جميعاً. كنت شاباً وقوياً وأحد أفضل العمال. لذلك، بقيت في المراتب الأخيرة على لائحة أولئك الذين يجب تعذيبهم وإعدامهم. ولكن شيئاً لم يكن أكيداً بالطبع"، أضاف، "وعندما أقوم بالتأمل، كنت قادراً على التأمل بطبيعة الزوال بطريقة لم يكن في إمكاني اختبارها من دون إدراكي الحقيقي أنني قد أتعرض للقتل في أي لحظة".

بعد أربعة عشر عاماً من العمل الشاق، قال الريبونش، إنه قد أُطلق سراحه ولجأ إلى النيبال حيث أنشأ ديراً للراهبات. معظمهنّ لاجئات من التيبت، والعديد منهنّ تعرضنَ للضرب والاغتصاب من قبل المحتلين الصينيين. وهناك التقى أغاتا، ودُعي إلى أداء الشعائر المبجلة لتكريس المزار البوذي.

إنه من سلالة بوذيّي دزوكن الذين جمعوا بين تعاليم شعب البون - قبيلة كهنتوية مقيمة في الجبال - وتعاليم بادماسامهافا، وهو المعلّم البوذي التيبتي الأعظم ومؤسس الديانة البوذية. كان شعب البون موجوداً قبل قرون من بوذا، ويُعتقد أنهم يتمتعون بقدرات غريبة. ويتمثل الهدف من التأمل وفقاً لدزوكن بالتمكن من اكتساب "الجسد القوس قُزَحي". وهو تعبير يشير إلى اكتساب الروح المعرفةَ المطلَقة وتمكنها من اتخاذ أي شكل في أي وقت.

فالأمر أشبه ببلوغ حالة النيرفانا، إضافةً إلى تمكن هذا الشخص من التقمص متى يشاء على صورة كيان أو مادة يمكن أن يختارها، فيصبح عصفوراً، أو جبلاً، أو جدول ماء، أو حجراً، أو حيواناً، أو إنساناً آخر، أو قوس القُزح نفسه.

* * *

في اليوم الخامس من الصفوف، حان موعد تدشين المزار البوذي. فطلب المترجم من الجميع التحلّق، وأخبر الطلاب أنه في أثناء مشاركة الجميع بالترانيم سيكون الريبونش بحاجة إلى من يساعده على إتمام الاحتفالات، وهو أمر مشرّف جداً.

فماكس هو الشخص الوحيد الذي لم يكن من المنتظَر اختياره لأنه حديث العهد. وسواء أكان الريبونش يعرف ذلك أم لا، فقد انتهى به الأمر باختيار ماكس.

لم يكن ماكس يشعر أن الريبونش متنوّر، ولكنه أُعجب به وكنّ له كل احترام. كانت لديه مناقبية وتنظيم في العمل يحملانه على الاستيقاظ عند الرابعة صباحاً، وتقديم استشارات خاصة، ومن ثم التعليم بدءاً من الثامنة صباحاً وحتى السادسة مساءً. ويؤدي في معظم الأمسيات طقوس التأمل في الأكواخ، وتحت السّقيفات، وفي المنازل الريفية البسيطة المنتشرة على امتداد مركز الاختلاء التي تبلغ مساحته أربعمئة أكر.

وأُعجب ماكس أيضاً بواقع أن الريبونش يتناول اللحوم. كانت تحتوي كل وجبة يتناولها على لحم غنم مع أرزّ بالكاري عادةً وخضار، بكميات كبيرة. لقد عزز هذا الأمر ثقة ماكس بمفاهيمه بما أن غرايس ومعظم زملائها النباتيّين يعتقدون أن أكلة اللحوم يُحكم عليهم بقدر كبير من العذاب في الجحيم.

وطوال يومين كاملين، عمل ماكس كمبتدئ. كان يحمل الصينية التي يوضع عليها الأرزّ المُبجَّل، ويسلّم أغراضاً مبجَّلة إلى الريبونش الذي يلقيها بين الطلاب المتجمعين بعد تكريسها لأسياد وسيّدات مُبجّلين مختلفين.

عندما حان وقت التلاوة المطوَّلة لطقوس محددة، قام ماكس بقلب صفحات لفافات أوراق قديمة. ويتألف طقس واحد أحياناً من عشرين

صفحة أو أكثر، وتتطلب تلاوته ساعة واحدة أو أكثر.

وبعـــد كـــل استراحة، كان ماكس يفترض أن دوره قد انتهى، ولكن الريبونش يستعين به مجدداً، لقد بدا له أن الزمن لا يمضي في أثناء هذه الطقوس. وتشكلت سُحُب غريبة في السماء.

كـــان الحاضرون مقتنعين أن السُّحُب تحمل شكل بوذا، وهي دلالـــة على حضوره. لم يكن ماكس واثقاً من ذلك، ولكن مساعَدة الـــريبونش حملـــته على الشعور بالمودّة وأن السُّحُب هي بمثابة التزام لمدى الحياة.

كـــان لا يزال غير قادر على التأمل لأكثر من عشرين دقيقة من دون الإصابة بملل جدّي.

* * *

عندما انتهت الاحتفالات، أُعدّت للحاضرين وليمة رائعة قُدّمت فيها أنواع الطعام كافة - الحلو منه والحامض - إلى جانب المشروبات علـــى اخـــتلاف أنواعها. كان موضوع الوليمة "مذاقاً واحداً"، وهو يعكـــس المفهوم الذي يشير إلى أن الأطعمة كافة متساوية ولا يُفترض بالمشاركين تفضيل نوع من الطعام على آخر.

لم يكن يُفترض بهم النظر إلى الطعام الموجود في الطبق الذي يبقيه الخـــدم مليئاً. ولم تكن هناك أدوات للطعام، لذلك يقوم كل شخص بالـــتقاط أول ما تلمسه يده ببساطة. وفي إحدى المرات، وجد ماكس في يده كعكة محلاّة مع مزيج من الطعام اللذيذ. كانت مغامرة إلى حدٍّ ما، وقد استمتع بكل دقيقة منها.

وقُبـــيل نهاية الوليمة، دنت أغاتا وينرايت من ماكس وسألته عما إذا كـــان جـــدول أعمالـــه يشمل الحصول على استشارة خاصة من الريبونش. وتفاجأت عندما أجابها بالنفي.

"لا؟ حسناً، يُفترض بك ذلك حقاً"، قالت مُطلقةً ابتسامة عريضة، "لقد حصل الآخرون على استشاراتهم الخاصة. كنتَ مساعداً ممتازاً، ولا أريدك أن تُهمل الأمر".

* * *

عند الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي، تجمّع الجميع في القاعة الكبرى لعقد الجلسة النهائية. وبدأت الترانيم قبل التأمل، وسأل المترجم بالنيابة عن الريبونش إذا كان يوجد في الغرفة من لم "يتخذ ملاذاً له" بعد. ويشير هذا التعبير إلى اتخاذ اسم تيبتي خاص يسمح للمتلقّي بالانفتاح على بادماسامهافا في أثناء التأمل، ويمنحه فرصة التنوّر واكتساب الجسد القوس قُزَحي، أيّاً تكن هذه الفرصة بالغة الصِّغر.

كان كل من في الغرفة قد اتخذ "ملاذاً آمناً" له باستثناء ماكس، لذلك تم استدعاؤه للوقوف أمام الجميع في الجهة الأمامية من الغرفة. ومُنح ملاذاً آمناً في احتفال سريع دام خمس عشرة دقيقة، ومرّر له الريبونش خفيةً قصاصة ورق كُتب عليها اسمه التيبتي الجديد.

وفقد ماكس الورقة على الفور، ولم يتعلّم أبداً لفظ اسمه التيبتي. وقيل له إنه يعني "ماسة"، أي أنه يعني مفكّراً طاهراً قوياً وبارعاً.

بعد ذلك، كان هناك ترتيب إضافي قبل الشروع بالتأمل: لقد أحضر الريبونش معه من التيبت عشبة سوداء مرّرها على الجميع في الغرفة. وأخبر مترجمه الحاضرين أن العشبة زرعها اللاما التيبتيّون القدماء في حدائق اعتنى بها الرهبان طوال قرون من الزمن. فالطاقة والبرَكة اللتان وضعهما الرهبان واللاما في العشبة تعزز الرحلات الروحية لكل من يتناول العشبة.

وتـــناول كل فرد جزءاً صغيراً من العشبة التي لا يزيد وزنها عن غـــرام واحــــد، ومـــضغه أو ابتلعه. وبما أن الجميع وجدوا هذا الأمر اعتيادياً، حذا ماكس حذوهم وابتلع العشبة.

لم يلاحظ حدوث أي أمر غريب على نحو استثنائي، ولكنه تفاجأ لـــدى اكتشافه أنها المرة الأولى التي يتمكن فيها من تحمّل ساعتين من الـــتأمل مـــن دون الـــشعور بملل تام، أو الانشغال بموضوعات عملية أخرى.

وبعد انتهاء التأمل، وإلقاء الجميع تحيات الوداع، توجّه ماكس إلى موقع التخييم الخاص بالريبونش للحصول على استشارته الخاصة. كان المعلّم ومترجمه في الانتظار.

وبدأ المترجم الجلسة.

"يريد الريبونش أن يعرف ما الذي تسعى وراءه، وما إذا كان في استطاعته مساعدتك"، قال.

"لا أســـعى وراء أي شـــيء في الواقع"، أجاب ماكس بصدق، "ولكـــنني أتساءل عن سبب امتلاء العالم بهذا الكمّ من العنف والكره، وسبب معاناة الكثير من الناس".

وعندما تُرجم تعليقه، فكر الريبونش للحظات وأجاب.

"أَحِبّ الجميع كما لو أنهم أبناؤك"، قال المترجم، "بهذه الطريقة، ســـتبدأ بفهـــم أن ما تعتبره عنفاً وكرهاً يؤذي الأطفال ببساطة. فهذا النوع من السلوك لن يدوم".

بعـــد ذلك، أعطى الريبونش ماكس صورة له وبطاقة عمل كي يـــتمكن ماكس من مراسلته إذا كانت لديه أسئلة في المستقبل. وشكر مـــاكس بسبب المساعدة التي قدّمها إليه، وعاد إلى خيمته لحزم أمتعته والرحيل.

في طريق عودته إلى موقع التخييم الخاص به، لاحظ ماكس ازدياد حالة الوعي لديه. وبدأ يشعر بأن الأشجار والنباتات حيّة أكثر من أي وقـــت مضى. وانتابه بعد ذلك شعور بمشاركة الصخور، لا بل أيضاً الأرض التي يسير عليها.

بـــدا كل ذلك غريباً إنما ممتع. كما لو أن كل الحدود بين ماكس والأشياء الأخرى تزول.

هل يمكن أن يكون ذلك بفعل الصمَدي، تساءل.

وعندما وصل، وجد غرايس تفكك الخيمة.

"وضّـــبت كـــل شيء، وأنا مستعدة للذهاب"، قالت، "كل ما علـــيك القيام به هو إحضار السيارة. يتطلبنا الأمر خمساً وأربعين دقيقة للوصـــول إلى المطـــار. إذاً، لننطلق". وقاطعت توجيهاتها الجازمة حالة الوعي الحاد الذي يشعر به ماكس، وامتثل لطلبها.

ولم ينظر ماكس إلى بطاقة الريبونش التعريفية إلا عندما جلس في الطائـــرة المـــتوجهة من وايومينغ إلى كاليفورنيا. كانت هناك في أعلى البطاقة حروف مكتوبة بشكل أنيق.

دير توركواز زان نيبال

وكان تحتها اسم

الريبونش غيواتما شيبا

لم ينتبه ماكس كثيراً في الليلة الأولى من وجوده في المعتزَل عندما أعلنت أغاتا أن التولكو شيبا سيحل مكان التولكو هانكا.

ولكـــنه علـــم بوضوح مفاجئ أن الريبونش هو أحد الاثني عشر عندما نظر إلى الاسم "غيواتما شيبا".

فأسند ظهره إلى مقعده وغرق فيه. أخيراً، التفت إلى زوجته وقال: "يا الله، يا غرايس...". تمتم. "الريبونش هو أحد الاثني عشر".

"الاثنا عشر؟"، أجابت، "الاثنا عشر؟ ما الذي تتكلم عنه؟".

"الأسمـــاء الاثـــنا عشر التي رأيتها في أثناء اختباري حالة النورانية عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري". قال ماكس، وشعر بالإثارة تملأ كيانه.

"أه، تلك القصة القديمة"، أجابت مستنكرة، "ظننت أنك تخلّيت عـــنها في تلك السنوات الماضية. قلتَ إن الأمر لن يؤدي إلى أي مكان بعـــد لقائـــك بالأشخاص الأربعة الذين يحملون أولى الأسماء، وإن لا منطق أو رابط بين الأربعة الذين التقيت بهم".

"هـــذا صـــحيح، ولكن ما حدث يبدّل كل شيء، الريبونش هو أحـــد الاثني عشر!"، قال ذلك وقد حلت الحماسة مكان الإثارة، "ربما تخليتُ عن البحث باكراً جداً".

فـــشعرت غرايس بالاغتمام، سوّت غرايس الطوق الخاص الذي تضعه حول عُنُقها والوسادات التي تصطحبها معها في كل رحلة جوية.

"حـــسناً، هذا جيد، يا ماكس"، قالت، "لم أحظَ بكثير من النوم لـــيلة أمس، وأنا بحاجة إلى قيلولة. يمكنك أن تطلعني على الأمر عندما نصل إلى المنـــزل".

فحـــدّق إلـــيها مـــاكس، ومن ثم تخلى عن الأمر وحاول قراءة الصحيفة.

ولكنه لم يتمكن من التوقف عن التفكير في الريبونش والعودة غير المـــرغوب فـــيها للاثني عشر إلى حياته. وعاد إلى الحالة التي خبرها في وقت مبكّر من اليوم من دون أن يصرف أي شيء انتباهه.

لقـــد بدا الأمر كما لو أن حواسّه اكتسبت مزيداً من القدرة، ورأى الـــروابط بين كل ما يحيط به سواء أكان متحركاً أم غير متحرك. لقد بدا كل شيء حيّاً وذا وعي، حتى الحبر الموجود في الصحيفة التي يقرأها.

وتلاشت المشاعر السلبية التي سبق له أن اختبرها، وكل ما شعر به هو الحب والتعاطف. كانت هناك قصة في الصحيفة عن فتاة تعرضت للاغتصاب، و لم يُلهب هذا الأمر فقط مشاعره بل وكون الحبر واقعاً إلى الأبد في شرك قصة الاغتصاب تلك.

بالنسبة إليه، لقد بدا الأمر كما لو أن الحبر يختبر الرُّعب الموجود في الكلمات التي يشكل خطوطها، وأن وعي الحبر لن يتحرر أبداً من ذلك الرُّعب حتى زوال الصحيفة.

في هذه الحالة بالذات، أدرك ماكس الغاية من حياته. من المقدَّر له السعي وراء الاثني عشر. لم يكن يعرف السبب، و لم يكن يعرف كيفية تحقيق ذلك. لم يكن يملك أي فكرة عن كيفية ترابط الاثني عشر في الواقع.

ولكنه يدرك أنه يتعيّن عليه إيجادهم.

الفصل التاسع عشر

صن الصيني

2001-1996

استمرت ماكسيموم بروداكشنز في الازدهار لدرجة أن ماكس لم يعد بحاجة إلى أن يكون موجوداً على الدوام لاتخاذ كل القرارات. وهكذا، وجد نفسه مقيماً خارج شارلوتفيل، فيرجينيا، في عقار كما كانت تحلم غرايس.

لقد بُني ساميت فارمز عام 1908 من قِبل عائلة دوبون التي اشترت في الوقت نفسه وجددت مونبيلييه الذي وُلد فيه جيمس ماديسون. كان ساميت أكبر حجماً من مونبيلييه، وقد بُني وفقاً للأسلوب الجنوبي التقليدي مع أعمدة ضخمة يرتكز عليها مدخل المنزل الفخم المؤلف من ثلاثة طوابق والبالغة مساحته اثني عشر ألف قدم مربعة.

كان من المنازل الأكثر جمالاً في الولايات المتحدة عندما شُيّد، والأكثر تحصّناً بالتأكيد. تبلغ سماكة جدرانه ثلاث أقدام، وقد بنيت لتدوم طويلاً. وهناك مكتبة من طابقين بمساحة ثلاثة آلاف قدم حوّلها ماكس إلى مكتب له. ولغرايس جناحها الخاص أيضاً، إضافة إلى خمس غرف نوم للضيوف ومسكن للخدم في الطابق الثالث.

وفي الطابق السفلي غرفة للبلياردو، وقبو للشراب، وغرفة لغسل الملابـــس، ومطـــبخ قديم يعود تاريخه إلى زمن استخدام مصعد صغير ونظام بكَرة لنقل الطعام إلى الغرف في الطوابق العلوية.

وهناك قاعة للرقص على ارتفاع الطوابق الثلاثة تتسع لنحو مئتَي زوج مـــن دون حدوث أي ازدحام، وفيها شرفات مبنيّة فوق ساحة الرقص للموسيقيين.

لقـــد أعجـــب المنـــزل ماكس، ولكن غرايس أحبته. ولضمان مـــستقبلها هناك، سجّل الملكية باسمها، وقد كرّست نفسها للاستمتاع بالاعتناء بملكيتها هذه.

وقـــصدت المزادات العلنية في سوثبايز وكريستيز وحصلت على ثُـــريات تعـــود إلى زمن بناء المنـــزل، إضافةً إلى تحف أثرية، وسجاد، ومـــوائد للطعام، وتحف صغيرة الحجم، وتماثيل، اعتبرت أنها ستزيد من الجمال الطبيعي للمنـــزل.

وعلّـــق أصـــدقاء مـــاكس قائلين إن المنـــزل يبدو واسعاً جداً لشخـــصين فقـــط، ولكن ماكس أوضح أنه يحب استضافة أشخاص وتكـــريمهم، وأن المنـــــزل يمنح غرايس متنفَّساً لإبداعها الجمالي. لقد تمثلت خطتها بتحويل المزرعة المخصّصة لتدريب الجياد البالغة مساحتها مئتَـــي أكـــر إلى مصنع للشراب، وتحويل المبنى الأصلي للمركبات إلى مكاتـــب، وتحـــصين الجسر الذي يعبر الخليج الصغير على امتداد ميل ويـــؤدي إلى المنـــزل الرئيس، وتجديد بعض الأهراءات ومبانٍ خارجية أخـــرى، وإضافة حلبة داخلية حديثة لتدريب الجياد، واستحداث بحيرة بمـــساحة ثلاثـــة أكرات مكان حقل الذرة القائم بين الغابات الخلفية والمنـــزل الرئيس.

"سيكون فنغ شوي جيداً"، قالت لماكس.

لم يكـن لديـه مـا يقـوم به تقريباً باستثناء تسديد الفواتير. واسـتخدمت غرايس مدبّرات منازل، ومديري مزرعة، ومديري مبنى. وكـان المنـزل يعجّ بالناس على الدوام كما لو أنه سيرك، فينسحب ماكس إلى مكتبته ويركز على فرص العمل المتوافرة.

كـان ينسلّ من حين إلى آخر إلى كزويك المجاور للعب جولة أو جولـتين من الغولف. فكزويك هو نادٍ خاص وفريد يحتوي على فندق فخـم وعلى أغلى مطعم للذوّاقة في شارلوتفيل. لم يكن ماكس يحب طابـع الأناقة والتميّز والخدمة البطيئة في المطعم، ولكن المشرب وقسم الـشواء في نادي الغولف يوفّران الطعام نفسه من دون أي اهتمام زائد بتوافه الأمور.

لقـد اعتاد ماكس القيام بالأمور بسرعة، ولذلك كان كزويك مثالـياً بالنـسبة إليه. كان هناك عدد قليل من الأعضاء نسبياً، لذلك يكـون في اسـتطاعته القيام بجولة غولف على امتداد ساعتين أو أقل عندما يغادر العمل بعد الظهر ويصل متأخراً.

وبقـدر استمتاعه بالغولف، كان يجد نفسه يمقت اهتمام زوجته بالـشؤون الماديـة، وتساءل عما إذا كان واقع انتسابه إلى عضوية نادٍ حصري للغولف يغذّي رغباتها المادية أكثر مما يغذّي رغباته.

لم يدرك تقريباً الحال التي أصبح عليها.

ومـرة أخـرى، بدأ يتساءل عن الغاية من حياته. هل هذه هي الغايـة؟ هـل وُجد ليجمع ثروة ويوفر لغرايس أسلوب حياة مُسرِف فحسب؟

وتاق أكثر فأكثر إلى الحصول على إجابات، وكان يبحث دائماً عن تحديات جديدة.

* * *

جـــاء الـــتحدي علـــى صورة فرصة عمل بعد إحالته إلى مايك غالاواي.

فغالاواي هو الذي ابتكر جهاز *الكتاب سهل القراءة* عام 1999. أول كـــتاب قـــراءة إلكتـــروني يمكـــنه أن يتسع لعشرات الروايات، والصحف، والمجلات، ويسمح للقراء باصطحاب المواد التي يرغبون في الاطلاع عليها أينما ذهبوا. لقد أُطلقت دعاية مضلّلة أن هذا الجهاز قد يغيّـــر طبـــيعة نـــشر الكـــتب ويعـــود على أوائل المستثمرين ببلايين الدولارات.

نتيجةً لذلك، أصبح ماكس من أول المستثمرين وطوّر صداقة مع مايـــك الـــذي كان نابغة في التكنولوجيا ويتمتع بالعديد من الهوايات المثيرة، بما في ذلك الاشتراك في سباق السيارات فائقة السرعة.

وبدأ ماكس بالسفر إلى بالو ألتو، كاليفورنيا، للمشاركة في سباق الـــسيارات مـــع مايك. في إحدى هذه الرحلات، تقرّب منه مستثمر صـــيني شـــاب يدعى سيمباك أتى من فانكوفر، كندا، للقائهما بصفة خاصة. وانضم إليهما في أثناء توجههما إلى حلبة السباق، وشرح قائلاً إن شـــركته تطلق مشاريع جديدة في النشر وصناعة الأفلام في الصين، وتريد ضمان الحقوق لإنتاج جهاز *الكتاب سهل القراءة* هناك.

فالتفت مايك وسأل ماكس عن رأيه.

"الـــصين ســـوق كـــبيرة". قـــال ماكس بصراحة: "يُفترض بنا استكشافها".

* * *

وانطلقا إلى بكين.

كانت شركة سيمباك - كينوت - تستضيف مؤتمراً كبيراً حول مـــستقبل النـــشر، ودُعي الرجلان إلى إلقاء كلمة. مايك، لأنه النابغة

التكنولوجي وراء جهاز *الكتاب سهل القراءة*، وماكس، لمناقشة تطبيقات الجهاز في ميدان الأعمال. كانت الحكومة الصينية شريكة كينوت، وتقوم المحطة التلفازية، والإذاعة، والصحف الرئيسة بتغطية الحدث.

شرح مايك وماكس قائلين إن الجهاز يسمح بتخزين كل النصوص الصينية في أداة إلكترونية بسيطة، متجنّبين قطع ملايين الأشجار ومدّخرين بلايين الدولارات التي تُنفَق على إنتاج، وتخزين، وشحن كتب ورقية. لقد أحدث عرضهما جَلَبة، وأُقيمت مأدبة بعد ذلك أعلن فيها مؤسس كينوت أن الرجلين سيكونان مستشارَين للمبادرة الإلكترونية الجديدة.

في أثناء المأدبة، جلس ماكس إلى جانب المدير التكنولوجي الأول في كينوت الذي قُدِّم إلى ماكس باسم صن ببساطة. كان في أوائل العقد الخامس من عمره، طويل القامة، مثقفاً، متحفظاً، دقيقاً، يضع نظارة كبيرة، ويرتدي بذلة مع ربطة عُنق ذهبية اللون.

يتكلم صن الإنكليزية بطلاقة، ولكنه يفكر مليّاً قبل التكلم. وفي أثناء الوجبة، علم ماكس أنه يملك تاريخاً غير عادي.

كان في سنّ المراهقة في أثناء الثورة الثقافية لماو تسي تونغ، وقد أظهر موهبة استثنائية كممارس لرياضة الهوكي على الجليد، ومثّل الصين في الألعاب الأولمبية الشتوية عام 1980 وكان نجم الفريق.

تلقّى صن منحة دراسية كاملة لدراسة طب الأعصاب في كلّية الطب الرائدة في الصين. ومع بدء الصين بالانفتاح على الرأسمالية، تم اختياره ليكون الناطق الرسمي إضافةً إلى انتمائه إلى العديد من مؤسسات العناية الطبية. وبازدياد شهرته، أُرسل إلى كلّية وارتون بزنيس في الولايات المتحدة، وحصل على شهادة ماجستير في إدارة

الأعمـــال. لديه منازل في فانكوفر، وشيكاغو، وبكين. وبالرغم من أن العمـــل يشغل كثيراً من وقته، قام بممارسة التمارين الرياضية للمحافظة على لياقته البدنية، ودرس طب الأعصاب كهواية.

كـــان عمله مع كينوت هاماً، ولكن الوقت الذي يمضيه في عمله يمـــثّل 20 بالمـــئة فقط من الوقت المخصص لأعماله الأخرى نظراً إلى أدواره الهامـــة في شركات صينية عديدة رائدة، وسعى وراءه رأسماليون أميركـــيون رئيـــسون مهتمون باستكشاف فرص استثمارية في السوق المحلية الصينية المتنامية.

ولكـــن ماكس لم يكن مهتماً بأيّ من هذه الأمور بقدر اهتمامه بمعلومة محورية، الاسم الكامل لصن. إنه الدكتور شو صن باك، وعرف ماكس أنه أحد الاثني عشر عندما لُفظ اسمه.

إنه الاسم السادس لمزيد من التحديد.

بطريقة ما، إن لقاء جرى بالصُّدفة في بالو ألتو، كاليفورنيا، حمل مـــاكس إلى بكـــين على بُعد آلاف الأميال، وهي المصادَفة الأخيرة في سلسلة من المصادفات المستحيلة.

وحافظ ماكس على هدوئه بالرغم من ذلك الشعور المألوف لدى تعرّفه الفجائي إلى أحد الاثني عشر.

"يا صن، لنتناول الغداء غداً"، اقترح ماكس بحِرص، "أريد معرفة المـــزيد عـــن كينوت، وأعتقد أن هناك فرصاً أخرى يمكننا مناقشتها أيضاً".

* * *

في الـــيوم التالي، وفي أثناء تناول غداء لذيذ في أحد مطاعم صن المفـــضَّلة، خـــرج ماكس شيئاً فشيئاً من محور حديثهما الذي يتناول الأعمال، مراقباً ردود فعل صن بعناية. وعندما اتضح أن الرجل منفتح

علـــى الأفكار الجديدة والغامضة، وصف لصن اختباره لحالة النورانية وللّغز الناجم عن الأسماء الاثني عشر.

لقـــد أصـــغى صـــن بصبر. وكونه رجل عِلم، كان متشككاً - وفضولياً في آن - حيال قصة ماكس.

"انطلاقـــاً ممـــا قلتَه، لا يوجد أي دليل على حالتك تلك"، قال متحدثاً كما لو أنه يحلل نموذج عمل، "ربما كنتَ تهذي. عندما ينقطع الأوكسجين عن الدماغ، يمكن للعقل القيام بأمور غريبة".

فقدّر ماكس صراحته حق قدرها، ولكنه لم يرتدع كالعادة.

"ربما كان ذلك صحيحاً في بداية الأمر"، قال مجادلاً، "ولكن إذا افترضـــنا أن الأمـــر هو كذلك، كيف حدث أنني التقيتُ بستة من الأشـــخاص الاثـــني عـــشر حتى الآن؟ كيف تفسر طريقة تصرفهم أيضاً؟".

وفكّر صن في سؤاله مليّاً وبجدّية قبل أن يجيب.

"إنه لغز حقيقي. لقد قرأتُ أن الفيزياء الحديثة تفترض أن الزمان والمكان يتواجدان في نقطة محددة حيث تتواجد كل مادة وطاقة، وكل الأحـــداث. قد تكون هذه النظرية صحيحة إلى حدٍّ ما، فدخلتَ ذلك الحيِّز الزمني في أثناء اختبارك حالة خروجك من الجسد".

"عـــندها"، أضاف، "صادفتَ اسمي ربما، أو أن شيئاً ما من ذلك الحـــدث بقـــي معك وحملك على الظن أن اسمي هو اسم سبق لك أن رأيتَه". وهز رأسه. "على كل حال، يجب علينا البقاء على اتصال، ليس لمـــتابعة مـــصالحنا العملية فحسب، بل للتحقق مما إذا كان في إمكاننا معرفة المزيد عن هذه الأسماء الاثني عشر اللغزية".

وغادرا، وبقي مزيد من الأسئلة من دون إجابات.

* * *

في العـــامين التاليين، كوّن صن وماكس صداقة وطيدة، وفي أثناء مناقـــشاتهما الفلـــسفية العديدة، توغّل صن أكثر فأكثر في لغز الأسماء الاثـــني عـــشر من خلال دراسة معاني الأعداد. ولاحظ صن أن عدد حروف اسمه واسم ماريا هو "تسعة"، ولكن أيّاً من الأسماء الأخرى لا تنطـــبق علـــيه هذه الميزة، لذلك بدا أن ذلك التحليل يؤدي إلى طريق مسدود أيضاً.

وثـــبت أن الـــسوق الصينية لأجهزة *الكتاب سهل القراءة* مخيبة للآمـــال أيـــضاً. فقد كانت صعوبة اختراق هذه السوق أكبر مما كان مـــتوقّعاً، وأُقفلت كينوت بعد استثمار الرأسماليين عشرات الملايين من الدولارات، وكفّت عن كونها فكرة جيدة سابقة لزمنها.

وبالـــرغم من كون الأمر خيبة أمل مالية بالنسبة إلى ماكس، فقد شعر أن الصداقة التي تربطه بصن فاقت الإخفاق المالي أهمية.

ولكن وجهة النظر هذه تبدلت بعد فترة قصيرة.

الفصل العشرون

انهيار مالي

2004-2000

شعر ماكس أن وضعه المالي على المحك.

وبحلول العام 2000، كان قد ساهم في عدد من مواقع الإنترنت.

وفي العام 2001، بات في إمكانه الاطلاع على أعمال هذه الشركات، وتفاجأ بانخفاض قيمة أسهمه البالغة 30 مليون دولار إلى 30,000 دولار.

لم يكن المبلغ يغطي نفقات شهر واحد في ساميت فارمز، و لم تُسَرّ غرايس عندما أعلمها ماكس أنه لن يكون هناك أي مطعم، أو كرم عنب، أو منشأة لتدريب الجياد، وأنه سيكون عليهم بيع المنزل، والعودة إلى كاليفورنيا، والبدء من جديد.

"لن يحدث ذلك أبداً"، قالت بهدوء، ولكن بقسوة، "الزلزال الكبير قادم، ومن غير الآمن العيش في كاليفورنيا. لن أنتقل من هنا، ولن نبيع ساميت فارمز".

"لقد سجّلتَ المنزل باسمي"، أضافت، "ولن أبيعه".

فحاول ماكس التكلم معها بشكل منطقي.

"تعلمين أنني سجّلتُ المنزل باسمك لحمايتك في حال حدوث أي مكروه لي"، قال ذلك محاولاً إخماد الذُّعر الذي ينتابه، "يجب علينا بيعه وفي الحال. أنا بحاجة إلى مساعدتك". قال بجدّية.

"لا"، قالـــت ذلك، وأدارت له ظهرها، "لقد تأخرت على درس القيادة، جِد حلاً لذلك. إنها ليست مشكلتي".

وخرجت من الباب.

* * *

ذهب ماكس لمقابلة محاميه الذي أكد أنه ليس في استطاعة ماكس بـــيع المنـــــزل لأنه مسجَّل باسم غرايس. ومع ذلك، فقد اقترح على ماكس التوقف عن تسديد أقساط رَهن الملكية.

"ألن يؤثر ذلك في سمعتي ويعرّض المنـــزل للحجز؟".

"ربما، ولكن من المحتمَل أن يحمل غرايس على بيعه أو اتخاذ إجراء ما على الأقل".

وهكـــذا، عمل ماكس بنصيحة محاميه، وعاد إلى المنـــزل الريفي الذي يحتفظ به في دانا بوينت، شمال سان دييغو.

وتطلّـــب الأمر عدة أشهر لتدرك غرايس أن أقساط الرَّهن لا يتم تـــسديدها. وكـــان رد فعلها سريعاً ونهائياً. فطالبت بالطلاق وبنفقة شهرية تبلغ 75,000 دولار.

وتـــلا ذلك طلاق تشوبه فوضى عارمة كلّف ماكس في النهاية مـــئات الآلاف مـــن الدولارات على صورة رسوم قانونية. ووجدت غرايس طريقة لبيع ساميت فارمز والاحتفاظ بكامل المبلغ.

وبـــات ماكس نحيل الجسم، وركز على إيجاد طرائق جديدة لجني مزيد من المال من خلال ماكسيموم بروداكشنـــز، ولم يدرك ما الذي تقوم به غرايس إلا بعد فوات الأوان.

ولكن ماكسيموم واجهت مصاعب. فبعد هجمات 9/11، تراجع الطلـــب علـــى أفلام التدريب التقني، وتسببت الانقلابات المالية بألم حقيقي لماكس استقرّ في ظهره.

* * *

كان ماكس يعمل مع جيف شارنو، مؤسس شركة ريلاكسايشن. وهـــو ناشر صغير للمنشورات السمعية متخصص في الموسيقى الأجنبية والكتب السمعية الناطقة. وحضرا لقاءات اتحاد ناشري الكتب والأفلام في لـــوس أنجلوس، ولاحظ جيف أن ماكس يبدو غير مرتاح إلى حدٍّ كبير.

"لا أظـــن أنـــي أطلعتك على الأمر من قبل"، قال جيف في أثناء العـــشاء، "ولكـــن، قبل أن أنشئ شركة ريلاكسايشن، كنت مدلّكاً. يبدو لي كما لو أن ظهرك غير مستقيم، وإذا رغبتَ، يمكنني أن أوصي بزميل سابق في الصف في دانا بوينت يُفترض بك مقابلته برأيي. سيقوّم لك ظهرك بفترة قصيرة". قال جيف لماكس: "سأرسل إليك عبر البريد الإلكتروني معلومات عنه".

وهكذا، وعندما عاد ماكس إلى مكتبه، وجد رسالة إلكترونية في انـــتظاره. ولـــدى فتحها، تفاجأ بكون عنوان صديق جيف على بُعد مجمّعَين سكنيَّين فقط من مكتبه.

وأُجفل ماكس عندما قرأ اسم صديق جيف.

الطبيب آلن تايلر.

كـــان مـــاكس كثير الانشغال بالطلاق ويحاول تعويض الخسائر الـــناجمة عن انخفاض سعر أسهم استثماراته في مواقع الإنترنت، لدرجة أنه نسي أي أمر آخر. ولكن يبدو أن قدره لم ينسَه.

فالطبيب آلن تايلر هو أحد الاثني عشر.

طلب ماكس موعداً لمقابلة الطبيب تايلر قبل التطرّق إلى موضوع الأسماء الاثني عشر.

بعد أسبوع، دخل مكتباً مطلياً باللون الفيروزي، والتقى بالطبيب الذي يتخطى طول قامته ست أقدام. كان شعره مجعّداً كثّاً وبنّياً بلون

الـــرمال، كـــان يتمـــتّع بابتسامة ودّية، ومِزاج جيد، وطبع معتدل. والطبـــيب تايلر شديد الصبر ونادراً ما ينفعل. كان يُظهر جانباً فكرياً وتحليلياً، ويبدو متشككاً في معظم الناس والأفكار.

فبالـــرغم من مزاولته مهنة الطب في كاليفورنيا الجنوبية، لم يكن يـــثق بالعـــصر الجديـــد غير المفهوم وبصرعاته، وهو أمر فاجأ ماكس وسَرّه.

وشرح آلن طريقة عمله، وطلب من ماكس ملء بعض الأوراق، وفي غـــضون خمـــس دقائق، كان ماكس مستلقياً على طاولة المعالَجة ويقوم الطبيب بتدليك أوصاله.

"بقليل من المعالجة، يجب أن يُولّي ألم ظهرك"، قال له آلن مطَمئناً إيّاه.

وثبـــتت صحة الأمر مما أدهش ماكس. فآلن يعتمد تقنية فريدة؛ بعد استلقاء ماكس على طاولة المعالجة، تستغرق جلسة تقويم الظهر أقل من دقيقتين ويشعر بتحسن كبير.

* * *

بعـــد اثني عشر أسبوعاً من المعالجة، قرر ماكس مشاطرة الطبيب قصة الاثني عشر.

"أيهـــا الطبيب تايلر، هل تعتقد باختبار حالات نورانية؟"، سأل ماكس ذات يوم بعد جلسة المعالجة.

"ادعُـــني الطبيب آلن، الجميع يدعونني على هذا النحو"، أجاب الطبيب، "وإجابةً عن سؤالك، في الواقع لا. لقد أطلعني مرضى آخرون علـــى هذه الأنواع من الخبرات، ولكنني واثق من وجود شرح منطقي؛ إن حالة النورانية لا معنى لها. لماذا تسأل؟".

فقرر ماكس المتابعة.

"لأنـــني مررت بهذا الاختبار عندما كنت في الخامسة عشرة من عمـــري، وكان اسمك من بين اثني عشر اسماً رأيتها في حالة النورانية"، قال شارحاً.

فكّر الطبيب آلن في الأمر للحظات، وعندما تكلم لم تكن هناك أي دلالة على الاستعلاء في صوته.

"يـــبدو الأمـــر غير قابل للتصديق بالنسبة إليّ، ولكن، انطلاقاً مما أعرفه عنك، أنت شخص عمليّ جداً. لذلك، أخبرني بالمزيد".

دخـــل مـــاكس في وصف تفصيلي لما رآه وشعر به، وأصبح لغز الاثـــني عشر موضوع النقاش في كل زيارة تالية، علماً أن أيّاً منهما لم يتمكن من تذكّر صلة سابقة جمعته بالآخر، ولم تكن لآلن أي صلة بأي من الأسماء الأخرى. وبشعوره بالحماسة حيال قصة الاثني عشر، عرض علـــى ماكس مساعدته في العثور على الخمسة الآخرين إذا قرر متابعة بحثه بشكل جدّي.

"شـــكراً"، أجـــاب ماكس، "قد أستعين بك. لنرَ كيف تتطور الأمور".

وبذلك، انتهى استقصاؤهما عن الاثني عشر، أقلّه في ذلك الوقت، وتـــناول نقاشـــهما موضوعات الغولف والنساء، وركوب الأمواج، وتقويم ظهر ماكس وعموده الفقري.

* * *

بالرغم من زوال الألم الجسدي لماكس، لم تخمد حالة الاضطراب المـــالي. فالاســـتقرار الزوجي الذي كان يعيش في ظله كان يقوم على الـــدخل المـــرتفع الـــذي تمتع به قبل الطلاق. ولكن النفقة التي أعطى غـــرايس إياها هي أكبر من دخله، وأتت التسوية التي توصّل إليها على ممتلكات ماكس ومدّخراته أيضاً.

فكل ما تبقّى له شركة صناعة الأفلام، ماكسيموم بروداكشنز.

كان في استطاعته إيقاف النزف المالي في شركته، ولكن النفقة الكبيرة منعته من المحافظة على الحياة الخالية من الهموم التي كان يستمتع بها ذات يوم. والغريب في الأمر أن ماكس لم يكترث كثيراً لخسائره المالية.

وبهذه القدرة الفريدة على التكيّف، بدأ بالتركيز على أفلام الأعمال وأسلوب الحياة بدلاً من الأفلام التكنولوجية، وأخذ يستعين بشخصيات ملهِمة خارج ميدان صناعة الأفلام التكنولوجية.

من بين هؤلاء الشخصيات الطبيب إيفان فارن، وهو أول بحّاثة يلتقي به ماكس ويناقش معه تفاصيل فلسفة وايتهيد. كان مسروراً لأن إيفان يقدّر على غراره ما ورائيات وايتهيد المعقدة.

ومع الوقت، أصبحا أكثر من مجرد زميلَين؛ لقد باتا صديقين حقيقيَّين.

كان إيفان أكبر سنّاً من ماكس بنحو عشرين عاماً، لذلك اتسمت العلاقة بينهما بمشاعر الوالد حيال ابنه. لقد توفّي هربرت دوف بعد بدء ماكسيموم بروداكشنز بتحقيق نجاح باهر، وشعر ماكس بالارتياح لأن والده عاش ليرى نجاحه وليس انقلاباته المالية الأخيرة.

لقد افتقد إلى حدٍّ كبير إلى الاتصالات الهاتفية المتكررة التي كان يجريها مع والده الذي كان يبدو مسروراً ومنذهلاً على الدوام بالنجاحات العديدة التي تحققها أفلام التدريب. وتشاطر مع إيفان حماسته للفن، والموسيقى، والفلسفة، بدلاً من مسائل الأعمال، وأصبح إيفان أكثر فأكثر الشخص الذي يتصل به ماكس عندما يحدث أمر رائع في حياته.

وإيفان فارن هو مؤسس *نادي الأماني المستحيلة*، وهو مؤسسة استشارية خيرية مخصصة لجمع شمل البشرية في حضارة كوكبية واحدة متماسكة، وقد طلب من ماكس الانضمام إلى مجلس الأُمناء بصفته الممثل الأميركي في النادي. فوافق ماكس، وبدأ بحضور لقاءات محفِّزة في مختلف أنحاء أوروبا إلى جانب علماء ذائعي الصيت ورؤساء حكومات ورؤساء دول.

وبالرغم مما يسعون إلى تحقيقه، لم يحصلوا على التمويل الكافي لتنفيذ خططهم الجريئة، ولكن، كان للمجموعة وَقع كبير على الكوكب وإن بشكل غير متعمَّد.

الفصل الحادي والعشرون

اسطنبول، مدينة الأمل

2004

لـــدى محاولـــة *نادي الأماني المستحيلة* توسيع نشاطاته، سعى إلى إقامة تحالف مع رجل يدعى إيرول ريزو يقيم في اسطنبول.

كان إيرول الاسم الثامن من بين الأسماء الاثني عشر، كان قصير القامـــة وبديـــناً، وذا عينين ذكيّتين قاتمتي اللون، وحس فكاهة مشوَّه، ومـــزاج ســـعيد بـــصورة عامة. وهو رجل لا يستطيع البقاء مكتوف اليدين، إنه مدمن على عقد صفقات.

بالـــرغم من نجاحاته، كان إدمانه الاستثنائي على العمل وقدرته العجيـــبة على جني المال محطّ إعجاب الآخرين. كان يستمتع بالتعاطي مـــع عدة صفقات كبيرة في آن معاً، ويرفض تقبّل الهزيمة. وكلما كان التحدي أكبر ازداد سروره بالخروج منه منتصراً.

والدتـــه ووالـــده مـــن ديانتين مختلفتين. وُلد في اسطنبول، وهو الأصـــغر بين أشقائه الخمسة. لقد عمل والده كبائع فاكهة في السوق، وبدأ إيرول ببيع الليمون في سنّ السادسة.

برز على الفور كشخص شديد البراعة.

إنـــه يتمتع بالذكاء والدينامية، وقد اختير من بين أشقائه الخمسة لارتـــياد المدرســـة حـــيث تفوّق، وحصل على منحة دراسية لارتياد الجامعة، وقرر الحصول على مهنة في الحكومة.

إثـــر تخـــرّجه، اختار العمل كمساعد لعضو في البرلمان، وانتُخب مـــستخدِمه رئيـــساً للـــوزراء بعد عامين. كان إيرول آنذاك في الثالثة والعشرين من عمره فقط، واعتُبر شخصاً ذا نفوذ.

وبـــدأ رئيسه يُعدّه ليكون وزيراً مستقبلياً، بل ربما رئيساً للوزراء. واستمرّ التدريب ست سنوات، وتقدّم رئيس الوزراء إليه باقتراح.

"انسَ أمر غدوّك رئيساً للوزراء، أو تسلّم أي منصب مماثل"، قال بجدّية، "سيكون هدراً رهيباً لموهبتك. لديّ عمل أكثر أهمية لك؛ أريد منك إدارة شؤون استيراد وتصدير النفط للحكومة".

فوافق إيرول، وثبت بسرعة أن خيار رئيس الوزراء حكيم. لقد نجح في منصبه الجديد، وحقق ثروة طائلة للحكومة. ولكن بعد ثلاث ســـنوات، خـــسر حزبه السياسي في الانتخابات، وأُبعد إيرول عن منصبه.

وشـــاءت الـــصُّدف أن يجد إيرول على الفور من خلال معارفه ووعـــيه دعمـــاً مالـــياً مكّنه من إنشاء شركة استيراد وتصدير للنفط، وأصبح بعد ثلاث سنوات من أثرى أثرياء تركيا.

وحماســـة إيـــرول في كل ما يقوم به مُعدية، وهو شخص كريمٌ، ولديـــه رغـــبة صادقة في مساعدة الآخرين. لقد أصبح أحد المحسنين الرئيسين الداعمين لمسيرة إبراهيم.

وفي أثناء لقائهم في اسطنبول، استضاف إيرول بشكل جيد مدراء *نـــادي الأماني المستحيلة* واستمتعوا بمدة إقامتهم هناك. فملأ كل دقيقة شاغرة من وقتهم برحلات إلى المتاحف والعجائب الهندسية، وبرحلات علـــى متن المراكب في بحر مرمرة، والقرن الذهبـــي، والبحر الأسود، والبوســـفور. وعـــرّف الجميع إلى المطبخ التركي الرائع، وكانت هناك باستمرار حفلات ترفيهية وتناول مشروبات لرفع المعنويات.

فعندما رأى ماكس مدى انفتاح إيرول على كل شيء في الحياة، قـــرر ائـــتمانه على سرّه. لذلك، وقُبيل نهاية مساء اليوم الثاني، شاطر إيرول عملية اختباره لحالة النورانية ورؤيته للأسماء الاثني عشر.

ولشدة سروره، لم يتقبّل إيرول ما قاله ماكس فحسب، بل فعل ذلك بحماسته المعتادة.

"أنـــا واثق من أن الأمر هام"، قال لماكس، "ومع ذلك، أتوقع أننا لـــن نتمكن من حل هذا اللغز حتى يتم التعرف إلى الأسماء الاثني عشر والعثور على أصحابها".

"صـــحيح جـــداً"، قال ماكس ذلك موافقاً إيّاه الرأي، "وكل ما يمكنني القيام به هو انتظار ظهورهم. حتى ذلك الحين، إن الاسم الوحيد المتوافـــر لـــديّ هو الدب الراكض، وإذا لم أكتشف معناه فقد لا تعني الأسماء الأخرى شيئاً".

"إنهـــا أُحجـــية، وسأبذل قُصارى جهدي لمساعدتك على جمع أجزائها"، أضاف إيرول، "إذا احتجت إلى أي شيء، ليس عليك سوى طلب ذلك مني".

"لمـــاذا تعتـــبر هـــذا الأمر هاماً؟"، سأل ماكس، "لماذا تقبّلتَ ما أخبرتك به من دون تردد بالرغم من غرابته؟".

كان إيرول واضحاً في جوابه.

"لقـــد علمـــتُ منذ ولادتي أن مصيري يفترض بـــي التصرف بطرائق محددة. لم أشكك أبداً في الفرص التي أُتيحت لي، ولن أشكك الآن".

"ولكن يمكنني أن أؤكد لك أن مصيرَينا مرتبطان بحل هذا اللغز".

الفصل الثاني والعشرون

حادث اصطدام

أيار/مايو 2012

كراش!

كان صوت المعدن على المعدن جليّاً.

كـــان ماكس يتحدث عبر هاتفه الخلوي لإنهاء صفقة حول فيلم، ولم يكن منتبهاً إلى ما يجري. لقد توقف في الواقع عند إشارة مرور أمام تقاطع جادتَي لا بريا وسيتروس في لوس أنجلوس، منتظراً الانعطاف إلى اليسار، لذلك لم يكن المتسبّب بالحادث تقنياً.

كانـــت السيارة المتوقفة أمامه قد انطلقت للانعطاف إلى اليسار. وعـــندما أدركت السائقة أنها عالقة وسط الطريق بسبب تبدّل إشارة المـــرور، عادت بسيارتها إلى الوراء من دون أن تدرك أن ماكس انطلق بسيارته إلى الأمام وصولاً إلى التقاطع.

أنهـــى ماكس الصفقة عبر الهاتف، وخرج من سيارته البـــي أم دبليو لـــتفحّص الضرر. كانت هناك بعض الخدوش على المِصَدّ الأمامي، وكان المصباح الأمامي محطماً، ولكنه شعر بالارتياح لأن الأمر لم يكن أسوأ.

لم يظهر على السيارة رباعية الدفع التي اصطدمت به أي خدش. فخـــرجت السائقة لتقييم الأضرار، وتحققت من أن سيارتها لم تتضرّر. والتفتت إلى ماكس الذي لوّح لها.

"لا يبدو الضرر بالغاً، ومن غير الضروري تكبّد عناء رفع تقرير إلى شركة التأمين"، قال بودّ، "تبدو سيارتك سليمة، لذلك، برأيي، فلننسَ الأمر".

ومدركةً أنها تحررت من الحادث، قفزت المرأة إلى داخل سيارتها من دون تردد، وانطلقت. وتمكّن ماكس من إجراء مقابلته التالية، و لم يلاحظ وجود انبعاج كبير في الجهة الأمامية من سيارته إلا عندما عاد إلى دانا بوينت، وهو يحاول رفع غطاء المحرك.

لم يكن الحادث الأول الذي يتعرض له مصَدّ سيارته. كان قد تعرّف إلى شركة تدعى دنتس أر أس، وتقوم بإرسال شاحنة مزوّدة بالتجهيزات كافة لإصلاح سيارته على الفور. فأجرى ماكس الاتصال، وحُدّد موعد لإصلاح السيارة في اليوم التالي الذي صودف أنه يوم سبت.

وقُرابة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي، سحبت شاحنة التصليح التابعة لدنتس أر أس سيارة ماكس. وقيّم السائق المدعو خوان الضرر، وحدد مبلغ 800 دولار لجعل السيارة تبدو جديدة، وشرع بالعمل بعد موافقة ماكس. وفي الثانية من بعد الظهر، رنّ خوان الجرس، وسلّم ماكس سيارته التي تمّ إصلاحها تماماً.

فتبادلا أطراف الحديث في أثناء قيام ماكس بتفحص عمله اليدوي. وبما أن خوان مكسيكي ويتكلم الإسبانية، تمكنا من التحاور بشكل عادي. وشرح له ماكس أن السيولة النقدية غير متوافرة معه وأن المصرف مقفَل، لذلك عليه تسديد المبلغ من خلال شيك باسم الشركة. فقال خوان إنه يتعيّن عليه الحصول على إذن لقبول شيك، ولكنه لا يستطيع المراجعة بالأمر حتى يوم الاثنين.

"لا مشكلة في الأمر"، قال خوان، وسلّم ماكس بطاقته.

على تلك البطاقة، وتحت شعار دنتس أر أس، كان يوجد اسمه.

خوان غونـــزالو أكوستا

نظر ماكس إلى الرجل النحيل ذي الشعر قاتم اللون الواقف أمامه، وأدرك أن خوان يرتدي قميصاً أزرق داكناً. إنه اللون الذي رآه ماكس حول اسم خوان في أثناء اختباره حالة النورانية. وبعد ثماني سنوات من آخر لقاء له بأحد الأشخاص الاثني عشر - مدة بدت لامتناهية - عثر ماكس أخيراً على صاحب الاسم التاسع.

فـــدعا خـــوان علـــى الفور إلى دخول المنـــزل، وتناول شراب الـــشعير. وسأله عن مكان ولادته، وما إذا كان متزوجاً، وعن سبب وجوده في الولايات المتحدة، وعشرات الأسئلة الأخرى.

كان خوان مسروراً بتناول شراب الشعير، وبعد لحظات قليلة من الاضـــطراب الذي أحدثته كل تلك الأسئلة، بدا مرتاحاً ولكن فضولياً بسبب الاهتمام المفاجئ الذي أبداه ماكس به.

فخوان من بلدة صغيرة تدعى إيزابا جنوب المكسيك، على ساحل الخليج، وعلى بُعد ثمانين كيلومتراً من الحدود مع غواتيمالا. إنه الأصغر بـــين سبعة أشقاء وشقيقات، ويملك والده مزرعة صغيرة ويعمل كقيّم نهـــاري (كـــاهن روحي مُبجَّل وفقاً لتقليد المايا القديم)، متزوج ولديه ابنان.

لقـــد مضى عامان فقط على وجوده في الولايات المتحدة، ولكنه تمكـــن من الحصول على بطاقة خضراء، وكان فخوراً بسبب تمكنه من جَني ما يكفي من المال بعد امتهان مهنة إصلاح الانبعاجات، والاهتمام بعائلـــته المتنامية، وإرسال المال كل شهر لدعم والده وأشقائه. كانت والدته قد توفّيت قبل أشهر قليلة من قدومه إلى الولايات المتحدة، وهو يدرك الصعوبة التي يواجهها والده وأشقاؤه للعمل وجَني المال.

"والدي فقير، ولكنه رجل هام في إيزابا"، شرح خوان، "هو ليس قـيّماً نهاريـاً فحسب، بل هو وصيّ أيضاً على الحديقة في إيزابا التي تُجـرى فيها الاحتفالات القديمة. ويُعتقد أن حديقة الاحتفالات هذه هي الأقدم في المكسيك، وهي في حالة تستدعي الإصلاح ولا تزال فيها العديد من التماثيل التي تحمل نقوشاً، ويقوم علماء آثار من مختلف أنحاء العالم بدراستها".

"العديـدون يعـتقدون أن حديقة الاحتفالات القديمة هذه، هي المكان الذي وُضعت فيه أول روزنامة للمايا".

كان ماكس قد سمع بروزنامة المايا، ولكنه لم يتمعّن فيها بالتفصيل.

"هـل روزنامة المايا هي التي تُظهِر أن العالم ينتهي عام 2012؟"، سأل.

"إنـه التحريف الشائع"، أقرّ خوان، "نعتقد أن العالم سيتبدل في نهاية الروزنامة، ولكن العالم بحدّ ذاته لن ينتهي".

"سـيكون 21 كانون الأول/ديسمبر 2012 نهاية دورة دامت 26 ألف عام. لم يتوقع الأقدمون أنها ستكون نهاية العالم بالضرورة. تتمثل معتقداتنا القديمة أن البشر يتمتعون بإرادة حرة، وأن هناك فرصة للتغيير قد تؤدي إلى عالم أفضل".

"هذه هي التعاليم التي عرفتها من والدي".

فـأُثير فضول ماكس. أخيراً، يعكس أحد الاثني عشر معرفة قد تكون مرتبطة بفكرة عامة تؤدي ربما إلى شرح الغاية من وجودهم.

الغاية من وجوده.

لقـد بـدأت الأمـور تتـضح. لقد وُلد ماكس في 12 كانون الأول/ديسمبر، أي في 12/12، ووُلد والده في 11 تشرين الثاني/نوفمبر، أي في 11/11.

هـــل الغاية من حياته مرتبطة بطريقة ما بما يُتوقّع حدوثه في العام 2012؟

وبالاســـتناد جـــزئياً إلى ما عرفه من الدكتور شو صن باك، بدأ بـــتفحص تاريخ ولادة والده، مُبقياً في ذهنه بعض التواريخ التي ذكرها خـــوان والمـــتعلقة بـــروزنامة المايا. لقد قال خوان إنه سمع عما يدعى "التلاقـــي المتناغم" حدث في 16 و17 آب/أغسطس من العام 1987، مـــستهلاً الأعوام الخمس والعشرين الأخيرة من روزنامة المايا. وللمرة الأولى بدأ ماكس يُدرك ما يجري.

ومدركاً أن خلفية خوان ستحمله على تصديق ما يعتبره الآخرون شديد الغرابة، كشف ماكس عن اختباره حالة النورانية وأن خوان أحد الأسماء الاثني عشر.

فرفع خوان زجاجة شراب الشعير وأومأ برأسه.

"لا يفاجـــئني هـــذا الأمر"، قال، "أخبرني والدي أن لعائلتي دوراً هاماً تلعبه لتحقيق التوقعات القديمة. كان يقول إنّ *العالم واسع وغريب ومليء بالألغاز. لا تشك البتة، وحتى في ظروفنا المتواضعة، في أن لديك دوراً هاماً تلعبه في هذا اللغز المدعوّ حياة*".

مـــرةً أخرى، تردد صدى عالم جاين دوف في رأس ماكس. لقد أُثير فضوله بهذه الصلة الأخيرة ورغب في لقاء والد خوان.

"أعلمـــني عـــندما تعود إلى إيزابا"، قال بجدّية، "أريد لقاء والدك ومعرفة المزيد عن نهايات الأزمنة التي تمّ توقعها".

"بالتأكـــيد، يا صديقي"، أجاب خوان، "أنا سعيد لأنك صدمتَ سيارتك. كان اللقاء الأكثر مدعاةً للتفاؤل".

الفصل الثالث والعشرون

عند الغروب

أيار/مايو 2012

وقف ماكس عند الموقع الثامن عشر لكرة الغولف في لاكوستا. كانت الشمس تغرُب عندما ضرب الكرة باتجاه الجانب الأيسر من الممر، ولاحظ في اللحظة الأخيرة وجود لاعب غولف في المنطقة الوعرة اليسرى على بُعد مئتَين وثلاثين ياردًا.

لم تكن ضربة ماكس تحمل كرة الغولف إلى أبعد من مئتَي يارد في العادة، لذلك لم يكن لاعب الغولف مهدَّدًا. ولكنها كانت إحدى أفضل الضربات التي سدّدها ماكس في حياته، لقد قطعت مئتَين وعشرين ياردًا، وارتطمت بالأرض، وتدحرجت مسافة عشرين ياردًا، متخطيةً لاعب الغولف في المنطقة الوعرة.

"واو"، هتف شريكه في لعبة الغولف، كيم، "لقد مرّت بقربه".

"من الأفضل لنا الاعتذار"، قال ماكس.

وبينما كان ماكس يدنو بعربة الغولف وتعابير الاعتذار على وجهه، التفت إليه رجل أميركي من أصول أفريقية، طويل القامة، ويرتدي بنطالاً زمرّدي اللون، وابتسم.

"حتى إنها لم تقترب مني"، قال، "لا تقلق. شعاري هو *برودة الأعصاب*، وهو اسمي أيضاً. أدعى تشيل كامبيستر".

"حسناً، يا تشيل، شكراً للُطفك الشديد"، قال ماكس بامتنان، "كان يُفترض بي، في الواقع، الانتباه قبل ضرب الكرة. وإذا لم تكن كثير الانشغال، فاسمح لي بتقديم شراب لك في مقرّ النادي بعد التسديد باتجاه هذه الحفرة".

"اتفقنا. أكمل الشوط".

* * *

في وقت لاحق، وبعد تعريف ماكس نفسه في المشرب، علم أن تشيل كامبيستر أصبح ذائع الصيت لأنه فاز مع زوجته بجائزة *المسابقة المذهلة*، وهو برنامج واقعي تلفازي شعبي. وبحصوله على جائزة بقيمة مليون دولار، قرر التقاعد باكراً والعودة إلى الكلّية لدراسة صناعة الأفلام. وأخبر تشيل ماكس أنه كان ممثلاً في شبابه ولعب دور كاسيوس كلاي في *أنا الأعظم*، وهو الفيلم الوثائقي الذي يتناول حياة محمد علي.

فأُربك ماكس ليس بسبب ما قاله تشيل، بل لأن ماكس أدرك أن تشيل كامبيستر هو الاسم العاشر من الأسماء الاثني عشر.

أيّاً يكن الأمر الذي يحدث، قال في نفسه، *فهو يحدث بشكل متسارع.*

لقد التقى ماكس في غضون يومين بالاسمين التاسع والعاشر، في حين أن الأمر تطلّبه *سنوات* للقاء الآخرين. لم يكن واثقاً بكيفية التصرف، ولكنه لم يجد الوقت ملائماً للكشف عن قصة الاثني عشر بسبب وجود لاعبي غولف آخرين بالقرب منهما.

لذلك، حافظ على رباطة جأشه.

وعلِم أيضاً أن تشيل ساهم في إعداد مسوّدة فيلم يتناول ما خبره مع زوجته لدى الفوز *بالمسابقة المذهلة*. وعندما كشف ماكس عن

امتلاكه شركة لصناعة الأفلام، وقال إنه على استعداد لمراجعة المشروع، شعر تشيل بالإثارة.

ولكن، كان لماكس حافز مُضمَر. فما إن قرأ المسوّدة حتى شعر بقدرته على إكمال الحديث مع تشيل سرّاً والكشف عن مزيد من الأسرار المحيطة بالاثني عشر.

* * *

أحب ماكس المسوّدة، وشعر أنه سيتمكن من بيعها نظراً إلى اكتساب راشيل وتشيل شعبية كبيرة من خلال البرنامج التلفازي. فهما أول أميركيين من أصول أفريقية يفوزان بالمسابقة، وكانا الأكبر سنّاً عندما شاركا فيها.

وإحدى الميزات التي ظهرت في المسوّدة اعتقادهما القوي بالفادي، فهما لم ينتقدا أبداً الأسلوب المعتمَد من قِبل الفرق الأخرى في أثناء المنافسة المُجهِدة، وأرادا التشديد في فيلمهما على أن الاعتقاد الراسخ هو سلاحهما السري.

وبعد البرنامج، قاما بجولات وأصبحا متحدّثين شعبيَّين عن موضوع الاعتقاد الراسخ بالفادي.

كان ماكس يعلم أن كل ما يقومان به سيكون أساساً متيناً لفيلم، أو كتاب، أو منشورات عديدة أخرى قد يرغبان في إصدارها. لذلك أجرى لقاء مع تشيل وراشيل في مكتبه، وتأثر بنظرتهما الإيجابية والمتفائلة للحياة. كانا ينضحان حباً ولطفاً، وقد أخبراه المزيد عن قصتهما، وعلِم ماكس أنهما كانا على وشك الإفلاس عندما فازا *بالمسابقة المذهلة*. لقد تم اختلاس أموال شركة برمجيات أنشأها تشيل منذ سنوات، ولو لم يفوزا بالمسابقة التلفازية لفقدا منزلهما وممتلكاتهما.

شـــعر مـــاكس أنه لم يصادف زوجاً أكثر لُطفاً من هذا الزوج، فـــدعاهما إلى العشاء، وتناولوا الطعام في مطعم شارت هاوس، ونظروا إلى البحـــر عـــند المغيب. وكشف لهما ماكس عن قصة الأسماء الاثني عشر، وقال لتشيل إنه الاسم العاشر على لائحته.

"لا فكـــرة لديّ بعد عما تعنيه الأسماء، ولكن أمراً ما على وشك الاتضاح"، قال، "أعرف أن الأمر قد يبدو شديد الغرابة بالنسبة إليك، ولكن صدّقني، أنا لست مجنوناً. لا بد من وجود سبب لكل ذلك. ليتني أتمكن من معرفته".

فابتسم تشيل.

"كَوني مسيحياً، أنا على ثقة تامة أن الفادي هو الذي جمعنا. أرى عمله في ذلك. إذاً، لماذا قذفتَ كرة الغولف مسافةً طويلة لم يسبق لك أن سجّلتها في حياتك؛ عليّ مباشَرةً؟". وضحكا.

"ولكنني وُلدت يهودياً"، قال ماكس، "لست واثقاً من أنني أعتقد بالفـــادي". وتحدث عن كل الأشخاص السطحيين الذين التقى بهم في أثناء العمل على فيلم *البحث عن الفادي التاريخي*، وأومأ تشيل وراشيل برأسَيهما.

"الفادي هو مخلّص كل الشعوب". قالت راشيل.

"تمامـــاً"، قـــال تشيل موافقاً. وأعاد توجيه الحديث ليتخذ منحى تحليلياً: "ولكن، دعونا نركز على ما خبرتَه، وكيف يمكن لهذه الأسماء أن تكون مرتبطة. ربما كان للفادي علاقة بذلك أو لا، ولكن لا وجود لأي مصادفات، إنه جزء من مخطط".

"إذاً، لـــو كانـــت هناك لائحة باثني عشر اسماً، كما تقول، ولا سبب لديّ لأشكّك في أقوالك، أريد أن أعرف سبب وجود اسمي على هذه اللائحة".

وواصـــل تشيل إخبار ماكس أنه إضافةً إلى فوزهما، صدر حكم قـــضائي لصالحه وراشيل يدين شريكهما السابق الذي اختلس الأموال من شركة البرمجيات.

"نتـــيجةً لذلك"، قال، "أملك الوقت والوسائل لمساعدتك على حل هذا اللغز. أخبرني فحسب كيف يمكنني أن أخدمك".

لقد شعر ماكس بالارتياح بسبب انفتاح تشيل على تفسير قد لا يكون على علاقة بالفادي. وكان ممتنّاً أيضاً بسبب عرض المساعدة.

"عليّ الذهاب إلى نيويورك لحضور معرض أفلام وثائقية وتدريبية في الأســـبوع القادم"، قال، "ولكن عندما أعود، فلنركّز معاً على حل لغـــز الاثـــني عـــشر. ربما تمكنّا من تنظيم رحلة مع خوان إلى إيزابا، المكسيك".

"لا أعرف السبب، ولكنني أعتقد أن إيزابا قد تكون أحد مفاتيح هذا اللغز".

الفصل الرابع والعشرون

ميلودي الفييتنامية

أيار/مايو 2012

كانت الرحلة الجوية إلى نيويورك سريعة وغير مُجهِدة، وفكر ماكس في الساعات الخمس المشحونة بالأعمال. لم يكن يعتقد أن العمل الذي سيُنجزه سيكون عادياً.

لقد التقى بعشرة أشخاص مُدرجة أسماؤهم على لائحة الاثني عشر. وبدا له أن كل اسم يمثّل منطقة جغرافية مختلفة، وديناً مختلفاً.

كان تشيل وراشيل قد أشارا إلى وجود اثني عشر مبعوثاً، واقترحا أنه السبب ربما وراء الإيحاء لماكس باثني عشر اسماً. إنهم ربما المبعوثون الاثنا عشر *الجدد* الذين ينتظرون عودة الفادي.

وشعر ماكس أن هذا التخمين ضرب من الخيال، ولكنه يعلم أن عليه متابعة هذا اللغز بكل طاقته وقدرته على التركيز.

* * *

كان ماكس يلازم نادي يال على الدوام عندما يزور نيويورك بسبب قربه الملائم من غراند سنترال ستايشن وأسعاره المنخفضة نسبياً مقارنةً بغراند هيات والفنادق الأخرى الموجودة وسط المدينة. كانت شركة ماكس تحتفل بسنويّتها الثلاثين، فاستأجر مكتبة يال في الطابق الرابع حيث قدّم الشراب الخفيف وأنواع التحلية الفرنسية احتفالاً بالإنجاز.

قليلة هي شركات الأفلام المستقلة التي استمرت مدةً مماثلة من السنوات، ومن الجيد الاحتفال بالمناسبة. كان مدير الحقوق الخارجية في ماكسيموم بروداكشنز توّاقاً بصفة خاصة إلى دعوة عملاء أجانب على جانب كبير من الأهمية بالنسبة إلى الشبكة الدولية.

وطلب عميلهم الفييتنامي إحضار ضيف معه، فافترض ماكس أن الضيف سيكون صديقة أو زوجة. لذلك، وافق على الطلب.

لقد لاقى الاحتفال نجاحاً كبيراً مع وجود أكثر من مئتَي ضيف. وقُبيل نهاية الحدث، قام رجل آسيوي قصير القامة برفقة فتاة آسيوية ممشوقة القدّ وطويلة القامة بالتعريف عن نفسه:

"أُدعى دو فان من فييتنام، وهذه ابنة شقيقتي، ميلودي جونز، تقيم ميلودي هنا في نيويورك وتدرس لتكون راقصة باليه. أنا ممتنّ جداً لدعوتنا إلى هذا الحدث الرائع".

ولكن ماكس وجد أنه من المستحيل التركيز على ما كان يقوله الرجل لأن شعوراً مألوفاً تملّك أحاسيسه.

فميلودي هو الاسم الحادي عشر على لائحة الاثني عشر.

لقد التقى بحاملي ثلاثة من الأسماء الأربعة النهائية في أقل من أسبوع. ولم يشأ إظهار حماسته بسبب استمرار الاحتفالات في الحدث، لذلك أجاب بهدوء.

"لا، أنا من هو ممتنّ لانضمامكما إلينا". قال ذلك مصافحاً دو فان، "أنا سعيد جداً بعملك الرائع في ما يتعلق بحقوقنا في فييتنام".

والتفت إلى ميلودي، وأضاف:

"أنت جميلة جداً. شكراً لمرافقتك خالَك ولحضورك". وأراد قول المزيد ولكنه امتنع عن ذلك.

كانت ميلودي ترتدي فستاناً برتقالياً وتتنقل برشاقة الراقصة. كانت واثقة بنفسها ومعتادة على المناسبات الاجتماعية.

لم يكن واثقاً من كيفية إخبار ميلودي أنها أحد الاثني عشر. ولكنه كان يعلم أنه يتعيّن عليه إيجاد طريقة لذلك.

"هل ترغبان في الانضمام إليّ إلى مائدة العشاء مساء غد؟"، سأل.

"شكراً لك، ولكن الأمر غير ضروري"، أجاب دو فان.

"من دواعي سروري أن أستضيفكما"، قال ماكس مُصرّاً، "تقوم بعمل رائع لصالح شركتي، لن أقبل رفضك دعوتي".

فوافق دو فان، ولكن ميلودي شرحت قائلةً إنها تخطط للقاء صديقها ولن تتمكن من الحضور.

"هُراء"، قال ماكس بسرعة، "يسعدني انضمامه إلينا أيضاً".

فوافقت، واتفقوا على اللقاء.

* * *

في اليوم التالي، وجد ماكس نفسه قلقاً وغير واثق من حضور ميلودي كما وعدت. فبعد سنوات من اللقاء المتقطع بحاملي الأسماء الاثني عشر، يخطو هذا اللغز خطوات كبيرة وسريعة نحو الأمام.

فميلودي هي جزء محوري للعثور على إجابة بَحَث عنها طويلاً، منذ سنوات، عندما أُشير إليه بالأسماء، لم يكن في استطاعته السماح لأي شيء من ذلك النوع بالحدوث.

عندما وصل إلى المطعم، شعر بالإثارة لدى رؤية ميلودي مع خالها وصديقها، ماثيو جوردان. فماثيو حائز على جائزة في ركوب الأمواج كما يبدو، وكان قد تعاطى الكثير من المخدرات المسببة للهذيان.

وفي أثناء العشاء، تبادل ماكس أطراف الحديث مع دو فان ووجد أنه مهذّب وذكي. كان يبذل جهداً للتركيز على الموضوعات المطروحة.

بعد ذلك، التفت ماكس إلى ميلودي وسألها عن حياتها. فأخبرته أن جدتها ووالدتها - التي كانت في السابعة عشرة من عمرها آنذاك - كانتا لاجئتين فرّتا من فييتنام عام 1971 قُرابة نهاية الحرب الفييتنامية. لقد عوملتا بوحشية من قِبل القراصنة، واغتُصبتا.

وبعد عناء كبير، وصلتا إلى نيويورك وتمكنتا من إعادة بناء حياتهما، علماً أن الأمر تطلب والدة ميلودي عدة سنوات للتعاطي مع الصدمة النفسية التي تعرضت لها. لقد مارست عدة وظائف وعثرت أخيراً على مهنتها المتمثلة بتصميم المسارح.

والتقت بمصمّم رقصات يدعى أنتون جونز، وبعد عام من المواعدة، تزوجا، وميلودي هي الابنة الصغرى والوحيدة التي سعت إلى مواصلة حياة مرتبطة بالرقص والمسرح.

"تشعر جدتي أن عدم قتلهما في البحر هو بمثابة عجيبة"، قالت ميلودي، "لقد أخبرتني عدة مرات بوجود قصة عن قدَر عائلتنا، وتقول إنه السبب الكامن وراء الإبقاء على حياتهما.

"وكلما أُسيءُ التصرف، تقول لي إنني وُلدت لمصير محدد، ويجب عليّ أن أُحسن التصرف وإلا ذهبت عجيبة نجاتهما عبَثاً". وابتسمت لدى تذكّر ذلك.

بقي دو فان صامتاً واستمع إلى قصتها. كان يومئ برأسه ببساطة، موافقاً، لكنْ، شاعراً بالأسى.

فاستأذن لإجراء اتصال هاتفي، وقرر ماكس الذي أُخذ بقصة ميلودي والتوقع المقدر للعائلة الكشف عن قصة الاثني عشر.

وبعد سرد تفاصيل اختباره حالة النورانية، عدّد الأسماء الاثني عشر منتهياً بالدب الراكض. لقد توقع ارتياب ميلودي، ولكنه شعر بالارتياح عندما أصغت إليه بانتباه وفضول شديدين.

كـــان ماثـــيو جالساً إلى جانبها طوال الوقت، ينظر إلى ميلودي وماكس ومُصغياً بانتباه.

"دوّن الأسمـــاء الاثـــني عشر، رجاءً"، طلبت من ماكس، "دعني أتحقق مما إذا كان في استطاعتي العثور على رابط بينها".

وبالـــرغم مـــن تفاجـــئه بطلبها، دوّن ماكس الأسماء على فوطة المائدة، وقامت ميلودي بتأمّلها لمدة طويلة من الزمن. أخيراً، وبعد عدة دقائق، نظرت إليه قائلةً:

"أخشى أنني لا أعرف أيّاً من هذه الأسماء. لا أستطيع العثور على أي رابط. لذا، لا يمكنني مساعدتك على حلّ أي شيء".

بعد ذلك، طلب ماثيو إلقاء نظرة على اللائحة.

"هذا الاسم الأخير، الدب الراكض"، قال بعد لحظات، "ألم تلتقِ به بعد؟".

"لا"، أقـــرّ ماكس، "إنه الاسم الأخير على اللائحة. لماذا تسأل؟ هل تعرف شخصاً يحمل هذا الاسم؟".

"لا"، أجاب ماثيو مُحبِطاً ماكس، "ولكن والدي، توبـــي، من الـــسكان الأميركيين الأصليين جزئياً. لا بد من أنه اسم أميركي من الـــسكان الأصـــليين. إذا كان هناك من يعرف شخصاً يدعى الدب الـــراكض فهو والدي. إنه يقيم في سان كليمنت وفي مكان غير بعيد عـــن مكـــان إقامتك. أعِرني هاتفك الخلوي للحظات وسأتحقق من الأمر".

فـــسلّم ماكس الهاتف إلى ماثيو، وفي غضون دقائق كان توبـــي على الخط.

لقـــد أكد أنه يعرف مرشداً سياحياً في سيدونا، أريزونا، يُدعى الدب الراكض.

لم يــستطع مــاكس تصديق ما سمع. فتحدّث إلى توبــي واتفقا على الالتقاء في سيدونا في الأسبوع التالي حيث سيحاولان العثور على الدب الراكض.

كانــت يــد مــاكس ترتجف من شدة التأثر عندما أنهى المكالمة الهاتفــية. لقد أدرك أنه قد يلتقي أخيراً بالاسم الأخير من بين الأسماء الاثني عشر في غضون أيام.

ولكن، ماذا بعد ذلك؟

الفصل الخامس والعشرون

الصخور الحمراء

حزيران/يونيو 2012

كان توبي جوردان عَلَماً من أعلام ركوب الأمواج.

لقد فاز في مباريات عدة في صِغره، ولكنه عُرف بصوره الفوتوغرافية الملتقَطة لمشاهد ركوب الأمواج. وأدى به هذا الأمر إلى تنفيذ مشاهد مماثلة لصالح أفلام سينمائية، وأصبح في ما بعد فنّاناً في توليف مشاهد تُستخدم فيها ألواح ركوب أمواج حقيقية، وطلاء، وموادّ أخرى.

بالإضافة إلى ذلك، أسس توبي شركة لتصميم ألواح ركوب الأمواج وبيع مستلزماتها. وبسبب طبعه الفنّي، كان صديقاً للعديد من الفنانين الرئيسين المميَّزين بأعمالهم.

ابنا توبي بطلان أيضاً في ركوب الأمواج، ويُعرف ابنه الأكبر، ماثيو، بقفزاته البهلوانية وبأعمال جريئة مماثلة لم يتصوّر راكبو أمواج آخرون أنه في الإمكان تأديتها.

كان توبي قد عانى في صِغره من مشاكل في الإدمان على الشراب، وهو يلقي الملامة باستمرار على إرثه الأميركي المرتبط بالسكان الأصليين الذين لم يكونوا يملكون أي مقاومة إزاء الشراب. لذلك، قرر في السنوات الأولى من بلوغه سنّ الرشد عدم تناول

الـــشراب مجـــدداً. لقـــد ساهم هذا الأمر، إضافةً إلى ممارسة ركوب الأمـــواج، في تـــوفير أســـلوب حـــياة سليم له، وأضاف إلى إنجازاته نـــــزهات طويلة سَيراً على القدمين، وقد أمّن له ذلك عالماً جديداً من الصور الفوتوغرافية.

فإحـــدى مـــناطقه المفـــضلة للنـــزهات الطويلة والتقاط الصور الفوتوغـــرافية هـــي سيدونا، أريزونا، وهي مدينة صغيرة في الصحراء الجنوبية الغربية العالية الشهيرة بتشكيلاتها الصخرية الحمراء. كان يقوم بـــرحلة إليها مرة واحدة في السنة على الأقل، لذلك لم يتطلب ماكس كثيراً من الوقت لتملّقه وحمله على مرافقته في رحلة سريعة.

لقد قاما بالرحلة في يوم واحد، وشاطره ماكس قصة الاثني عشر في أثناء ذهابهما وعودتهما. وقام توبـــي بدوره بتزويد ماكس بكل ما يعـــرفه عن الدب الراكض، وهو أفضل مرشد سياحي في سيدونا كما قـــال. فالدب الراكض يعرف الكهوف السرية والمواقع الهندية المُبجَّلة كلّها.

"أُطلق عليه اسم جول شيتس عند ولادته"، شرح توبـــي، "لقد عرفته منذ أكثر من عشرين عاماً عندما بدأت بالتقاط صور فوتوغرافية لمفـــاتن ســـيدونا. وعندما أخبرته عن إرثي، أطلعني على اسمه الهندي. فالعديد من الناس لا يعرفونه باسم الدب الراكض، لذلك تفاجأت حقاً عندما اتصل بـــي ماثيو. لست واثقاً من تمكنك من العثور عليه بطريقة أخرى، ولا حتى من خلال موقع البحث غوغل".

"بالطـــبع، عـــندما بـــدأ كل ذلك، لم يكن موقع البحث غوغل موجوداً"، أشار ماكس، "في الواقع، لم يكن الإنترنت موجوداً بعد".

"كانت رحلة مميَّزة"، أضاف، "علماً أن حاملي الأسماء هم الذين يعثرون عليّ على الدوام. ويعتقد بعض الاثني عشر أننا مرتبطون جميعاً

بعمـــق، وأمـــيل إلى موافقـــتهم الرأي. آمل فقط في أن يزوّدنا الدب الراكض ببعض الإلماعات، سيكون من الرهيب أن نكتشف أن كل ما حدث لا يعدو كونه صدفة كبيرة من دون أن يكون وراءه أي هدف أو معنى".

فأومأ توبـــي برأسه موافقاً.

"إذا كان هناك من يملك جواباً للغزك فهو الدب الراكض"، قال بثقة، "إنه ضالع إلى حدٍّ ما، إضافةً إلى كونه مرشداً سياحياً، وهو عليم بمعتقدات وتقاليد الهوبـــي القديمة".

وتوقف قليلاً، وأضاف:

"يـــستخدم الدب الراكض مواد للهلوسة في طقوسه، وهو خبير بشعائر التعرّق".

* * *

وصل توبـــي وماكس في وقت متأخر، وتحققا من وجود غرف شـــاغرة في موتيل بست وسترن. فبالرغم من حماسته الشديدة، غرق مـــاكس بـــسرعة في نوم عميق، وعندما استيقظ، تفاجأ بنومه نوماً هانئاً.

وانـــضم إليهما الدب الراكض إلى مائدة الإفطار في مطعم مجاور. كـــان في العقـــد الثامن من عمره، طويل القامة، وكان شعره طويلاً مـــضفوراً وفـــيه خصلات رمادية اللون، ويرتدي سترة حمراء ويضع مجوهرات فيروزية اللون جميلة.

كان يتمتع بحضور رائع.

واكتـــشف مـــاكس أنه يتحدر مباشَرةً من أسرة لاكوتا المقتدرة وضـــالعي هوبـــــي الهنود. وكونه مرشداً سياحياً للمواقع المبجّلة في سيدونا، فإنه يكنّ حباً حقيقياً للأرض ولإرث الشعوب الأصلية.

من دون تردد، أطلع ماكس الدب الراكض على تفاصيل الأسماء الاثني عشر كافة. فأصغى الدب الراكض بحِرص، وكان يبتسم ببساطة. وعندما فرغ ماكس من روايته، تكلم بصوت عميق:

"كنا نتوقع قدومك".

"كيف يُحتمل أن يحدث ذلك؟"، سأل ماكس غير مصدِّق، "لقد مضى سبعة وأربعون عاماً على رؤيتي اسمك للمرة الأولى، ولم أكن أعرف طوال الوقت أين يتعيّن عليّ الذهاب ولماذا. كيف عرفتَ ذلك؟".

"لم تكن أنت من ننتظر بصفة خاصة"، شرح الدب الراكض، "ولكن السكان الأصليين الأميركيين عرفوا بوجود الأسماء الاثني عشر منذ قرون. التحوّل الكبير على وشك الحدوث. لقد تناقلت الأجيال أن هذه الأزمنة ستشهد ظهور الناس الحقيقيين مجدداً – أولئك الذين يتمتّعون بشخصية قوية ومتكاملة – وسيقودنا مرشدونا الروحيون القدماء إلى عالم من السلام والتناغم". وبالرغم من ثِقل كلماته، كان الدب الراكض يتكلم بهدوء.

وأجاب ماكس بهدوء أكبر:

"ولكن ماذا عليّ أن أفعل بهذه الأسطورة؟"، سأل ذلك وقد بدا الإرباك في صوته، "لا صلة لي البتة بالسكان الأميركيين الأصليين. جدّاي لجهة والدي هنغاريان، وجدّاي لجهة والدتي روسيان".

"لا أعرف ما دورك بالتحديد، ولكنك ساهمتَ في جمع شمل الاثني عشر. ويمثّل كل اسم إحدى القبائل الحديثة ملونة البشرة الممثلة على هذه الأرض لنهاية الأزمنة".

ولدى رؤية القلق على وجه ماكس، أضاف:

"أدركت شعوبنا القديمة أنه سيكون من الضروري لنا نحن الأميركيين الأصليين أن نعود شعوباً من مختلف الألوان في الأزمنة

الأخيرة. ولن يكون هناك عالم يعادي فيه الحمرُ البيضَ، والسودُ الصفرَ. سيكون هناك عالم واحد في الأزمنة الجديدة، ولن يظهر على الأرض سوى أولئك المتمتعين بالأخلاق وبالروح الحقيقية لشفاء الجروح التي تسبب بها جشع وعنف العديدين منذ زمن بعيد. كان يعلم أشقائي أن خيبات أملنا لن تدوم. لذلك، ابتكرنا رقصات الأشباح وشعائر أخرى، كنا نعرف على الدوام أن الشعب الحقيقي لن يزول، بل سيعود ليمثل قبائل البشر الاثنتي عشرة بألوانها الاثني عشر".

وفي أثناء استماعه إلى كلماته، وجد ماكس نفسه يصدّق ما يقوله الدب الراكض... بالرغم من وجود العديد من الأسئلة التي لا تزال من دون إجابات.

"استناداً إلى خبراتي، أعتقد أنه لا بد من أن تكون على حق"، قال محدّقاً خارج النافذة إلى المنظر الطبيعي الصحراوي الشاحب، "أظن أن أسطورتكم القديمة صحيحة بطريقة ما في الواقع".

والتفت للنظر إلى مستضيفه مجدداً.

"حتى ولو كان الأمر كذلك، ماذا يعني كل ذلك؟".

"الإجابة ليست لديّ بل لدى صاحب كل الإجابات"، أجاب الدب الراكض، "يجب علينا القيام ببعض شعائر التعرّق عند شروق شمس صباح غد".

ونهض عن الطاولة، وأشار إلى الجبال إلى يساره.

"هل ترى تلك الصخور الحمراء وراء الطريق هناك؟".

فأومأ ماكس برأسه.

"هناك درب بطول ثلاثة أميال بين الصدوع الأكثر عمقاً داخل الصخور الحمراء. قلّة هم الأشخاص الذين يعرفون هذا الدرب، وهناك كهف قديم إلى جانبه حيث سأقوم بشعائر التعرّق. لقد رافقني توبي

مـــن قَـــبل إلى هذا الموقع المبجَّل. سيرشدك إليه في الصباح وأكون قد أعـــددت كـــل شيء. سأذهب هذا المساء وأقدّم القرابين إلى أسلافي، وأُعدّ النار والصخور".

* * *

لم تكـــن الـــشمس قد أشرقت بعد عندما بلغ توبـــي وماكس الـــدرب والكهف. وعندما دخلا البَراح، وجدا الدب الراكض هناك مرتدياً زِيّ الاحتفال الذي يشمل ريشة عقاب مبجَّلة، ويتلو تهويدات هوبـــي قديمة، وهو في حالة تأملية لم يقاطعها وصولهما.

كانت النار قد جعلت الكهف حارّاً إلى حدٍّ كبير، وبدأ توبـــي ومـــاكس بالتعـــرّق خـــارج الكهف. فجلسا بسكون وراقبا الدب الراكض. وبعد عشر دقائق من التهويدات، توقف والتفت إليهما قائلاً:

"كانـــت ليلة جيدة. الأسياد مبتهجون. إنهم توّاقون إلى توجيهنا. تعالا، يجب عليكما تدخين بعض هذا التبغ، ثمّ ندخل بعد ذلك الكهف ونـــبدأ بأدعيتنا". فسلّمهما غليونين، وخامر ماكس شعور بوجود نوع مـــن أنواع المواد الباعثة على الهذيان ممزوجة بالتبغ، ولكنه لم يستوضح الأمر.

وشـــرع الـــدب الراكض بسلسلة من التهويدات باللغتين الهوبية والإنكليـــزية. واستدار نحو الزوايا الأربع للغرفة، طالباً البرَكة. وطلب من توبـــي وماكس تكرار الجمل الإنكليزية، فامتثلا له.

كانـــت الحـــرارة مرتفعة جداً، وشعر ماكس بالرغبة في الخروج بـــسبب تعرّقه لأنه لم يتعرّق من قَبل على هذا النحو. ولكن رغبته في كـــشف الـــنقاب عن مصيره تغلّبت على كل شيء، وبقي بلا حرك، مـــسمَّراً في مكانه، مُصغياً إلى كل كلمة يقولها الدب الراكض ومراقباً كل حركة يقوم بها.

أخيراً، انتهت التهويدات والأدعية، وساد الصمت. لم يحدث أي شـــيء ذي صلة، وتساءل ماكس عما إذا كانت شعائر الدب الراكض فعالة.

وارتـــسمت علـــى وجـــه الضالع نظرة ذهول كما لو أن روحاً اســـتحوذت عليه. فلم يتحرك، حتى إنه لم يكن يتنفس كما يبدو. ولم يتجرأ ماكس على التحرك.

فأومـــأ توبـــي له برأسه لطمأنته أن لا حاجة إلى القلق، لأنه قام بهذه الشعائر مع الدب الراكض.

وبعـــد مـــا بدا أنها عشرون دقيقة أو أكثر من السكون والجمود الـــتام، بدأ الدب الراكض بالتكلم بصوت عالٍ وهادئ. كانت كلماته باللغة الهوبية القديمة ولم يستطع ماكس فهمها.

ووقف بعد ذلك وخرج من الكهف، وتبعه توبـــي وماكس.

في الخارج، كانت الشمس ساطعة وتعكس الصخور الضوء على صـــورة نـــسيج بـــرّاق باللـــونين الأحمر والأصفر، واللونين البرتقالي والأخضر، كما كانت هناك زجاجات من الماء كان قد وضعها الدب الراكض، فشربوا كلهم، مقدّرين هواء الصباح البارد حق قدره.

وشرب الدب الراكض كل الماء الموجود في الزجاجة، واقترب من ماكس ونظر إلى عينيه مباشَرةً في أثناء التحدث إليه.

"يـــبدأ بحثك اليوم. أطلعني صاحب كل الإجابات على ما يتعيّن علـــيك القـــيام به، وعلى ما تطوّعتَ للقيام به منذ عدة قرون عندما وافقتَ على أخذ دورك على الأرض".

فـــشعر مـــاكس بإثارة كبيرة بالرغم من أنه لم يكن يفهم شيئاً. ولكـــنه كان واثقاً على الأقل من أنه سيعرف الغاية من اختباره حالة النورانية ويفهم صلته بالاثني عشر.

"وما هذا البحث؟"، سأل محاولاً التزام الهدوء، "ما الذي وافقتُ على القيام به؟".

"أنت الشخص الذي يقضي واجبه بجمع الاثني عشر"، كشف له الدب الراكض، "يجب جمع شملهم خارج إيزابا، المكسيك، في 11 آب/أغسطس عند شروق الشمس في عام التوقع هذا.

"إذاً، أمامك شهران فقط لجمع الاثني عشر"، قال محذّراً، "لقد كشف لي صاحب كل الإجابات أن مهمة الاثني عشر لن تتم في ذلك اليوم المبجَّل إلا بحضورهم كلهم".

وبدأ ماكس يشعر بارتياب شديد.

"ولكنني لم أتحدث إلى بعض الاثني عشر منذ أكثر من عشرين عاماً"، قال، "ماذا لو لم يأتوا جميعهم؟".

فهزّ الدب الراكض رأسه.

"ما طلبه مني صاحب كل الإجابات هو كل ما أعرف. لا أعرف كيف يتعيّن عليك تحقيق هذا الهدف. فكوني أحد الاثني عشر، سأكون في جبل إيزابا، وسأبذل قُصارى جهدي لمساعدتك على جمع شملنا، ولكن صاحب كل الإجابات قال لي إنها مهمتك، ومهمتك وحدك".

فازدرد ماكس، وانتابته الشكوك.

ماذا لو كان كل ذلك وهماً؟ لقد أخبر الدب الراكض عن خوان وصلة خوان بإيزابا من خلال والده. ماذا لو بنى الدب الراكض قصته على الأمر الذي يرغب ماكس في سماعه؟

بالرغم من كل شيء، لم تكن هناك تفاصيل ملموسة تشرح سبب كون الاثنا عشر هم الاثني عشر أنفسهم، أو سبب كون إيزابا في المكان الذي يتعيّن عليهم الذهاب إليه. كان بحاجة إلى مزيد من المعلومات.

"كـــيف يمكنك التأكد من أنه يجب علينا التجمع في إيزابا، وفي ذلك الوقت بالتحديد، وفي ذلك اليوم دون سواه؟".

"هذا ما كشفه لي صاحب كل الإجابات".

"وهـــل تعـــرف مـــا الذي سنحققه؟"، سأل ماكس حاثّاً الدب الراكض على الكشف عن مزيد من المعلومات.

فهز الدب الراكض رأسه بصبر قائلاً:

"لم يكـــشف لي صـــاحب كل الإجابات المزيد". ولكن ماكس وجد أن الأمر لا يُطاق لدرجة عدم تمكنه من تصديقه.

"ولكـــن كـــونك ضالعاً، ألا تملك أفكاراً عن سبب اختيار هذا المكان والزمان"، سأل ماكس بمثابرة، "وما الذي قد يحدث؟".

"لـــديّ أفكاري الخاصة كفرد، ولكنها ليست هامة"، قال الدب الراكض بهدوء كما لو أنه يخاطب طفلاً، "ما كشف عنه صاحب كل الإجابـــات فقط هو الجدير بالمناقشة". وهكذا، استدار لسلوك الدرب عبر الصخور الحمراء، وصولاً إلى الطريق.

وتبع ماكس توبـــي، وواصل التذمّر بصوت يائس، ثم قال:

"ولكـــن يجـــب أن تكـــون لديك إلماعة ما. رجاءً، أخبرني *أمراً* منطقـــياً، أمراً ممكناً على الأقل يساعد على تفسير طلب صاحب كل الإجابات".

فقال الدب الراكض في أثناء سيرهم:

"11 آب/أغسطس هو يوم مبجَّل وفقاً لروزنامة المايا. أنا على ثقة من أن والد خوان، القيّم النهاري، سيكون في إمكانه تزويدك بمزيد من التفاصـــيل، ولكن استناداً إلى ما أعرف، يمكنني أن أقول لك فقط إنه ســـيكون اجتماعاً مبجَّلاً، وإذا أخفقتَ في جمع الاثني عشر في الوقت المحدد، سيكون هناك مزيد من المعاناة".

ولـــزم الدب الراكض الصمت، وواصل السير، وساعدته ساقاه الطويلتان على السير بسرعة، تاركاً ماكس وتوبـــي يفكران مليّاً في ما سمعاه.

وتُـــرك مـــاكس يتساءل عن كيفية وسبب اختياره، علماً أنه لم يعتقد بما كشفه صاحب كل الإجابات.

الفصل السادس والعشرون

حتى الأموات ينتظرون

حزيران/يونيو 2012

إن أحد أول الاتصالات التي أجراها ماكس بعد عودته إلى كاليفورنيا كان مع إيرول في اسطنبول، واستخدم جهاز الكمبيوتر كي يتمكنا من عقد اجتماع بُعدي ويشاهدا بعضهما بعضاً.

"الأمر يحدث، يا إيرول". قال.

حتى ولو قال ذلك، فقد وجد أنه يصعب عليه تصديق ما يقول. "لقد وجدت بقية الاثني عشر. إن الدب الراكض، وهو الاسم الذي أحتفظ به طوال تلك السنوات. هو ضالع من أسرة لاكوتا، وأنت مُحِق وفقاً لما بلغني منه. هو يدّعي أن قدري يقضي بجمع شمل الاثني عشر واصطحابهم إلى إيزابا، موطن روزنامة المايا القديمة".

"إنه أمر مذهل يا صديقي"، قال إيرول، "لقد علمتُ منذ سنوات أن قدرَينا مترابطان، وهذا الأمر يثبت ذلك. متى سنسافر إلى إيزابا؟".

"يجب أن تكونوا كلكم هناك في 11 آب/أغسطس"، قال ماكس، "هل ستتمكن من الحضور في ذلك التاريخ؟".

"لن تتمكن من إيقافي"، أجاب إيرول، "وإذا كان هناك من لا يملك المال للسفر، سأغطي نفقاته. لا يُفترض بالمال أن يُعيق هذا

الاجتماع. لقد اعتقدت على الدوام أن لقصتك غاية أعمق، وأن قدري مرتبط بشيء ما أكبر من حبـــي لاسطنبول ولوطني تركيا".

فسُرّ ماكس وأخبر إيرول أنه قد يكون بحاجة إلى السفر أيضاً إلى بلدان مختلفة للقاء بعض الاثني عشر.

"لا مشكلة في ذلك"، أصرّ إيرول، "أعلمني فقط بالمساعدة المالية التي قد تكون بحاجة إليها للقيام برحلاتك".

"من الجيد أن أعلم أنني أتلقى دعمك عند الحاجة"، أجاب ماكس بارتياح كبير.

وجرت الاتصالات الثلاثة التالية بسهولة. كان الطبيب آلن تايلر وتـــشيل كامبيستر مسرورين بالالتزام بالموعد، ووجد خوان في الأمر فرصة مناسبة لرؤية والده، لذلك لم تُطرح أي مشكلة.

كانت ميلودي جونـــز أول من يحتاج إلى مساعدة مالية، ولكن مـــا إن توافـــر لها المبلغ المطلوب حتى وافقت على الانضمام إلى الاثني عشر في إيزابا في 11 آب/أغسطس.

واتصل بيوكو عبر الإنترنت، وأعربت عن سرورها بذلك. فآب هـــو شـــهر إجازتها، ولم تكن قد حجزت بعد في أي مكان لتمضية عطلتها السنوية.

وكـــان على شو صن باك تغيير تاريخ رحلة عمل، وتبقى لماكس الاتصال بيوسكي وماريا والريبونش وبـــي. أن. ماهارز.

لم يكـــن مـــاكس قـــد تحدث إلى الريبونش طوال عشر سنوات تقـــريباً، وإلى الآخـــرين طوال أكثر من عشرين سنة. ومع ذلك، فقد تمكـــن مـــن اقتفاء أثر البوذي، الذي كان يقيم في تورنتو، كندا، في السنوات الثماني عشرة الأخيرة. لقد بات يتكلم الإنكليزية قليلاً ولكن بطريقة ملائمة، وتزوج بابنة أحد طلابه، ورُزقا بابنَين.

وعندما شرح ماكس الوضع، أعرب الريبونش عن سروره بحضور اللقاء بالغ الأهمية.

كان الاتصال بماريا صعباً على نحو مفاجئ. فبالرغم من مرور السنوات، لم يتمكن أبداً من نسيان الأسف الذي شعر به عندما خرجت من المتنزه العام. ولم ينسَ كذلك مدى الحب الذي كنّه أحدهما للآخر.

فأجبر نفسه على الاتصال، واكتشف أنها لا تزال تقيم في تروجيلو، البيرو. وبدت مسرورة بما أخبرها به، وأمضيا الجزء الأول من الاتصال بإخبار أحدهما الآخر بما آلت إليه حال كل منهما. كانت ماريا والدة لأربعة أبناء، وجدة لسبعة أحفاد. لم تأسف أبداً على الاقتران بزوجها المهندس، كما قالت، الذي توفّي قبل عام.

وأعرب ماكس عن أسفه وكانت تعتريه مشاعر متمازجة، ولكنها أعربت له عن سعادتها بعيش حياة هادئة في تروجيلو. وقبلت عرضه، إنها رحلتها الرئيسة الأولى بعد عام الحداد التقليدي. كانت مواردها المالية متواضعة، فشعرت بالامتنان بسبب عرض ماكس تغطية نفقات سفرها إلى إيزابا.

فقالت إنها ستشرع على الفور بوضع خطط.

وأنهيا المكالمة الهاتفية، وأدرك ماكس أنه مُنهَك. كان لا يزال يشعر ببعض ما شعر به عندما التقى بماريا، وبحاجة إلى استراحة قصيرة قبل استئناف اتصالاته.

* * *

واجه ماكس صعوبة في اقتفاء آثار يوسكي بسبب تقاعده من العمل في ميدان الأفلام.

ومع ذلك، فقد استعان بالمعلومات المتوافرة لديه حول خدمة يوسكي العسكرية للعثور عليه. كان يقيم في القدس القديمة ويعمل

كاســـتراتيجي أمني لصالح الوجهاء رفيعي المقام الذين يزورون المدينة. وعندما تمكن ماكس أخيراً من التحدث إليه عبر الهاتف، بدا الأمر كما لو أن السنوات تلاشت.

"يــسعدني كثيراً سماع صوتك، يا بنيّ"، صاح يوسكي، "كيف حالك؟".

"أنـــا سعيد جداً لعثوري عليك"، أجاب ماكس، "أنا بحاجة إلى مساعدتك".

"اطلب ما تشاء"، قال يوسكي بحماسة، وتساءل ماكس عما إذا كان سيُجنّ جنونه إذا طُلب منه البقاء في مكان واحد. "لا أشعر بكثير من الإثارة في هذه الأيام... إذاً، ماذا هناك؟ فريق تصوير في طريقه إلى القـــدس؟ الحـــصول علـــى أُذونات؟ أَعلمني بما تريد فحسب"، قال يوسكي، "وما تحتاج إليه تتم تلبيته".

"لـــست بحاجـــة إلى شيء من ذلك القبيل"، شرح ماكس، "أنا بحاجـــة إلـــيك للقـــدوم ولقائي مع أحد عشر شخصاً آخر في إيزابا، المكـــسيك، في 11 آب/أغسطس. سنغطّي كل نفقاتك. سأشرح لك التفاصيل عندما أراك، ولكن انضمامك إلينا هو أمر أساسي".

وســـادت فترة طويلة من الصمت، وتخيّل ماكس وجه الرجل في أثناء التفكير مليّاً في الطلب الغريب وغير المتوقع بعد سنوات عدة.

وسمع بعد ذلك زفيراً مطوَّلاً، وتكلم يوسكي مجدداً:

"مـــن أكون لأرفض رحلة مجانية إلى أميركا في هذه المرحلة من الحـــياة"، قال مبتهجاً، "يمكنك الاعتماد عليّ. أرسل إليّ تذكرة السفر والتفاصيل، وسأكون في خدمتك".

وهكذا، تبقّى لماكس الاتصال ببـــي. أن. ماهارز.

* * *

طلب ماكس رقم هاتف المتحف الوطني في دلهي.

"هل يمكنك أن تصليني ببـــي. أن. ماهارز، رجاءً؟"، سأل عاملة الهاتف في المتحف.

"لم يعـــد بـــــي. أن. ماهارز يعمل في المتحف"، قالت، "ولكن دعـــني أصـــلك بالقيّم الحالي على القرن الخامس عشر الذي قد يكون باستطاعته أن يُعلمك بمكان وجوده".

فأُجفل ماكس بتقاعد بـــي. أن. المبكّر نسبياً.

وبعد خمس دقائق، سمع صوتاً ذكورياً عبر الهاتف:

"آسف لإعلامك أن بـــي. أن. توفّي قبل ثمانية عشر عاماً. كان صـــديقاً مخلصاً، كنت مساعداً له طوال عشرين عاماً. لا أزال أفتقده. هل أنت صديق للعائلة من الولايات المتحدة؟".

في بادئ الأمر، لزم ماكس الصمت، ولكنه طلب إمهاله لحظات قليلة لاستيعاب ما يجري.

كيف يمكن لذلك أن يحدث؟ تساءل بصمت. *وماذا يحدث عندما لا يكون هناك اثنا عشر شخصاً؟*

وعـــندما تمكـــن مـــن التحدث مجدداً، شرح له قائلاً إنه التقى ببـــي. أن. عام 1972 عندما صوّر فيلماً في المتحف.

"لقد ساعدنا على الحصول على إذن للقيام بذلك"، قال ماكس، "وتمكنت من تمضية يوم رائع مع بـــي. أن. وعائلته".

عائلته، قال ماكس في نفسه، وظهرت ومضة أمل.

"هـــل تعرف كيف يمكنني الاتصال بهم؟"، سأل، "من المهم جداً أن أتحدث إلى شقيقه أو إلى أحد أنسبائه".

فلزم القيّم الصمت للحظات، ومن ثم قال:

"لا أعلـــم إذا كان أحد من أشقائه أو أفراد عائلته لا يزالون على

قيد الحياة، ولكن، لبـــي. أن. ابنتان وعدة أحفاد أعتقد أهم لا يزالون يقـــيمون في قـــريتهم. يمكنني أن أعطيك أرقام هواتفهم إذا رغبت في ذلك".

فـــدوّن مـــاكس رقم ابنة بـــي. أن. وطلبه على الفور. لم يكن يتذكـــر اســـم ابـــنة بــــــي. أن، ولكنه تذكّر صوت شيلبا اللطيف والضاحك ما إن تكلّمت.

"أه، ما زلنا نتحدث عنك"، قالت ببهجة، "كنت في السادسة من عمـــري فقـــط عندما تناولت العشاء معنا في تلك الليلة، وكنتَ أول شخص أبيض بالكامل أراه يوماً. اعتاد والدي التحدث عنك في غالب الأحيان وبشغف، في الواقع، أعطاني شيئاً ما وهو على فراش الموت قال إنك قد تسأل عنه يوماً ما".

فتفاجأ ماكس.

"ماذا ترك لي؟"، سأل بفضول.

"إنـــه كتاب، ولكنه قال إنه يتعيّن عليك القدوم والحصول عليه شخـــصياً"، قالـــت شارحة، "طلب مني أن أُبلغك عندما تتصل عن أسفه بسبب عدم تمكنه من انتظارك حياً. قال لي أموراً كثيرة أخرى أيـــضاً، وهـــناك بعـــض التعقيدات غير المتوقعة تحول دون إعطائك الكـــتاب. ولكـــنني سأشرح لك كل شيء، كما طلب، إذا اخترتَ القدوم".

لغز بعد لغز، قال في نفسه. ولكن عليه مواصلة الأمر ما دام الأمل موجوداً.

"بالطـــبع، سآتي في أسرع وقت ممكن"، قال، "سيكون من الرائع تمـــضية بعض الوقت معك ومع أفراد عائلتك. هل لا يزال عملك الذي يدرّس في الجامعة على قيد الحياة؟".

"العـم غوبـتا علـى قيد الحياة وبحالة جيدة"، أجابت، "إنه في التـسعين مـن عمره تقريباً، ولكنه لا يزال حادّ الذهن كالعادة. كان برفقتي عندما توفّي والدي، وقد تكون لديه بعض المعلومات ليشاطرك إيّاها".

قال: "سأسافر إلى الهند جوّاً في غضون أسبوع وأقصد منـزلكم للقـائكم. عندها، يمكننا مناقشة التفاصيل المرتبطة بالرسالة التي تركها والدك لي". وودّعها، وأنهى المكالمة الهاتفية.

وبيـنما كان يضع سمّاعة الهاتف، تساءل ماكس عن كيفية جمع شمـل الاثني عشر في حين أن أحد عشر شخصاً فقط كانوا لا يزالون على قيد الحياة.

سي. دي. ماهارز

حزيران/يونيو 2012

وصل ماكس إلى دلهي بعد أربعة أيام فقط.

كان المطار قد بلغ ضعف حجمه بعد زيارته الأخيرة قبل أربعين عاماً، وبالرغم من استمرار ازدحام الطريق بالدراجات الهوائية، والعربات التي يجرّها الناس، والحمير، والأبقار، والمشاة الذين يحملون حُزَماً كبيرة على رؤوسهم، كانت هناك أيضاً سيارات، وشاحنات، وحافلات على امتداد الطريق العام الحديث المؤلف من أربعة مسارب والممتد من المطار إلى دلهي.

أمضى ليلته الأولى في فندق تاج محل الحديث والفخم على غرار كل الفنادق التي ينزل فيها عادةً. وتدبّر أمر الحصول على سيارة أقلّته إلى قرية بي. أن. على بُعد عشرين ميلاً عن المدينة، وحيث سيمضي بقية المدة مع ابنة بي. أن. والعائلة الموسَّعة.

لم يتذكر ماكس الطريق لأنه كان قد سلكها مرة واحدة فقط في الليل قبل عدة سنوات، ومع ذلك، فقد أذهله كيف تبدو عليه حال العودة في الزمن مع كل ميل يقطعه. وعندما وصل إلى البلدة، تمكن من التعرّف إلى الشوارع التي لا تزال مليئة بالباعة والمتاجر الصغيرة حيث يُباع كل شيء بدءاً بالماء، وصولاً إلى

الفاكهة والسكاكر، والقطع المعدنية القديمة والحديثة، والألعاب الإلكترونية.

وهناك فتيانٌ صغار يلعبون لعبة رَكل الصفيحة المعدنية، وفتيات يحملن جرار مياه كبيرة على رؤوسهنّ ملأنَها من بئر البلدة، كما يتذكر.

لا تزال أمور كثيرة على حالها.

وعندما دخل ماكس مجمّع مباني أسرة ماهارز، لاحظ أن الجدران طُليت بطبقات جديدة من الطلاء، وتم استبدال بعض الكراسي والمقاعد في غرفة الطعام الخارجية بأخرى.

ومع ذلك، فقد بقي الأثاث على حاله داخل المنزل. المطبخ لم يتبدل، والعديد من الكتب الموجودة على الرفوف - في ما كان يُعرف بمكتب بي. أن. - بقيت مكانها تماماً.

وبينما كان واقفاً ينظر إلى عناوين الكتب، دخلت شيلبا ابنة بي. أن. الغرفة ورحّبت به بحرارة.

"لقد نظّمنا غداء لك"، أعلنت، "سيصل كل الأنسباء بعد قليل. يسعدنا حضورك في هذا اليوم لأنه يوم مناسبة ذات معنى روحي كبير. عمّي على ثقة تامة أن التوقيت ليس مصادَفة".

وبعد قليل، وصلت كل العشيرة، وانتقلوا إلى غرفة الطعام.

أثناء الغداء، لفت ابن شيلبا سي. دي. انتباه ماكس. كان في السابعة عشرة من عمره، وقد وُلد مصاباً بعاهة عقلية مماثلة لمتلازمة داون ولا تتحسن قدرته العقلية أبداً مذ كان في الثالثة من العمر. ففي استطاعته تمييز الوُجهات وإصدار أصوات من دون أن يكون قادراً على تشكيل تعابير أو جُمل كاملة.

وعندما يُصدر أصواتاً، تكون مرتفعة في العادة، لا يتحكم كثيراً بحجم الصوت كما يبدو، ولا يمكنه تحديد الأثر الذي قد تتركه في

نفـــوس الآخـــرين محاولته التواصل معهم. كان سي. دي. قويّاً جداً، لذلك أُسندت إليه مهامّ في الحقول كقطف الخضار. ونتيجةً لذلك، نما صـــدره وذراعاه على نحو يفوق نموّ جسده البالغ طوله 6.5 أقدام، مما منحه القوة الجسدية لرجل أكبر حجماً.

كانـــت لديه عينان بنّيتان داكنتان، كبيرتان مائلتان إلى السواد، وفـــيهما بـــريق آســـر، ويبتسم قليلاً. لقد عانق ماكس بقوة في أثناء الترحيب به لدرجة أن ماكس اعتقد أن أضلعه ستُسحق.

فأبعدت شيلبا ابنها عن ماكس بلطف.

"ســـي. دي. قـــويّ جداً"، قالت مطَمئنةً ماكس، "ولكنه شديد اللطـــف. لن يُلحق بك الأذى. هو يحب الجميع ولا سيما الحيوانات، ويعانـــق كـــل مخلوق حيّ يلتقيه. إنه بمثابة فرح بالنسبة إلينا أكثر منه عـــبء علينا، ولكن يجب علينا أن نكون متيقظين على الدوام بما أنه لا يستطيع الاعتناء بنفسه".

وفي أثناء تحدثهما، توقّع ماكس أن يرى الحزن في عينيها، ولكن الحب هو كل ما رآه.

لقـــد افـــتُتن الـــشاب الصغير تماماً بماكس بقدر ولَع ماكس به. واستمر في تقديم الطعام إلى ماكس والنظر إلى عينيه مباشَرةً، والاقتراب من وجهه. كانت شدة اهتمامه مُربكة بطريقة ما، ولكن ماكس شعر برابط غامر تقريباً بينهما.

كان ينظر إلى عينَي سي. دي. الكبيرتين الداكنتين ويرى حبّاً غير مشروط وثقة. لم يكن يستطيع تمالك نفسه عن التحديق إليه باندهاش.

* * *

بعـــد الغـــداء، اصطحبت شيلبا والعم غوبتا ماكس إلى مكتب بـــي. أن. الـــذي يتشاطره على الدوام مع بحّاثة آخرين من العائلة.

كانت الرفوف مليئة بالكتب والخرائط، والرسوم تكسو الطاولات، وتحتوي العديد من المخطوطات على رسوم يدوية فائقة الجمال، وكان أحدها قديماً جداً. إنها مقتنيات أسرة ماهارز المشهورة ببحّاثتها.

وكان غوبتا الذي يبلغ من العمر تسعة وثمانين عاماً أول من تكلم.

"نحن في انتظارك منذ سنوات عدة". قال: "لقد مضى تقريباً ثمانية عشر عاماً على وفاة ابن شقيقي بي. أن. بداء السرطان، ولم يكن يبلغ الخمسين من عمره. لقد أمضى الأشهر العديدة الأخيرة من حياته مستلقياً على سرير نقّال وضعناه له في هذه الغرفة".

"كما تعلم، كان يحب كتبه، وأمضى السنوات الأخيرة من حياته يدرس النصوص القديمة لشعب الأوبانيشاد الذي استمد منه الهندوس التقاليدَ والمعتقدات المُبجَّلة".

وسلّم غوبتا ماكس مفكّرة صغيرة زهرية اللون، وعلى غلافها صورة جميلة لجبال وأشجار وجدول ماء.

"إنها المفكرة التي كان يحتفظ بها بي. أن. في ذلك الوقت، وقد سجّل عليها أفكاره الأخيرة. ويوم وفاته، استدعاني وشيلبا وسلّمنا إيّاها، وقال لنا إنه علينا حماية هذه المفكرة لأن شخصاً ما قد يحضر ويسأل عنها، وطلب منا تسليمها إلى ذلك الشخص. أعتقد أن ذلك الشخص المجهول هو أنت. لم يذكر بي. أن. أبداً اسمك، ولكن أحداً لم يأتِ بحثاً عن بي. أن. في السنوات السبع عشرة الأخيرة سواك، ولا سبب يدعوني إلى الظن أن شخصاً آخر سيظهر".

فحمل ماكس المفكرة، ولكنه لم يكن يعرف ما إذا كان يتعيّن عليه فتحها أم لا.

وبينما كان متردداً، تكلمت شيلبا:

"كنت برفقة والدي كل يوم، وقمت بخدمته باستمرار في المرحلة الأخيرة من مرضه. لقد بتنا مقرّبَين من بعضنا أكثر من أي وقت مضى بما أن والدتي فارقت الحياة، وكنت نسيبته الأكثر تقرّباً منه. كنت حاملاً بطفلي الأول، وقد منحنا ذلك الفرح لكلينا".

"في اليوم الأخير من حياته، وعندما سلّم المفكرة إلى غوبتا، قال لنا ألا نسلّم المفكرة إلى مَن طلبها إلا إذا قام ابني الذي لم يولد بعد بمرافقة المستلم. قد تجوب المفكرة العالم، كما قال، ولكن يجب إعادتها ذات يوم إلى هذه الغرفة لتبقى بالقرب من حفيده".

وتناول غوبتا الحديث.

"لقد بدا طلباً غريباً، ولكن كما تعرف من حديثنا الذي أجريناه قبل أربعين عاماً، نحن الماهارز مليئون بالمفاجآت والمعارف الغريبة".

عندها، تذكّر ماكس ممارس اليوغا ورحلته إلى القمر وما وراءه. وأعاده صوت غوبتا إلى الحاضر.

"لم نطرح أسئلة آنذاك حول طلب بي. أن. ولا نريد طرح أسئلة حوله الآن. لك حرّية قراءة هذه المفكرة، ولك حرّية أخذها إذا كنت بحاجة إلى ذلك، ولكن في هذه الحالة عليك اصطحاب سي. دي. معك لأنه الطفل الذي كان في رَحم شيلبا آنذاك".

فشعر ماكس بالإثارة والإرباك. لم يكن يبدو على بي. أن. الاحتيال أو أن تحمل أفكاره طابعاً خيالياً غير مألوف. لماذا يضع هذه الشروط الغريبة للحصول على هذه *الهدية*؟

ماذا يوجد في هذه المفكرة؟

"لم يسبق لأحد أن فتح هذه المفكرة، لا شيلبا ولا أنا، أو أي شخص آخر"، شرح غوبتا، "قال لنا بي. أن. إن المحتويات مخصصة

للـــذي ســـيأتي بحـــثاً عنها، علِماً أنها لن تكون ذات معنى بالنسبة إلى الآخرين".

ففكـــر ماكس في ذلك الأمر قليلاً، وبدا أن ما قاله غوبتا لا معنى له.

"سندَعك تقرأ المفكرة، ويمكنك بعد ذلك إعلامنا إذا كنت تريد مـــنا إعداد سي. دي. للسفر معك أم لا"، أضاف الرجل المسنّ، "وإذا أردتَ أن يـــرافقك، ستقوم شيلبا بمرافقته بالطبع. لقد سافر سي. دي. مـــن قَبل، حتى إنه يملك جواز سفر أيضاً. هو يطيع شيلبا، ويمكن لأي شخص أن يلاحظ مَيله إليك".

استدار غوبتا وشيلبا للمغادرة، ولكن الرجل المسنّ استدار مجدداً للتكلم للمرة الأخيرة.

"عندما نعود، سنسألك عن قرارك".

* * *

بعد مغادرتهما، فتح ماكس المفكرة.

كانـــت مليـــئة بالأرقام، وكانت هناك أربعون صفحة تقريباً من العملـــيات الحسابية، وفي الصفحة الأخيرة وجد ماكس المعادلة النهائية ومجموعة الرموز النهائية.

21122012

لقد ظهر هذا الرقم اثنتي عشرة مرة في صفحات عدة من المفكرة نتـــيجةً لاثـــنتي عشرة عملية حسابية مرتكزة على اثنتي عشرة مجموعة مختلفة من المسلّمات الأساسية التي صاغها بـــي. أن.

كـــان هـــناك نـــص صغير جداً في المفكرة يوضح أن كل عملية حـــسابية تستند إلى مجموعة مختلفة من المعتقدات المرتبطة ببداية حقبات مخـــتلفة وفقاً للروزنامة الهندوسية ولأنظمة قديمة أخرى، ويشير النص

أيضاً إلى أن بـــي. أن. أمضى الأشهر الأخيرة من حياته - حتى وفاته كما يبدو - في تحليل ومقارنة الروزنامات القديمة العائدة إلى حضارات من مختلف أنحاء العالم.

وفي الصفحة الأخيرة، دوّن بـــي. أن. ملاحظة شخصية:

إن طاقـــة روحي وجوهرها موجدان في هذه الصفحات. وبما أنني أنتقل وأغادر هذا الجسد، سأنقل جوهري إلى جسد طفل شيلبا الذي لم يولد بعد. سيبقى جوهري داخل حفيدي وعلى صورته، ويجسّد في أثناء وجود هذه المفكرة الذبذبات والمعرفة القديمة التي يسعى إليها العالم.

وهكذا، أكون قد حققت قدري وغاية حياتي، وأنا أسلّمك الآن يا من تقرأ هذه الكلمات مهمة التحوّل الكوكبـــي.

بـــي. أن. ماهارز

علـــم ماكس على الفور أن عليه مرافقة سي. دي. إلى إيزابا إذا أراد الحصول على المفكّرة. فبطريقة ما، أدرك بـــي. أن. قبل وفاته أن جوهره سيكون أمراً ضرورياً في حدث مستقبلي.

وكـــان على ماكس دراسة الأرقام في وقت لاحق، محاولاً تبيان معـــناها، ولكـــن اتضح له أن بـــي. أن. سيكون حاضراً من خلال المفكرة وحفيده، ويحقق بهذه الطريقة هدفه بجمع شمل الاثني عشر كما طلب صاحب كل الإجابات.

فالـــتقط أنفاسه للحظات، وخرج إلى ضوء الشمس على الشرفة حيث كان غوبتا في قيلولة، وشيلبا تقوم بأعمال التنظيف.

"سأصـــطحبك معـــي نـــزولاً عند طلبك"، أعلن، "هل يمكنك الإعـــداد لـــسفر كليكما إلى مكسيكو سيتي في التاسع أو العاشر من آب/أغسطس؟ سنلتقي بكما هناك، وننقلكما إلى إيزابا جواً أو براً، إلى موقع شعب المايا القديم الذي وضع روزنامة المايا".

جلس على كرسي، وأومأ إليها بالجلوس أيضاً. وعندما جلست، أضاف:

"طُلب مني جمع اثني عشر شخصاً مميّزين في ذلك المكان في 11 آب/أغسطس على أن يكون بي. أن. أحدهم. وبعد قراءة مفكرته، اتضح لي أن سي. دي. هو الآن أحد الاثني عشر لأن طاقة جده موجودة فيه الآن". وتوقف عن الكلام لرؤية ردّ فعلها حيال هذا الأمر.

فابتسمت شيلبا.

"لم يقل لي والدي أبداً إنني سأقوم بهذه الرحلة، ولكنه ألمح في تلك الأيام الأخيرة إلى أنني قد أُدعى إلى حضور حدث عظيم ويُفترض بي الاستعداد إذا ما دُعيت إلى ذلك. سأُعدّ سي. دي. للرحلة، ويشرّفني أن أشارك في تجمّعكم. أنا على ثقة أن خيراً عميماً سينجم عن ذلك".

* * *

أمضى ماكس بقية المساء يلعب مع سي. دي. وشقيقته الصغرى نسخة محلّية عن لعبة التقاط القضبان. كان سي. دي. يتمتع بقدرة ممتازة على التحكم بحركاته الجسدية، ويفوز على الدوام، ويضحك كلما قام ماكس بتحريك قضيب ويضغط بإصبعه بقوة على معدة ماكس، مُعلماً إياه أنه فقد دوره.

بعد كل لعبة، يسلّم القضبان إلى ماكس لعدّها. وبالرغم من عدم قدرة سي. دي. على العدّ بنفسه، كان في استطاعته أن يعرف أنه فاز على ماكس من خلال النظر إلى حزمة القضبان التي جمعها كل منهما.

كان هذا الأمر يحمل سي. دي. أيضاً على الضحك.

وعندما حان الوقت للذهاب إلى السرير، عانق ماكس وقبّله بقوة، وهو أمر لم يختبره ماكس من قَبل. إن طاقة حبه غير المشروط

ذكّرت ماكس بالمشاعر التي انتابته لدى اختبار حالة النورانية في مكتب الطبيب غراي في تاريتاون، نيويورك، منذ خمسين عاماً تقريباً.

وفي أثـــناء محاولته الاستسلام لنوم سارّ ومُرضٍ، لم يتمكن ماكس من تمالك نفسه عن التفكير في التالي: *أخيراً، سأعرف الغاية من حياتي.*

سي. دي. هو الفرد المفقود من الاثني عشر.

وبطريقة ما، أعتقد أنه أكثر من يملك أموراً يعلّمنا إياها.

الفصل الثامن والعشرون

إيزابا

تموز/يوليو 2012

تقع بلدة إيزابا القديمة على بُعد تسعة كيلومترات فقط من مدينة تاباشولا الحديثة، وهي مركز تجاري لإقليم شياباس في المكسيك القائم في أقصى الجنوب شمال غواتيمالا.

ويقيم والد خوان أكوستا، مانويل، خارج تاباشولا على بُعد ثلاثة كيلومترات من حديقة شعائر الرقص القديم حيث الأطلال الآثارية الأكثر شهرة في إيزابا. وزراعة البنّ مهيمنة على تلك المنطقة، ولكن الكاكاو هو المصدر الرئيس للدخل في إيزابا.

كان في استطاعة ماكس أن يشمّ رائحة البنّ والكاكاو عندما وصل.

لقد قرر الذهاب بمفرده للقاء مانويل والإعداد لجمع الاثني عشر. لقد أبلغه الدب الراكض أن صاحب كل الإجابات يريد بدء اللقاء في 11 آب/أغسطس عند شروق الشمس.

قبل حلول ذلك اليوم، كان عليه العثور على فندق في تاباشولا حيث يمكن للجميع تمضية الليلة السابقة للاجتماع.

والفندق الجيد الوحيد المتوافر في تاباشولا حديث نسبياً. فأجرى ماكس الحجوزات ما إن وصل إليه وتدبّر أمر استئجار عربتَي نقل مع سائقَيهما المحلِّيين.

* * *

في الـــيوم التالي، جدّ في طلب مانويل الذي كان في الثمانين من عمـــره تقريباً، ولكنه يتمتّع بنشاط شاب. كان لا يزال يزرع أشجار الكاكـــاو في أرضه الصغيرة ويتوجه كل يوم إلى موقع إيزابا القديم - علـــى غرار آبائه وأجداده - لفتح وإغلاق مدخل حقل شعائر الرقص والآثـــار التاريخية المبجَّلة وأشياء أخرى من صنع الإنسان يقوم السياح بزيارة الموقع لمشاهدتها.

كـــان مانويل يقبل بعض الإكراميات من السياح، علماً أنه قيّم نهـــاري لا يتلقى أي أجر وفقاً لتقاليد أسلافه. و لم يكن يدعو لأسياد المايا القدماء إلا في إيزابا لدى فتح الموقع وإغلاقه؛ فهو يحضر الاحتفال الديني الكاثوليكي في حياته اليومية، مفسّراً ذلك أنه لا يجد أي تعارض بين الاعتقاد بأسياده القدماء واعتقاده بالفادي.

وبمـــا أن مانـــويل يتكلم لغة إنكليزية ضعيفة، تحدث إليه ماكس بالإسبانية، شارحاً له طبيعة زيارته وعزمه العودة في 11 آب/أغسطس لإقامة احتفال خاص مع الاثني عشر.

فقـــال مانـــويل لماكس إن 11 آب/أغسطس هو تاريخ مُبجَّل في ذلك العام كونه بداية الأيام المئة والثلاثين النهائية "للحب؛ النشاط" التي تنتهـــي في 21 كانـــون الأول/ديـــسمبر 2012؛ اليوم الذي يُعتبر نهاية روزنامة المايا.

لقد أدرك ماكس أكثر من أي وقت مضى أنها ليست نهاية عادية، بل نهاية مجموعة من الروزنامات التي شملت ستة وعشرين ألف عام.

وفي أثـــناء مـــرافقة مانـــويل له في جولة في أرجاء الموقع القديم، كـــشف له أن علماء الآثار أكّدوا مؤخراً أن إيزابا كانت بلدة مزدهرة قـــبل آلاف الـــسنوات ويقطـــن فيها أكثر من عشرة آلاف شخص. وأظهـــرت الآثار التاريخية أن الروزنامة الممتدة وُضعت في هذا المكان

وتمّـــت مشاطرتها مع بلدات أخرى في مختلف أنحاء شياباس، وفي قسم كبير من أميركا الوسطى والشمالية والجنوبية.

وبينما كان ماكس يصغي بسكون مستغرِق، شرح مانويل قائلاً إن شعائر الرقص التي جرت في هذه الحديقة مرتبطة بالروزنامة عينها. ووفقـــاً لمعـــتقدات المايا، يجب حدوث تبدّل في الوعي في 21 كانون الأول/ديـــسمبر المحـــوري إذا أراد البـــشر الاستمرار إلى ما بعد "نهاية الزمان".

وبالـــرغم مـــن أهمية ما يقول، كان يتحدث بهدوء كما لو أنه يخاطب فرداً أو مجموعة في جولة سياحية. وفي أثناء قول ذلك، استعاد ماكس فجأةً صلة ذهنية كان قد فقدها منذ رحلته إلى الهند.

لقـــد رأى في عـــين عقله سلسلة الأعداد الأساسية التي ظهرت تكراراً في مفكرة بـــي. أن. ماهارز؛ 21122012. ولكنه لم يجد الصلة المباشَرة لأنه أميركي، علِماً أن تلك الأرقام تعكس تاريخاً محدداً في كل مكان من العالم؛ 2012/12/21.

21 كانون الأول/ديسمبر 2012.

لا يمكن أن يكون الأمر مصادَفة.

فبطـــريقة ما، يجب على الاجتماع أن يُعقد في الحادي عشر من آب/أغـــسطس لتـــبدأ سلسلة تنتهي في 21122012، ويجب أن يكون الاثنا عشر حاضرين.

وألقـــى ماكس نظرة سريعة في أرجاء الموقع المبجَّل للتحقق من وجـــود مكان ملائم لاجتماع الجميع. وفكر في حقل شعائر الرقص، ولكنه أدرك أنهم لن يتمكنوا من إحاطته بحبال كيلا يقترب السياح من مكـــان الاجتماع، كما أنه لم يكن يملك أي فكرة عن مدة الاجتماع، ويعلم أنه من الأفضل عقده بدرجة معيّنة من الخصوصية.

وحدّق في البعيد إلى البركانين القائمَين إلى الشرق؛ بركان تاكانا وبركان تاجومولكو الأكثر ارتفاعاً. وسأل مانويل عن إمكانية وجود مكان للالتقاء عند أسفل هذين البركانين.

فابتسم مانويل.

"بالطبع، هناك مكان"، أجاب بلغته المكسيكية، "اتبعني. هناك أيضاً كهف اعتاد شعبي القديم القيام باحتفالات فيه لنَيل القوة. لم نعد نتذكر الشعائر أو جدواها، ولكن أساطيرنا تخبرنا أن حقل شعائر الرقص موجَّه بحيث يكون نور الشمس فوق بركان تاجومولكو مباشَرةً لدى حدوث الانقلاب الشمسي الشتوي".

وبعد عشرين دقيقة من التنقل بسيارة الجِيب المستأجَرة، وعشرين دقيقة أخرى من السير على الأقدام، وصل ماكس ومانويل إلى بَراح على الهضبة بقرب كهف، وتمكنا من رؤية حقل شعائر الرقص والتماثيل القديمة إضافةً إلى المحيط الهادئ إلى غربيّ المكان على بُعد خمسة عشر ميلاً.

"أجل، إنه ممتاز". أكد ماكس بعد أن حرك المنظر أحاسيسه: "هل توجد طريقة للتأكد من أن أحداً لن يزعجنا عندما نلتقي في آب/أغسطس؟".

"لا تقلق". أجاب مانويل: "سأقف عند أسفل الدرب وأمنع أي شخص من المرور. لا أحد يعيش في أعلى البركان، لذلك لن يكون عليك القلق حيال التعرض للإزعاج".

وعرض ماكس على مانويل التعويض عن الوقت والجهد اللذين بذلهما، ولكن الرجل المسنّ ابتسم وهزّ رأسه فحسب.

"يكفيني أن أرى ابني خوان"، قال، "إضافةً إلى ذلك، أشعر في صميمي أن احتفالك مرتبط بغايتي الخاصة. نحن نخدم القدر ولا حاجة إلى المال للتعويض عما أقوم به بحب وامتنان".

فابتسم ماكس للرجل الذي وقف أمامه.

"أنـــا ممتنّ لك حقاً". قال: "لست واثقاً بقدرك أن هذا الاحتفال سيكـــشف المُقدر، ولكنها ستزوّدني بمؤشر ما لرحلتي الطويلة وتشرح التزامنات والمصادفات التي وجّهت حياتي". وعانق مانويل.

* * *

في تلك الليلة، لم يتمكن ماكس من النوم بسبب انفعاله الشديد.

و لم يـــستطع حمـــل نفسه على التصديق أن العالم سينتهي في 21 كانـــون الأول/ديسمبر، ولكنه لم يستطع إنكار وجود أمر هام مرتبط بـــذلك الـــتاريخ. لقد حدثت العديد من الأمور التي لا يمكن شرحها، وكلما اقترب من ذلك التاريخ اقتربت لحظة الحقيقة.

مـــاذا لـــو اســـتمرت الأمور في التسارع؟ قال في نفسه في أثناء اســـتلقائه على السرير، محدّقاً إلى السقف. *ما المفاجآت التي لم يُكشف النقاب عنها بعد؟*

تـــزامن تِلـــو تزامن، بدءاً بلقائه الصاحب بماريا وصولاً إلى لغز العملـــية الحـــسابية النهائية لبـــي. أن. ماهارز، ومجموعة المصادفات العديدة التي بدت مستحيلة وأوصلت ماكس إلى إيزابا بالرغم من كل شيء.

وبـــدْءُ العد النهائي المؤدي إلى نهاية روزنامة المايا حمل ماكس إلى احتساب الأرقام في رأسه باضطراب.

كان يتبادل رسائل البريد الإلكتروني مع صن، وهو خبير في عِلم معاني الأعداد، وذلك منذ الكشف عن الاسم الأخير بين الأسماء الاثني عـــشر. فالعمليات الحسابية الأساسية لصن مذهلة ليس بسبب وجود كـــل الأرقام الرئيسة التسعة بل بسبب بقاء التناغم بطريقة ما حتى مع غياب بـــي. أن.

كانـــت هناك ثلاثة أرقام متطابقة فقط، وأحدها يتشاطره تشيل كامبيستر وبـــي. أن. اللذان يقابل اسم كل منهما أربعة أرقام. وبوفاة بـــي. أن. لم يعد هناك تطابق.

ويقابل اسم كل من ماريا وصن تسعة أرقام، ولكنها أرقام *مختلفة*، ويـــبلغ مجموع الأرقام المقابلة لاسم ماريا 189 ولاسم صن 108، وهو رقـــم هندوســـي مُـــبجَّل. وهناك تطابق وحيد آخر بين الطبيب آلن ومـــيلودي اللـــذين يقابل اسمَ كل منهما رقمان. ويرد العدد 2 ثلاث مـــرات في الـــرقمين المقابلين لاسم ميلودي، وهو يمثّل "طاقتَين" أكثر تكـــاملاً مع طاقة المجموعة مقارنةً بالطبيب آلن، وهو الشخص الوحيد غير المؤمن بين الاثني عشر.

لقـــد اتضح أن هذه الأعداد صُمّمت بعناية، إن لم تكن مرتبطة بالقدَر، استناداً إلى علم معاني الأعداد.

واســـتمر مـــاكس في العودة إلى 21122012 وإلى التعاقب المحتَّم للرقمَين 21 و20 اللذين يفصل بينهما الرقم 12. فبطريقة ما، إن الاثني عـــشر، وروزنامة المايا، وعمليات بـــي. أن. الحسابية، مرتبطة ببعضها بعضاً.

وبـــبقائه مستيقظاً، علم ماكس أنه لن يرتاح قبل أن يجد تفسيراً لـــصلتَي الطاقـــة والعدد القائمتَين بين الأشخاص، والتواريخ، ومهمته المتمثلة بجمع الاثني عشر في إيزابا.

الفصل التاسع والعشرون

المبعوث الثالث عشر

آب/أغسطس 2012

كان ماكس مُنهَكاً وعصبيّ المزاج.

فسافر إلى مكسيكو سيتي مساء 9 آب/أغسطس لاستقبال سي. دي. وشيلبا، ورافقهما إلى تاباشولا على متن طائرة صغيرة تُحدث ضجيجاً بحيث إنه وشيلبا لم يتمكنا من التحدث.

ووجد سي. دي. المغامرة برمّتها ضرباً من ضروب المرح. كان شديد الإثارة، ويقفز مُطلِقاً صيحات مرتفعة، ويشير إلى كل مكان عبر نافذة الطائرة. لقد مرّ وقت طويل على بذل ماكس كل هذا النشاط، ووجد الأمر مُرهِقاً.

كان ممتنّاً أكثر من أي وقت مضى لتمكن شيلبا من المشاركة في الرحلة.

وعندما وصلوا إلى الفندق في تاباشولا، كان الآخرون قد استقرّوا. لقد قرر إيرول أن لا معنى للقيام بهذه الرحلة الطويلة من دون تخصيص يوم أو يومين لزيارة مواقع مُبجَّلة أخرى في أرض أهرامات المايا القديمة. لذلك، وصل في السابع من آب/أغسطس وشعر أنه في وطنه برفقة خوان ومانويل.

وناقش مع شو صن باك أيضاً بعض الأعمال. وبالرغم من كونه أكبر سنّاً بمقدار الضعف، لم يتمكن إيرول من رفع أنظاره عن ميلودي.

"تتحرك كالماء وتسطع كجوهرة"، أسرّ لماكس.

وكـان يوكـو وماريـا قد أصبحتا رفيقتَي سفر في الرحلة إلى سان لورنـــزو دي شـــياباس. وتواصـــل خـــوان ومانويل مع الدب الراكض ويوسكي، متشاطرين صوراً وقصصاً عن عائلاهم. واصطحب مانويل الدب الراكض إلى موقع اللقاء ليُريه الكهف ويسأله عما إذا كان مناسباً أم لا.

كان الدب الراكض يتكلم الإسبانية بما يكفي للتواصل مع الآخرين، ورافقهمـــا خوان ليكون مترجماً لهما عند الضرورة. فوافق الدب الراكض علـــى الموقع، واشترى حاويات ماء عدة، وطلب من خوان تأمين شطائر لأخذها معهم في صباح الحادي عشر من آب/أغسطس، ثم قال:

"يجـــب أن نلتقي عند شروق الشمس، ولكن لا فكرة لدي عن المـــدة التي سنمضيها هناك أو ما الذي سيحدث. من الأفضل أن نكون مستعدّين".

وعبّـــر تشيل كامبيستر أكثر فأكثر عن ثقته أن لقاء الاثني عشر سيؤدي إلى المجيء الثاني للفادي، وأن ذلك هو كل ما يمكن أن يقوله. وكـــون خوان المترجم، استمتع الريبونش بأحاديث طويلة مع مانويل والدب الراكض عن طبيعة ممارساقما وشعائرهما.

وبقي آلن تايلر متشككاً في أفراد المجموعة كافة كونه غير مؤمن، وأقـــرّ أنه يرتاب كثيراً في ما يقوله الدب الراكض. واعترف لماكس أنه لم يكـــن راغباً في حضور الحدث حتى اكتشف أن إيزابا مجاورة لبعض الأمـــاكن الرائعة لركوب الأمواج، وأن إيرول سيسدد نفقات السفر. لذلك، عزم على تمضية بعض الوقت لدَحر الأمواج.

"إضـــافةً إلى ذلك"، قال بلطف، "أنت تروق لي يا ماكس، ولا شائبة فِي هذه المغامرة. ستكون ممتعة على الأقل!".

* * *

في مساء العاشر من آب/أغسطس، استضاف ماكس عشاء في الفندق. وكرر الرواية الكاملة لاختباره حالة النورانية، وسرد التفاصيل الجديدة التي اكتشفها في الهند وفي مفكرة بي. أن. ماهارز. كانت شيلبا موجودة وتعتني بابنها، فابتسمت ابتهاجاً عندما تحدّث ماكس عن ذكاء والدها.

وفي أثناء العشاء، أعاد ماكس صلته بماريا. كانت نظرة سريعة، ولكن ماكس ضاع مجدداً في أغوار جمالها الذي كان لا يزال أخّاذاً، وافتُتن بعذوبة صوتها وبسلوكها الهادئ.

فبادلته ماريا النظرة، ولكنه كبح جماح رغبته في التحدث إليها في أثناء إكمال شرح الظروف التي حملت سي. دي. على تمثيل بي. أن. لا سيّما وأن الدب الراكض كان شديد الوضوح بوجوب حضور الاثني عشر ليقوم صاحب كل الإجابات بمباركة الاحتفال. وبالرغم من أن ماكس لم يكن أحد الاثني عشر، فهو سينضم إلى الاحتفال بصفته قيّماً على مفكّرة بي. أن.

"عليك أن تنضم إلينا في البداية على الأقل"، أكد الدب الراكض، "يبدو من الواضح أن بي. أن. ماهارز يشعر أن سي. دي. سيمثّله، ولكن المفكّرة هامّة أيضاً، وبما أنه ليس في الهند فهي تخصّك".

ثم اختتم الدب الراكض حديثه قائلاً: "إذا لم تتدفق الطاقة، يمكنك المغادرة".

لم يكن في استطاعة أي شخص آخر الحضور لأنه وفقاً للدب الراكض، إن طاقة الاثني عشر - الاثني عشر *فقط* - ضرورية لحدوث أي أمر.

وأدرك ماكس مع بعض الاضطراب أن عليه الاعتناء بسي. دي.

* * *

وصلت المجموعة إلى أسفل بركان تاجومولكو عند الساعة الرابعة وخمس وخمسين دقيقة من صباح اليوم التالي. فالتقاهم مانويل هناك حاملاً مصباح بطارية بيده، وقادهم بخطى ثابتة إلى البَراح القائم عند سفح التلة بجانب الكهف.

وغادر بعد ذلك ليقف حارساً عند أسفل الدرب كما سبق له أن وعد.

وكان الدب الراكض أيضاً هناك في وقت مبكّر، ودعا الجميع للتجمّع حول نار أعدّها.

"يجب الجلوس في دائرة حول النار. لا تزال أمامنا ثلاثون دقيقة قبل شروق الشمس، وأرجو أن يقوم كل واحد منكم بالتضرع وفقاً لطريقته الخاصة بسكون خلال هذه الفترة.

"فإذا قضى التقليد الذي تتبعونه بالتهويدة، يمكنكم إنشاد التهويدة ولكن بأكبر قدر من الهدوء. أنا على ثقة تامة بأن كلاًّ منا يمثّل إحدى القبائل الاثنتَي عشرة ذات البشرة الملوّنة، وأننا موجودون هنا لتلقّي توجيهات. لا أعلم على أي صورة ستأتي هذه التوجيهات، ولا أعلم المدة التي سنمضيها هنا".

"قد لا نبقى هنا أكثر من ساعة أو ساعتين، ولكننا قد نمكث طوال اليوم. وبصرف النظر عن الوقت الذي سيتطلبه الأمر، سيكون من الغباء لنا الانصراف قبل أن تُلبّى تضرعاتنا، لا سيّما وأننا قادمون من أماكن بعيدة".

وتوقف قليلاً، ونظر إلى أفراد المجموعة كافة واحداً تِلوَ الآخر وصولاً إلى آخر فرد في الحلقة. "كلنا متحدّرون من حضارات مختلفة، وبلدان مختلفة، ومعتقدات مختلفة، ولكن يتضح لي من الوقت القصير الذي أمضيته مع كل منكم أنكم جميعاً عباد للرحمن. نعيش في زمن

الـــوعد الكبير والأسى الكبير، لذلك أقترح أن نتضرع - ليس لأنفسنا أو لأشخاص محدَّدين - بل لكل الناس والمخلوقات".

"لا أعتقد أنه تم اختيارنا عشوائياً، ولكننا هنا لغاية محددة... إذاً، لنتضرع لخالقنا".

لم يـــسبق لمـــاكس أن تـــضرع في حياته، ويعلم أن الطبيب آلن وإيرول هما على حال ماكس أيضاً، لذلك حدّق الثلاثة إلى الفضاء.

لم يكن سي. دي. يعرف ما الذي يتحدث عنه الدب الراكض، ولكـــن مـــاكس طلب منه التزام الهدوء والعثور على بعض غُصينات الأشجار ليقوم بليّها واستخدامها لوضع علامات على التراب. وهكذا، أمـــضى الـــشاب وقته يرسم بهدوء، ويمحو ما رسم، ويرسم بعد ذلك صور قضبان.

* * *

بعـــد مرور ما بدا أنه وقت طويل، أشرقت الشمس وسطعت في وجوههم.

فنظر ماكس حوله و لم يحدث أي أمر غير عادي. كان الريبونش ينشد بصوت منخفض على غرار الدب الراكض. وارتسمت على وجه شـــو صـــن بـــاك نظرة ملل، ولكن ماريا ويوكو كانتا في ما بدا أنه اســتغراق تأمّلـــي. وكان خوان وميلودي ويوسكي وتشيل مكتفين بالجلوس وعدم القيام بأي شيء، فحسدهم على هدوئهم.

وبعد مرور ساعة على الأقل، وقف الدب الراكض وسأل عما إذا كان أحدهم جائعاً أو عطشان. وبما أن أحداً لم يتناول فطوره بعد، سُرّ الجمـــيع بالشطائر والطامال المكسيكي المكسوّ بدقيق الذُّرة، والتي كان يحتفظ بها الدب الراكض في حقيبة الظهر.

وبقوا في حلقة في أثناء تناول الطعام.

ومــــرت ساعة أخرى من دون ظهور أي علامة. ولاحظ ماكس أن الطبـــيب آلـــن ينظر مطوَّلاً إلى المحيط الهادئ، مفكراً بلا ريب في ركـــوب الأمـــواج الذي يُغفله. وبعد قليل، التفت إلى الدب الراكض وقال.

"كـــم من الوقت يجب علينا الجلوس هنا؟"، سأل ذلك، ثم تابع: "أشعر أن شيئاً لن يحدث".

ولم يـــبدُ التأثر على وجه الأميركي من السكان الأصليين عندما أجاب.

"لا أعـــرف، ولكـــن من الواضح أنه يجب علينا البقاء مزيداً من الوقت. قد لا تعي حدوث تغيير ما، ولكن في استطاعتي أن أؤكد لك أن طاقـــات هـــذا المكان تتبدل. يجب علينا نحن الاثني عشر الجلوس ببـــساطة كـــي تبلغ طاقاتنا حالة من الاتزان. كلنا قادمون من مصدر واحد، وجُمع له هدف. رجاءً، تحلَّ بالصبر. لقد مضت على وجودنا هـــنا ساعتان فقط. في بحث رؤيويّ، من الضروري أحياناً تمضية يوم بأكمله".

وعـــندما رأى نظرات التنبّه على بعض الوجوه، أضاف: "ربما لن نكون بحاجة إلى يوم كامل بل إلى ساعات إضافية عدة".

وعاد الدب الراكض إلى التأمّل.

كـــان سي. دي. يلزم الهدوء على نحو مثير للدهشة، ولكنه بدأ بدغدغـــة مـــاكس ومشاطرته ألعاباً تستلزم انتباهه التام. فشعر ماكس بالارتـــياح ولـــيس بالغضب لأنه لا يستطيع مواصلة الجلوس من دون القيام بأي شيء. لذلك، منحه سي. دي. بعض اللهو السارّ.

بعد قليل، جال إيرول، وشو صن باك، والطبيب آلن، وآخرون، في المكان لإراحة سيقانهم والنظر حولهم. لم يغب أحد عن الحلقة لأكثر

مـــن عـــشرين دقيقة، و لم يكن هناك أقل من تسعة أشخاص من الاثني عشر ضمن الحلقة في أي وقت من الأوقات.

فأمل ماكس أن تكون مدة الانتظار كافية.

* * *

قبل الظهر مباشَرةً، لاحظ هبوب ريح غريبة.

ورأى أولاً أغـــصان الأشـــجار تتحرك، وهبّ بعد ذلك إعصار صغير فوق جَمر النار مما أدى إلى توهّجها وخمودها بعد ذلك.

فتسمّر الدب الراكض في مكانه.

ونظـــر بعد ذلك إلى الريبونش، ومن ثم إلى خوان وإيرول. كان كل من شو صن باك، وماريا، ويوكو، وميلودي، ويوسكي، وتشيل، وأخيراً آلن وسي. دي. مسمّرين في أماكنهم.

لقد لزموا الصمت بأجمعهم، محدّقين إلى المكان حيث كانت النار مشتعلة. وساد البراحَ هدوءٌ وبدا الأمر كما لو أن الزمن توقف.

وطرف ماكس بعينيه ولكنه لم يرَ أي شيء. وهدأت الريح مجدداً، وســـاد صـــمت تام. فظن أنه يُفترض به الشعور بحماسة يشوبها القلق حيال كل ما يحدث، ولكنه كان هادئاً أيضاً، مما منحه شعوراً بالفضول والعجَب.

وألقى بعد ذلك نظرة سريعة إلى الاثني عشر ورأى الدموع تنهمر على خدودهم. وقوطِع الصمت بنشَجات بكاء خفيفة صادرة عن كلٍّ منهم.

كانت دموع فرح كما يبدو.

أخيراً، وبعد ساعات من الزمن، شعر ماكس بحضور يدخل البَراح.

هل يمكن أن يكون ذلك الذي كنا في انتظاره؟ قال في نفسه. *هل انتهى الأمر أخيراً؟*

"أجـــل، أنا من تنتظرون"، قال صوت عميق وهادئ تردد صداه في المكان.

"يعتـــبرني كل منكم متمِّماً لقدره... وأنا في الواقع متمِّم لكل هذه المعتقدات... بحضوركم أنتم الاثني عشر، لقد أحدثتم دوّامة من الطاقـــة تسمح لي بدخول عالمكم، وجئت لأقول لكل منكم ما الذي يجـــب علـــيكم القيام به لإنقاذ ذلك العالم. أنتم جزء من ميثاق قديم جـــرى قبل آلاف السنوات لضمان استمرار هذا الكوكب والجنس البشري.

سيسير كل منكم إلى الكهف القائم بجانب هذا البَراح، ويتلقى ما الذي يجب عليكم القيام به لإتمام التوقعات القديمة، وضمان عدم انتهاء عالمكم في هذه الأزمنة الأخيرة".

وساد الصمت بعد ذلك.

* * *

كـــان إيـــرول أول من دخل الكهف. وخرج بعد دقائق وعلى وجهه سمات رزينة لعزم فائق.

بعـــد ذلك، تلاه يوسكي، ومن ثم شو صن باك، والطبيب آلن، وتشيل، وماريا، ويوكو، وميلودي، لمدة دقيقة واحدة.

وبقـــي الريبونش في الكهف طوال ساعة كاملة، وكان الغسق قد حل عندما ظهر خوان، وحل الظلام عندما عاد الدب الراكض.

لم يتبقَّ سوى سي. دي.

فـــرافقه مـــاكس إلى المدخل وأراد البقاء خارجاً، ولكن الهندي الشاب سحبه إلى الداخل.

فـــدخل وشعر بانفعال وسلام. وبدأ سي. دي. بالضحك عندما كلّمه الصوت وكلّم ماكس.

"أنـــت فتى الحب"، قال، "عليك أن تعلّم هذا العالم الكثير. لقد احتـــسب جدك بأرقامه أن نهاية الكون ستحدث بعد مئة وثلاثين يوماً بـــدءاً من تاريخ اليوم. إنه أمر صحيح في الواقع، ولكن لم يكن جدك قادراً على معرفة أن نهاية كون قد تكون دلالة على بداية كون آخر.

لقـــد بـــدد البشر مواهبهم الثمينة، وسينتهي العالم بالفعل إذا لم يبدّلوا طرائقهم ويحوّلوا وعيهم.

"تتمـــثل مهمـــتك – علـــى غرار مهمة الأحد عشر الآخرين – بالعودة إلى منـــزلك والبحث عن القيمة الأسمى. عُد مجدداً إلى الأماكن الأكثـــر تبجيلاً التي سافرتَ إليها أو أقمتَ فيها في هذه الحياة البشرية. ســـيقوم مـــاكس بمرافقتك، بالرغم من أنه ليس من بين الاثني عشر، فبواسطته قدمتَ مع الآخرين.

اذهـــب الآن وابتهج لعلمك أنك أتممتَ الجزء الأول من وعدك. أنت خادم مميَّز للعباد، يا سي. دي. وأنا أباركك إلى الأبد".

وســـاد الصمت، وأدرك ماكس أنهما باتا بمفردهما مجدداً. لم يعد المبعوث الثالث عشر حاضراً.

فأخـــذ مـــاكس سي. دي. بيده وأخرجه إلى البَراح حيث كان الآخرون جالسين بهدوء، ويحاولون استيعاب هذا اللقاء.

فقارنـــوا بين ما قيل لكل منهم، وتحققوا من معتقداتهم. لقد تلقّوا رســـالة ســـي. دي. نفسها، وشعر كل منهم أنه مبارَك لأنه شارك في الرحلة.

وأمل كل واحد منهم أن يكون هو الذي يعثر على القيمة الأسمى ويقوم بإعادتها. لقد دخلوا البَراح في ذلك الصباح مُدركين أن ماكس هـــو من قام بجمعهم. ولكنهم باتوا متحدين ويتقاسمون هدفاً مشترَكاً ورسالة مشترَكة.

فنـــزلوا من الجبل معاً في الظلام حتى رأوا ضوء مصباح. فرحّب بهم مانويل من دون طرح أي أسئلة، وكانوا مجموعة صامتة عادت إلى تاباشولا.

* * *

في أثـــناء العشاء، أخبر ماكس شيلبا عن خبرة سي. دي. وعما سمعـــه في الكهـــف. وشرح أيضاً قائلاً إنه من الضروري بالنسبة إليهم العودة إلى إيزابا في كانون الأول/ديسمبر.

وبالـــرغم مـــن وجـــود متشككين في بادئ الأمر، كان الجميع متلهفين لرحلة العودة، بمن فيهم الطبيب آلن. وكانت شيلبا قلقة حيال عـــدم تمكـــن سي. دي. من البحث عن القيمة الأسمى، ولكن ماكس طمأنها.

"ســـأعود وأقـــدّم المساعدة، ولكنني أشك في أن يكون أي بحث فعلـــي ضرورياً. أعتقد أن القيمة الأسمى قد حُدد مسبقاً من سيعثر عليها ، وإذا أُريدَ لسي. دي. النجاح في ذلك، فالقيمة الأسمى ستأتي إليه".

الفصل الثلاثون

عودة إلى الأماكن الأكثر تبجيلاً

آب/أغسطس 2012

بعـــد يوم من التأمل في ما حدث، اجتمعوا مجدداً لتناول العشاء؛ هذه المرة لمقارنة الملاحظات والخطط المستقبلية.

كـــان هـــناك عنصر واحد مشترَك في توجيهات المبعوث الثالث عشر إلى كل من الاثني عشر.

"عُد مجدداً إلى الأماكن الأكثر تبجيلاً التي سافرتَ إليها أو أقمتَ فيها في حياتك. سيقوم ماكس بمرافقتك، بالرغم من أنه ليس من الاثني عشر، فبواسطته قدمتَ مع الآخرين".

وحالمـــا انتهوا من تناول الطعام، جلس إيرول مع ماكس ووضعا بـــرنامج عمل يتمكن بواسطته من تمضية عشرة أيام على الأقل مع كل واحد من الاثني عشر.

"لديـــنا بالـــتحديد مئة وثلاثون يوماً، من ضمنها اليوم"، أشار إيـــرول، "إذا أمضيتَ عشرة أيام أو أحد عشر يوماً مع كل منا، يكون أمامـــك وقـــت كافٍ للجميع. يجب علينا حجز رحلتك على الفور، ويجـــب علينا تشاطر خط الرحلة التي سيختارها كل منكم للعودة إلى تلـــك الأماكن حيث توجد فرصة كبيرة للعثور على القيمة الأسمى".

وعرض بعد ذلك تسديد نفقات الرحلات.

"أنــت شــديد الــسخاء، يا إيرول"، قال ماكس ذلك شاعراً بالارتــياح مــن التحرر من عبء التكلفة، "لا أعرف كيف كان في إمكاننا تدبّر الأمر من دونك".

"تنفــيذ مهمتنا لا يقدَّر بثمن"، قال إيرول بصوت كئيب، "ربما كانــت الرسالة التي سلّمني إياها المبعوث الثالث عشر الأكثر ترويعاً. قــال إن العــالم لن يدخل مرحلة التبدل المقدَّر حدوثها إذا فشلنا في العودة مع القيمة الأسمى. لن نهلك على الفور إذا فشلنا، ولكن الفوضى العارمــة - التآكل البيئي، العنف والحروب، الفقر، الجشع، والخوف الــذي ســاد إلى حدّ كبير في القرنين العشرين والحادي والعشرين - ستتواصــل حتى يُدخل الكوكب نفسه في فترة من الرقود يقوم خلالها البــشر بــتدمير أنفسهم في نهاية المطاف. سيؤدي هذا الأمر إلى ستة وعــشرين ألــف عام من الظلمة قبل انبثاق البشر من جديد لإصلاح الضرر الذي أُحدث".

"لم يشاطرني المبعوث مع سي. دي. النتائج المروّعة للفشل". قال ماكس مقاطعاً.

"لمــاذا عليه القيام بذلك؟"، سأل إيرول، "فسي. دي. هو البريء الحقيقــي بينــنا. إذا كان عليه العثور على القيمة الأسمى، فمن خلال الجاذبــية البحتة لشخصيته. وقيام القيمة الأسمى بالعثور عليه هو الأمر الأكثر احتمالاً.

إذاً، لا يحتاج سي. دي. إلى حافز إضافي. لذلك، أقترح أن نتدبّر أمر سفرك بحيث يكون سي. دي. برفقتك في المرحلة النهائية. يُفترض بــك الــبدء بخوان، كما أظن، لأنه قريب من الأماكن المبجَّلة هنا في شياباس ومن مواقع أخرى ربما في المكسيك وغواتيمالا. بعد ذلك، ضع خططاً للسفر مع آلن وتشيل إلى كاليفورنيا.

دعـــني أتحدث إلى الآخرين للتحقق من المواقع التي سيختارونها، فأتمكن من القيام بالتدابير الضرورية لأجلك".

* * *

كما ثبت في النهاية، لم يكن ماكس بحاجة إلى الأيام الأحد عشر بأكملها للسفر مع خوان.

لقد سبق لخوان أن زار تشيكن إيتزا، والأهرامات الأكثر تبجيلاً في شـــياباس ويـــوكاتان، وبعض الواحات العجيبة المخبّأة في البراكين المحـــيطة بإيزابا. كانا يتنقلان أحياناً سيراً على الأقدام مع والد خوان، مانويل، الذي رافقهما طوال الرحلة.

وبما أنهم لم يكونوا يعرفون بالتحديد ما الذي يبحثون عنه، كانوا طوال الوقت متيقظين لأي إشارة أو طاقة لا يمكن تفسيرها، أو شخص قال أمراً ما أو قام بأمر ما خارج المألوف.

لقد تعاضدوا ولكنهم لم يعثروا على القيمة الأسمى. وخبر ماكس غرابة البراكين، وشعر بحضور عبق الحياة القديمة عند أسفل الأهرامات، ولكن أحداً لم يبدُ أنه مرشح محتمَل.

وعـــاد ماكس إلى دانا بوينت وعلم أن الطبيب آلن أمضى شبابه في أوهايو بالقرب من العديد من التلال الصغيرة حيث دُفن الأميركيون الأصليون القدماء. والطبيب آلن متسلّق جبال أيضاً، وزار برفقة ماكس العديد من القمم خارج أسبن، كولورادو، حيث أمضى فصول الشتاء وبعض فصول الصيف في صباه. ولكن، بالرغم من تمضية الأيام الأحد عـــشر في كولـــورادو، وأوهايو، وأنحاء أخرى من الغرب الأوسط، لم يجدوا أي أثر للقيمة الأسمى.

وبما أن الطبيب آلن أسرّ لماكس أنه شاهد يوفو منذ عدة سنوات في مـــسقط رأســـه في ولاية أوهايو، كان يعتقد أن القيمة الأسمى قد

تكون كائناً من عالم آخر. ولكن ذلك لم يقدّم أي مساعدة، لقد استمرا في عدم معرفة ما الذي يبحثان عنه.

وتدبّر ماكس أمر لقاء تشيل في فندق غراند كانيون في أريزونا. لقد شعر تشيل بفرح كبير عندما زار متنزهات طبيعية كان قد زارها في صباه، ظنّاً منه أن القيمة الأسمى قد تعود إليه في مكان مماثل يتمتع بجمال طبيعي.

من غراند كانيون، انطلقا إلى جانب يلوستون، ومن ثمّ عادا إلى الشواطئ الكاليفورنية البعيدة على امتداد بيغ سور، وسط أشجار السَكوية الحمراء، وقصدا يوزميت أخيراً.

كان يومهما الأخير معاً، وكانا يعبران موقع التخييم الخاص بهما عندما رأى تشيل رجلاً ملتحياً، غريب المظهر، يشوي نقانق على مسافة بعيدة من المخيِّمين الآخرين، وذا شعر أبيض أشعث، ولحية طويلة بيضاء، ويرتدي جينزاً وقميص فانلّة للعمل. كان يتحدث إلى نفسه بصوت مرتفع وبطريقة غير منتظمة.

لقد تمثّل انطباعهما الأول بكون الرجل مجنوناً أكثر منه متنوّراً. ومن جهة أخرى، ونظراً إلى أنهما أمضيا أحد عشر يوماً في البحث عن القيمة الأسمى من دون وجود أي بصيص أمل، واعتقادهما القوي أن القيمة الأسمى قد تكون الفادي في الواقع، دنوَا من الرجل.

وفي أثناء اقترابهما، كان هناك أمر مألوف لدى الرجل، فشعر ماكس بصدمة كبيرة و لم يصدّق ما شاهدت عيناه.

إنه لويس.

لم يرَ ماكس شقيقه منذ أكثر من عشرين عاماً، و لم يكن يملك أي فكرة عما إذا كان لا يزال على قيد الحياة.

فرفع لويس نظره وقال.

"حسناً، حان وقت ظهورك".

ظـــنّ ماكس لوهلة - وبخلاف كل الاحتمالات - أن لويس قد يكون في الواقع القيمة الأسمى. ولكنه تذكر مدى عنف لويس في معظم مراحل حياته، وتمنّى بحرارة ألا تتخد القيمة الأسمى شكلاً مماثلاً.

ومن جهة أخرى، لم تكن لتشيل فكرة عن سلوك لويس، ولكنه أصـــرّ على احتمال أن يكون هو القيمة الأسمى التي يبحثون عنها حتى بعـــد أن عرّفه ماكس إليه. وجلسوا إلى طاولة النـــزهة بجانب المِشواة وتـــشاطروا النقانق الساخنة، والرقاقات، وشراب الشعير الذي أحضره لويس معه.

في أثـــناء العشاء، وبينما كان ماكس جالساً بهدوء يراقب، تطرّق تـــشيل إلى مغامرتهما في إيزابا وإلى مهتمهما المتمثلة بالعثور على القيمة الأسمـــى. فلم يتفاجأ لويس بالقصة، ولكنه حدّق إلى ماكس بنوع من الحسد والكره الدفين اللذين لطالما أبداهما لدى تحقيق شقيقه إنجازاً ما.

فـــشعر مـــاكس بعدم ارتياح متزايد، واقترح على تشيل المغادرة قائلاً إنه يتعيّن عليه لقاء الدب الراكض في وقت لاحق من ذلك المساء لمواصلة البحث.

لدى سماع ذلك، نظر لويس إلى ماكس وقال:

"لن تعثر أبداً على القيمة الأسمى ما لم تصطحبني معك. سأوضّب أغراضي وأكون مستعداً للذهاب بعد قليل".

فشعر ماكس بقلق فوري وقال بسرعة:

"ولكـــن لا وقـــت لديـــنا لاتخاذ التدابير المناسبة. ولا مال لدينا لذلك".

"*المـــال!*"، صاح لويس، "إنه كل ما اهتممتَ به وكل ما اهتم به والدنا يوماً". فجأةً، بدا الأمر كما لو أن خمسين عاماً تلاشت.

فدفع لويس ماكس بقوة، وبدأ بخنقه بكل قوته الجنونية التي يمتلكها منذ صغره. ولكن كان هناك ثلاثة أسابيع متبقية ليحتفل بذكرى مولده الخامسة والستين. وبالرغم من الاندفاع الفجائي للأدرينالين الذي أمّن له السيطرة على شقيقه، لم يدُم اندفاع نشاطه أكثر من دقيقة واحدة.

وتمكن تشيل الذي يبلغ طوله ستّ أقدام ونصف، وفي حالة جسدية ممتازة من إبعاد لويس عن ماكس وكبح جماحه. وسمع مخيِّمون آخرون الفوضى وأسرعوا لتقديم المساعدة.

فاستُدعي أحد حراس المتنزه، واعتقلت الشرطة المحلية لويس بسبب الاعتداء الذي قام به. وبالرغم من ألم عُنُقه، لم يُصب ماكس بأذى. وشكر تشيل لإنقاذه، وغادرا.

وبعد وقت قليل، ذهب كل منهما في طريقه، وواصل ماكس مخططه للقاء الدب الراكض في ذلك المساء.

* * *

انضم الدب الراكض إلى ماكس في كوخ في يوزميت، وبدأا رحلة حملت ماكس إلى المواقع الهندية القديمة المنتشرة في كل مكان من مونتانا وكندا. ولكن، وبالرغم من قدرة الدب الراكض على التواصل مع القيمة العظمى، لم يكن هناك ما يشير إلى وجودها.

كان شو صن باك الشخص التالي الذي سافر معه ماكس وفقاً للجدول الموضوع، فالتقيا في فانكوفر. وبتنقلهما على امتداد شاطئ كولومبيا البريطانية، زارا أماكن جميلة، ولكن شو صن باك اعترف أنه إذا أراد العثور على القيمة الأسمى فإنه سيجدها على الأرجح في الصين لأنه وطنه الحقيقي، والوطن الحقيقي لذكرياته الأكثر تبجيلاً.

هكـــذا، عبرا المحيط الهادئ، وهبطا في بكين. ولكن لم يكن هناك ما يشير إلى وجود ضالّتهما بالرغم من زيارتهما للسور العظيم والقرية الصغيرة النائية حيث وُلد صن باك.

من الصين، طار ماكس إلى اليابان مباشَرةً للقاء يوكو.

فـــسافرا معاً إلى هوكايدو، ونيكو، ومواقع مبجَّلة عديدة أخرى كان ماكس قد زارها في أثناء تصوير فيلم *البحث عن ألغاز قديمة*، ولم يجدا أي أثر للقيمة الأسمى.

بعـــد ذلك، غادر ماكس إلى فيتنام. فاصطحبت ميلودي جدتها معهمـــا لمساعدتهما على تحديد مكان القيمة الأسمى في أرض أسلافها المبجَّلة. لقد أُطلعت جدة ميلودي على قصة الاثني عشر، ولم تبدُ عليها الدهشة بل الفخر لأن حفيدتها ستكون جزءاً من أمر هام جداً.

ومـــع ذلـــك، فقد بكت في أثناء تجوالها في الريف الجميل الذي أمضت صباها فيه. وبالرغم من زيارتهم أكثر من عشرين موقعاً مُبجَّلاً وقرية في مختلف أنحاء البلد، ثبت أن رحلتهم كانت بلا جدوى.

فشعرت ميلودي بخيبة أمل كبيرة بخلاف جدتها.

"يكفـــي أنـــنا بحثنا عن القيمة الأسمى في أرضنا المُبجَّلة"، قالت، "فالقـــصد يكون أحياناً بأهمية النتيجة المبتغاة. كان قصدنا طاهراً ولا شك في أنه سيساعد الآخرين على إتمام بحثهم عن القيمة الأسمى".

وأدرك مـــاكس بعـــد ذلك أن هذه المرأة تعتقد بمهمتهم من كل قلبها، وقد منحه ذلك أملاً جديداً.

ثمّ أضافت قائلة: "أنا على ثقة تامة، أن القيمة الأسمى ستظهر على صورة مبعوث. فظهور القيمة الأسمى وارد في معتقَد تبنّته عائلتنا طوال قرون إضافةً إلى توقعات بحلول نهاية الأزمنة.

الفصل الحادي والثلاثون

حب دنيوي

تشرين الثاني/نوفمبر 2012

من فييتنام، طار ماكس إلى ليما، البيرو، وبعد ذلك إلى تروجيلو حيث التقته ماريا وابناها الأكبر سنّاً في المطار.

فعانقت ماريا ماكس بحرارة، وتذكّر كم كانت جميلة عندما التقيا للمرة الأولى قبل أربعين عاماً تقريباً.

فعاد ماكس خطوات قليلة إلى الوراء ونظر إليها في أثناء تعريفه إلى ابنيها أندرياس وسيباستيان، فرأى امرأة لا تزال تحتفظ بجمالها، ونعومتها، ودرايتها، إضافةً إلى جاذبيتها.

"وصلتَ في يوم مميّز جداً"، شرحت بفخر متّقد، "تحتفل ابنة سيباستيان الكبرى، ريناتا، اليوم بذكرى مولدها الخامسة عشرة. ستحتفل كل العائلة معها في منزلي، لذلك سيتسنّى لك لقاء كل أفراد عائلة توكانو مرة واحدة... أعلم أنك مرهَق من الرحلة الجوية"، أضافت، "سيصطحبك أندرياس إلى فندقك، في حين أقوم وسيباستيان بالإعداد للمناسبة الاحتفالية. سيعود أندرياس لاصطحابك من فندقك عند السادسة من هذا المساء. لا شك في أننا سنحتفل طوال الليل، لذلك خُذ قسطاً من الراحة". وضحكت في أثناء طبع قبلة على خد ماكس، وعانقته بسرعة.

في السيارة، وجد ماكس سهولة في التحدّث إلى أندرياس الذي شعر بالفضول لسماع كيفية التقاء ماكس ووالدته قبل ولادته بمدة طويلة. لم يسبق لوالدته أن حدّثته عن الأمر، ولم يكن يملك أي فكرة عن وجوده حتى قيام ماكس بالاتصال ودعوتها إلى الانضمام إليه في إيزابا.

ونظراً إلى سلوك الشاب المتساهل، قرر ماكس الانفتاح عليه وإخباره كل القصة.

لمَ لا، قال في نفسه. *أسوأ ما سيحدث هو أنه سيعتبرني الصديق الأميركي المخبول لوالدته.*

ولكن أندرياس لم يتفاجأ عندما أُطلعَ على ما جرى في إيزابا وظهور المبعوث الثالث عشر.

"وصفت لي والدتي ما صادفتْه وقالت إنك ستأتي لمساعدتها في البحث عن القيمة الأسمى. إنها والدة مذهلة، وأصدّق كل كلمة تقولها. لا أعرف إذا كانت من سيعثر على القيمة الأسمى". أضاف ذلك مبتسماً، ملقياً نظرة سريعة على ماكس. "ولكنني سعيد بقدومك وإدخال هذه المغامرة إلى حياتها. كانت مغرَمة جداً بوالدي، وعندما توفّي فجأةً، دخلت في حداد عميق. ولم تبدأ بالضحك والابتسام مجدداً حتى الآن. سيكون من الرائع لها أن تسافر معك وتزور مجدداً الأماكن التي زارتها في شبابها".

ولدى ذكر زوج ماريا، شعر ماكس بالفضول.

"حسناً، والدتك امرأة مميَّزة جداً"، قال، "وأنا على ثقة من أن والدك كان رجلاً مميَّزاً جداً. آسف بسبب وفاته في سنٍّ صغيرة".

"أجل، والدي كان رائعاً"، قال أندرياس، "كان مُعيلاً رائعاً ورجلاً مُحباً للمرح. لقد أسعد والدتي كثيراً وكان يمازحني وأشقائي على الدوام. إن الأحفاد يفتقدونه أيضاً، ولكننا على درجة كبيرة من السعادة لأنه دخل

حياتنا. سترى في الحفلة هذا المساء مدى حيوية عائلة توكانو. والدي متحدّر من عائلة كبيرة جداً، وسينضم إلينا أشقاؤه وأبناؤهم. سنكون أكثر من مئة شخص بالإجمال ومعظمهم من العائلة نفسها".

في تلك اللحظة، دخل بالسيارة إلى موقف فندق شيراتون حيث التقى ماكس بماريا منذ عدة سنوات، و لم يتمالك نفسه عن إلقاء نظرة سريعة على المتنزه.

"سآتي لاصطحابك عند السادسة مساءً. إليك رقم هاتفي". قال مسلّماً ماكس بطاقة تعريفية، "إذا احتجتَ إلى أي شيء، اتصل بي فحسب. سيباستيان ووالدتي يهتمان بتفاصيل الحفلة، لذلك سأكون متوافراً للمساعدة عندما تدعو الحاجة".

وخرج ماكس من السيارة، وأخذ الحارس حقيبته.

"لا، سأكون بخير"، أصرّ ماكس، "لدينا أربع ساعات تقريباً قبل اصطحابي، ويمكنني أخذ قيلولة طويلة". ودار حول السيارة، وعانق أندرياس، وشكره لحُسن ضيافته.

* * *

استسلم ماكس للنوم بعد دقائق من استلقائه على السرير.

وآخر ما فكر فيه قبل النوم ماريا الشابة التي التقاها قبل عدة سنوات، وقبّلته في المتنزه أمام نافذة غرفته في الفندق، وقالت له إنها ستحبه إلى الأبد - كما يحبها أيضاً - ولكن قدرَيهما لم يسمحا لهما بأن يكونا معاً في هذه الحياة.

ولكن ماكس أدرك عندما رآها في المطار أن ذلك الجزء منه لا يزال يحبها ويتوق إلى الحياة العائلية المسالمة التي عاشتها مع زوجها.

وليس معه.

* * *

حـــضر ماكس عدة حفلات في حياته، ولكن الحب، والضحك، والموسيقى، والاحتفالات التي أُقيمت لريناتا في *كوينسيانيرا* أذهلته حقاً.

كـــان هناك أحفاد تتجاوز أعمارهم الثلاث سنوات، إضافةً إلى مولود جديد لأحد الأنسباء، وصديقات ريناتا المقرّبات اللواتي يرتدين عـــباءات ملـــونة، وخطّاب شبان بأفضل بذلاتهم. كانت هناك عمّات وخالات، وأعمام وأخوال، وأحفادهم، وأزهار وزينة، وأضواء ملونة، وفوق كل شيء، الحب.

كـــان الجميع يرقصون ويغنّون. لقد بدا الأمر كما لو أن نصف العائلـــة موســـيقيون محتـــرفون. فغنّوا أغنيات شعبية، وأغنيات حب كلاســـيكية، وعزفوا موسيقى خاصة وضعوها بأنفسهم، بعضها كان رومانسياً وبعضها الآخر مليئاً بدعابات عن ريناتا وأصدقائها.

وكما توقعت ماريا، استمرت الحفلة طوال الليل. لقد شَووا حملاً كاملاً على سيخ معدني وأعدّوا أنواع الأطعمة اللذيذة كافة التي يمكن تخيّلها، بما في ذلك كعكة جميلة يبلغ ارتفاعها خمس أقدام تقريباً.

وتمّ تعـــريف الجميع إلى ماكس، فعانقوه وحملوه على الشعور أنه فرد من العائلة. كانت المرة الأولى منذ مغادرته إيزابا التي ينسى فيها في الواقع بحثه عن القيمة الأسمى، ويمرح. فرقص، وأكل، وشرب، وغازل الفتـــيات الكبيرات والصغيرات، ومازح الأحفاد، ووجد نفسه يمارس لعبة الكلمات والأعداد مع الأطفال.

لقـــد أبهجهم بقصصه عن الهند والبلدان النائية، ولكنه لم يتمكن من رفع أنظاره عن ماريا أيّاً تكن الأعمال التي يقوم بها.

كانـــت ترتدي فستاناً أسود متواضعاً، وأمضت معظم وقتها في اللعـــب مع الأطفال. وبقيت البسمة مرتسمة على وجهها طوال المساء تقـــريباً، وبـــدت بكامل حيويتها ونشاطها في أثناء اللعب مع أحفادها

الأصغر سنّاً لدرجة أنه يمكن للمرء أن يخطئ الظن أنها أحد الأحفاد وليست الجدة.

وقُبيل نهاية المساء - أو بدء الصباح - وبعد أن ساعد ماكس ماريا على وضع العديد من الأحفاد في السرير، التفتت إلى ماكس وشكرته.

"غداً، حسناً، أظن، اليوم في الواقع، وبالرغم من تأخر الوقت، سننام في وقت متأخر، وسأمرّ بك لاصطحابك من الفندق، وسنطير إلى أريكويبا. من هناك، سنذهب إلى كوزكو، وماتشو بيتشو، وبونو، وكوباكابانا، وبحيرة تيتيكاكا. لقد كانت الرحلات الأكثر تبجيلاً التي قمت بها في شبابي، والأماكن التي يُحتمل أن نجد فيها ما نبحث عنه".

"لقد زرت تلك الأماكن أيضاً، بفضل عملي في الأفلام"، قال، "الآن، أريد أن أشكرك مجدداً على الليلة. لقد كانت استراحة ممتعة في أثناء البحث. لم يسبق لي أن شعرت بهذا الكمّ من الحب في منزل واحد. إن مشاهدتك مع أحفادك والعائلة بأكملها أمر مميَّز جداً".

"لا، أنا من يجب أن أشكرك"، أصرّت ماريا، "لقد جاء اتصالك في أفضل مرحلة من حياتي. في إيزابا، لقد شعرت مجدداً بوجود غاية سامية لحياتي. لقد عشت حياة رائعة، ولكنني أشعر أن حياتي تبدأ مجدداً".

بعد ذلك، رافقته إلى الباب الأمامي للمنزل.

"هناك سيارة أجرة في انتظارك لتقلّك إلى فندقك. تقلع رحلتنا الجوية عند الواحدة من بعد الظهر، وستكون لنا فرص عديدة لتبادل أطراف الحديث في أثناء الرحلة. لم تتسنَّ لي الفرصة في إيزابا لسؤالك

عـــن حياتك وعائلتك بسبب وجود ذلك العدد الكبير من الأشخاص. أتطلّع إلى معرفة المزيد عنك في أثناء هذه الرحلة".

* * *

بحث ماكس وماريا عن القيمة الأسمى في الأيام العشرة التالية من دون تحقيق أي نجاح.

كـــان ماكس قد حجز غرفتين منفصلتين في كل فندق، ولكنهما اكتشفا أن الحب العميق الذي جمعهما في بادئ الأمر منذ عدة سنوات لم يمـــت أبـــداً. وكـــونهما بمفردهما وبمعزل عن أي إلهاء، لم يتمالكا نفسيهما عن الوقوع في الحب مجدداً.

لقـــد دخـــلا في إيقاع طبيعي جعل السفر ممتعاً وخالياً من أي عناء. لقد استمتعا بإخبار قصص لبعضهما بعضاً، وإبداء ملاحظات، ولقـــاء عـــدد كـــبير من الأشخاص. وعلى متن القطار إلى بونو من أريكويبا، لعبا الورق، وصُدم ماكس برؤية مدى تنافسية ماريا، علماً أنه لم يكن يبدو عليها التركيز على اللعب والرغبة في نصب الشرك له والتغلب عليه.

وفي أثـــناء تـــوجههما إلى ماتشو بيتشو سَيراً على الأقدام، أخذ ماكس بيد ماريا بلطف لمساعدتها على عبور بعض الأجزاء الوعرة من الـــدرب. لم يـــصدّق الانفعال الكبير الذي انتابه بسبب لمسة عرَضية، وكانت الرغبة لا تزال موجودة وقد امتدت عبر جسده وعقله.

عندما وصلا إلى كوباكابانا، كان ماكس يمسك بيدها كلما كان هناك عذر للقيام بذلك. لم يستطع رفع يديه وأنظاره عنها.

ولكـــن ماريا استمرت في التركيز... والبحث. أخيراً، وفي اليوم الأخير من بحثهما على جزيرة صغيرة في بحيرة تيتيكاكا، أقرّت ماريا أنها أُغرمت ذات مرة بماكس.

"أشعر بالخيبة لأننا لم نعثر على القيمة الأسمى"، اعترفت، "لقد اعتقدتُ أننا سننجح في العثور عليها اليوم على هذه الجزيرة. ذُكر في إحدى أساطيرنا أن عصر الروحانية الأنثوية سيبدأ هنا تماماً في بحيرة تيتيكاكا، وفي هذا الوقت بالذات. كان أسلافي الإينكا يعتقدون أن فيراشوشا خرجت من هذه البحيرة وعادت إليها. أنا على ثقة تامة أن معظم أسلافي يعتبرون فيراشوشا الكائن الأسمى. ومن المأمول أن تظهر لنا اليوم".

فابتسمت ونظرت إلى عينَي ماكس وأضافت:

"ولكن في الواقع، لا أشعر بأي خيبة. عندما التقيتك في المرة الأولى، علمتُ أنك ستكون حب حياتي على مستوى روحاني ما. بالنسبة إليّ، لم تنتهِ أبداً تلك اللحظة الفاتنة التي تشاطرناها في المتنزه في تروجيلو. لقد أحببت زوجي والعائلة الرائعة التي كوّناها معاً، ولكن جزءاً مني لم يتوقف أبداً عن حبك. أحبك الآن، وبخلاف الظروف التي كانت سائدة عندما التقينا، لا أرى أي سبب لعدم اتّباع قلبَينا".

ورفعت ماريا يدَي ماكس وطبعت على شفتَيه قبلةً ردّها عاطفةً قوية ورقّة نقلتاهما في الزمن إلى الوراء إلى أماكن قُدِّر لهما التواجد فيها قبل سنوات وفي المستقبل. وبدت القبلة لامتناهية، ولكن ماريا ابتعدت عنه بلباقة ما إن لامست الدموع السائلة من عينَي ماكس وجنتَيها.

"إنها دموع الفرح، يا حبي"، قال، "لقد حلمت بهذه اللحظة طوال حياتي. لا يمكنني أن أصدّق بعد كل هذه السنوات أنني عثرت أخيراً على حبي الدنيوي الحقيقي. بطريقة ما، كنت أشعر على الدوام بالانجذاب إليك وبالأمان. وبرؤيتي لك مع أبنائك وأحفادك، وتفانيك واهتمامك بهم جميعاً، أكد شعوري الداخلي أن البقاء معك في الأبدية سيكون أكبر مكافأة لي في الحياة".

فابتسمت له.

"يا ماكس، لقد عرفتك وأحببتك. لا أستطيع مقاومتك، وأعتقد أننا سنبقى معاً بقية حياتنا. ولكن يجب عليك في هذه اللحظة الاستعداد للتوجه إلى بونو على متن القارب، ومن ثم على متن القطار والطائرة للعودة إلى بقية الاثني عشر الذين يجب أن تواصل معهم البحث عن القيمة الأسمى".

وشرع ماكس بالضحك بمزيج من الارتياح والسرور.

"أجل ولكنْ، هناك الآن سبب أكبر للعثور على القيمة الأسمى وضمان عدم قيام هذا الكوكب بتدمير ذاته بسبب حالات الفوضى وغياب الحكم. سأراك في إيزابا بعد أكثر من شهر. وعندما يتم العثور على القيمة الأسمى، سنضع خططاً في 22 كانون الأول/ديسمبر حول تمضية بقية حياتنا بنعيم وحب".

وابتسم ماكس في أثناء تقبيل ماريا مرة أخيرة، واستعد لمواصلة بحثه.

الفصل الثاني والثلاثون

عقبات

تشرين الثاني/نوفمبر - كانون الأول/ديسمبر 2012

إن مستقبل ماكس مع ماريا منحه زَخماً جديداً. يجب عليهما النجاح وإلا ذهبت أحلامهما سدى.

وواضعاً ذلك الهدف نُصب عينيه، هبط في لندن حيث التقاه يوسكي.

كان يوسكي قد أمضى بعض أفضل سنوات شبابه في إنكلترا، مشاركاً في إعداد أفلام في ستونهنج، وغلاستنبيري، وجزيرة إيونا، وغلندالو في تلال ويكلو جنوب دابلين، والعديد من المواقع المبجَّلة نفسها التي زارها ماكس في أثناء استكشاف المواقع لتصوير فيلم *البحث عن ألغاز قديمة*. كانت جولتهما على هذه المواقع بالتنسيق مع عامل فندق كلاريدجز بمثابة زوبعة من النشاط، ولكنها لم تُسفر عن أي شيء.

وبعدم عثورهما على أي أثر للقيمة الأسمى في الجزر البريطانية، انتقل يوسكي وماكس إلى ألمانيا حيث استكشفا الغابة السوداء والعديد من القلاع الألمانية القديمة.

ولكنهما لم يجدا أي أثر له، وبدأ ماكس بالقلق. فما بدا أنه أمر أكيد غدا أشبه ببحث أخرق.

لا يمكنني التفكير بهذه الطريقة، قال في نفسه بصرامة. سننجح.

وسافرا من ألمانيا إلى فرنسا، وتوقفا في لورد، وفي مواقع قديمة في بـروفانس، وأكملا طريقهما إلى شمال إسبانيا حيث كانت لكل منهما في شـباهما خـبرات كبيرة بالكهوف التي تعود إلى ما قبل التاريخ في سانتينالا دل مار خارج سانتاندر.

وبعـد أكثـر من أسبوع أمضياه بالسفر، زارا أكثر من عشرين مـوقعاً مبجَّلاً، ومع ذلك، لم يكن هنالك أي دليل على وجود القيمة الأسمى.

لذلك، عاد يوسكي مع ماكس إلى مسقط رأسه في القدس حيث استكـشفا المدينة القديمة، وأريحا، وماسادا، وبيت لحم، والبحر الميت، والجليل.

ولكنهما لم يجدا شيئاً. كان قد مضى مئة يوم تقريباً عندما وصل إلى اسطنبول للقاء إيرول.

"يـا ماكس، يجب أن تلزم الهدوء، من الممكن دائماً العثور على القـيمة الأسمى في اللحظة الأخيرة"، طمأنه إيرول، "ومع ذلك، يجب علينا التحرك قدُماً كما لو أنها ستظهر في أي لحظة. سنقوم أولاً بزيارة سريعة إلى اليونان التي زرتها عندما كنت فتى، وسأُريك الجمال الحقيقي للعالم في وطني تركيا".

ثم أضـاف قائلاً: "تركيا هي الأكثر تبجيلاً بين كل الدول. فإذا اخـتارت القـيمة الأسمى الاستمتاع بحياتها يتعيّن عليها العودة بمظهر تركـي. سأُريك مواقع لم تحلم بها أبداً، وجمالاً لا يدركه العقل، بما في ذلك الموقع الذي عُثر فيه على سفينة نوح. أعرف كل بوصة على هذه الأرض، وقـد اتخـذت بعض التدابير لزيارة هذا الموقع ضمن الوقت المحدَّد".

وبالرغم من حماسة صديقه التي لا تفتر، وجمال وطنه التركي، لم يُسفر بحثهما عن أي شيء.

* * *

من اسطنبول، طار ماكس إلى النيبال للقاء الريبونش، وتوجها إلى الأديـــرة حيث يُعتقد أن البوذي نفسه ليس سوى تجسّد مبجَّل لمعلّميه القدماء.

وأكمـــلا طـــريقهما إلى الغابات التي كدّ فيها الريبونش في أثناء سجنه في معسكر الأعمال الشاقة، ولكن لم يجدا أي أثر للقيمة الأسمى بالرغم من الضباب الغريب والهدوء اللذين رافقاهما طوال أيام.

وعـــندما ودّع مـــاكس الـــريبونش، كان كلاهما يعلمان أنهما سيجتمعان مجدداً بعد اثني عشر يوماً في إيزابا. كان قلق ماكس قد بدأ بالظهور، وحاول الريبونش طمأنته.

"لا تقلـــق"، قال، "أنا على ثقة تامة أن طاقة القيمة الأسمى ترافقنا الآن، أستطيع الشعور بذلك. أعلم أننا لم نعثر عليها بعد بشكل مباشر، ولكن القيمة الأسمى تنتظرك بالتأكيد في الهند مع سي. دي.

رافقتك السلامة، وسنجتمع قريباً.

* * *

طـــار مـــاكس مباشَرةً من التيبت إلى دلهي حيث علم أن شيلبا وســـي. دي. خططا لبدء رحلاتهما الداخلية في الهند بدءاً بلِه في أعالي الهملايا ومروراً بالتيبت في طريق عودتهما.

في لِه، زاروا ديراً قديماً حيث درست شيلبا في صِغرها وحصلت علـــى إجـــازة صيف طويلة لدى ولادة سي. دي. فالدير هو المكان الأكثـــر تبجيلاً في كل الهند، وهناك شائعات تفيد أن الفادي نفسه زاره.

فظـــنت شـــيلبا أنه قد يكون مكان إقامة القيمة الأسمى، ولكنها كانت مخطئة.

من لِه، شقوا طريقهم بالسيارة عائدين إلى سريناغار. كان كانون الأول/ديـــسمبر قد انتصف ووجدوا صعوبة في التغلب على الثلوج في الممـــرات الجبلية. وبالرغم من ذلك، لم يتمكنوا من العثور على القيمة الأسمـــى في ســـريناغار، فطاروا إلى ريشيكيش على نهر الغانج حيث أمضى سي. دي. عدة فصول صيف في صباه مع أحد أعمامه.

كانـــت ريـــشيكيش طـــريقاً مسدوداً على غرار كل الأماكن الأخـــرى، وحلّ الثامن من كانون الأول/ديسمبر؛ موعد الرحلة الجوية للعودة إلى مكسيكو سيتي ومن ثم إلى إيزابا.

* * *

بعد الشروع بالبحث بتفاؤل وحماسة كبيرين، تفاجأ ماكس بهذا الفـــشل الواضح. لقد كان سي. دي. أمله الكبير، ومع ذلك لم تُظهر القيمة الأسمى نفسها للهندي الشاب أو لأيٍّ منهم.

ولكـــنه رفض الاستسلام. لقد تبقّى يومان على موعد اللقاء ولا يزال هناك أمل حتى الحادي والعشرين من كانون الأول/ديسمبر.

يجب الاحتفاظ بالأمل! قال ماكس في نفسه بانفعال.

وحصل على جهاز كمبيوتر. ففي أثناء رحلته الطويلة إلى التيبت والهملايا، لم يلج الإنترنت و لم يتمكن من استخدام هاتفه الخلوي.

ربما ظهرت القيمة الأسمى لعضو آخر من الاثني عشر.

* * *

لكنها لم تظهر لأي عضو آخر.

وحان الوقت للعودة إلى إيزابا – مع القيمة الأسمى أم من دونها – والالتقاء مجدداً بالمبعوث الثالث عشر.

حيـــنذاك، يعلمون ما المقدَّر حدوثه في ذلك اليوم المشؤوم عندما تنقضي روزنامة المايا، إضافةً إلى العديد من الروزنامات الأخرى.

وفي إطار بحثه عن نهاية محتمَلة لهذا الوضع، أمضى ماكس عدداً لا يُحـــصى ولا يُعَـــدّ مـــن الساعات منكبّاً على كتاب الأرقام الخاص ببـــي. أن. وذلك في أثناء مكوثه في الهند وعلى متن الرحلة الجوية من نيودلهي إلى مكسيكو سيتي.

فاتضح له أن 21122012 هو الجواب. إنهما الرقم 11 والرقم 2 اللـــذان يمـــثّلان بداية ونهاية. ويشير الرقم إلى النور والظلمة ويتضمن مجموعات مختلفة غير محدودة من الأرقام الأولية وغير الأولية.

لقد تمّ اختبار مهارات ماكس الاستثنائية في الرياضيات على نحو غير مسبوق، وبدا الرقم 21122012 كما لو أنه يتوسل تفسيراً بشرياً يختلف مع اختلاف الشخص الذي يُجري العمليات الحسابية.

ولكنه لم يعثر على ذلك التفسير بالرغم من محاولاته العديدة.

* * *

عندما وصل ماكس وشيلبا وسي. دي. إلى الفندق في تاباشولا، كان الوقت متأخراً في مساء العشرين من كانون الأول/ديسمبر، وكان بقية الاثني عشر مجتمعين بترقّب، آملين استقبال القيمة الأسمى. وماريا هـــي أول من رحّب بماكس، ولكنها تراجعت لتمنحه الوقت للكلام عندما رأت التعبير على وجهه.

لقد شعروا بالإحباط بعد إخبارهم أنه قدِم مع سي. دي. وشيلبا فقط.

"كيف يمكن حدوث ذلك؟"، قالت ميلودي بحزن، "كنا على ثقة أنـــك وســـي. دي. ستعثران عليه، أو عليها. ماذا سيحدث لنا وماذا سيحل بالعالم عندما تنقضي الروزنامة عند غروب الشمس غداً؟".

فقال ماكس إن العديد من الآخرين يشاطرونها يأسها. فهذه المهمة المبهَمة تطلبت ثقة كاملة بعملية الكشف عن القيمة الأسمى.

كان كل من الاثني عشر قد دخل في ما يمكن أن يكون المغامرة الأخيرة على الأرض بحماسة ويقين أنهم سينجحون في مسعاهم.

ومع اقتراب الموعد وعدم ظهور القيمة الأسمى بعد، بدأت مخاوفهم بالازدياد.

"يجب علينا ألاّ نرتاب بمصائرنا"، طمأنها إيرول، وطمأن كل المجموعة، "لقد بحثنا بقلوب منفتحة وبذلنا قُصارى جهدنا لتلبية طلب المبعوث الثالث عشر. وسنكافأ بالتأكيد. سيكون يوم غد مليئاً بالأحداث، وقد يكون اليوم الأخير على هذا الكوكب بحلّته التي نعرفها. لنسترِح جيداً في انتظار التحديات. لقد أمّن لنا الدب الراكض وخوان ومانويل مكان لقائنا بجانب الكهف. سنلتقي هناك عند الرابعة في حين أن الشمس تغرب عند الخامسة ودقيقتين، وهو موعد حدوث الانقلاب الشمسي وانقضاء روزنامة المايا. لذلك، ناموا جيداً هذه الليلة، ولا تقلقوا. يجب أن نثق بحكمةِ كَونٍ جمعنا كلنا لهذه اللحظة الخاصة في هذا المكان الخاص".

* * *

مُنهَكاً بسبب أسفاره ومحاولاته الفاشلة لحل الرموز الموجودة في كتاب الأرقام الخاص ببي. أن. نام ماكس حتى الظهر تقريباً.

وعندما استيقظ، وجد أنه يوم مشمس، فقرر السباحة في المحيط الهادئ القريب، لأنه قد يكون آخر يوم على الأرض. فوجد الطبيب آلن يُنهي تناول الفطور في وقت متأخر، واقترح الذهاب بإحدى عربات النقل إلى الشاطئ.

كـــان آلـــن قد اصطحب معه لوحات ركوب الأمواج ولوحة إضافية لماكس لاختبار الأمر.

"لم يـــسبق لي أن ركبت الأمواج"، اعترف ماكس، "من الغريب أن أتلقـــى درســـي الأول في الـــيوم الـــذي قد يكون الأخير لنا على الأرض".

أجـــاب الطبيب آلن: "حسناً، عندما أركب الأمواج، أشعر أنني أكثـــر إيمانـــاً مما كنت في أي يوم مضى. إذا كان اليوم سيشهد نهاية الزمن، فركوب الأمواج هو الأمر الوحيد الذي أرغب في القيام به".

قال: "إذاً، لنذهب!".

فوضـــعا لوحَي ركوب الأمواج في عربة النقل. وفي طريقهما إلى الـــشاطئ، اعترف آلن أنه لا تزال لديه شكوك حيال التوقّع بالرغم من مـــصادفة المـــبعوث الثالث عشر، ولم يكن يعتقد أنه سيتم العثور على القيمة الأسمى.

ولكن لم يكن في الإمكان تجاهل الاختبار بسبب فرادته.

وفي أثـــناء تـــوجههما إلى الشاطئ، لاحظ ماكس وجود سيارة تـــشفي قديمـــة، بنية اللون، ومتهالكة تتبعهما، ولكنه فقدها بعد مدة قـــصيرة ولم يعد يفكر فيها. وعندما بلغا الشاطئ، لم يكن هناك سوى سماء زرقاء وأشعة شمس.

فـــسلّمه الطبـــيب آلن لوحة لركوب الأمواج، وسرعان ما جثم ماكس وسقط، وعاد للوقوف والسقوط مجدداً.

أخيراً، تمكن من جلوس القرفصاء على اللوحة، وما لبث أن اعتلى مـــوجة صغيرة. كان انتصاراً مغموراً بالغبطة لم يدم سوى مسافة يارد واحد أو ياردين قبل أن يفقد اتزانه ويسقط في الموجات الخفيفة.

فأطرى عليه الطبيب آلن بحماسة، وقال:

"تملك موهبة طبيعية، يا ماكس. لا أستطيع التصديق أنك هدرت هذا العدد الكبير من السنوات من دون ركوب الأمواج".

"لا يمكنني تصديق ذلك أيضاً"، أجاب ماكس موافقاً إيّاه الرأي، "إذا بقي العالم موجوداً غداً، فإن أحد التزاماتي سيكون تمضية مزيد من الوقت في تعلّم ركوب الأمواج".

"إنها أفضل فكرة تبادرت إلى ذهنك منذ مدة طويلة". صاح الطبيب آلن من فوق كتفه في أثناء اندفاعه نحو الأمواج. وبينما كان ماكس يتبعه، اعتلى موجة كبيرة حملته إلى الشاطئ.

واستلقى ماكس على اللوحة، متأملاً قدرة الطبيب آلن على ركوب الأمواج وبلوغ الشاطئ من دون فقدان توازنه. وعندما بلغ الشاطئ، أشار الطبيب آلن إلى الشمس، ومن ثم إلى العربة عندما بدأ بالابتعاد عن الماء.

كانت الشمس في كبد السماء، وأدرك ماكس أن الوقت قد حان للمغادرة. ولكنه أراد ركوب موجة من دون السقوط، فأومأ إلى آلن بالشروع بتوضيب الأمتعة على أن يوافيه بعد خمس أو عشر دقائق. وجثم بعد ذلك على اللوحة، ونظر خلفه مترقّباً وصول الموجة الكبيرة التالية.

وفجأةً ومن بدون سابق إنذار، شعر ماكس بيد تمسك بكاحله وتحاول إسقاطه عن اللوحة. وبعد ذلك، أمسكت يد أخرى بعُنقه وبدأت تدفعه إلى أسفل المحيط. كانت المياه بعمق ثماني أقدام تقريباً، ولكن ماكس فقد على الفور قدرته على معرفة اتجاه القعر أو الشاطئ.

وحاول التخلص من مهاجمه، ولكنه لم يتمكن من الدفاع عن نفسه وكاد يختنق. فناضل على نحو يائس وتمكن من بلوغ سطح الماء لثوانٍ وجيزة، ما يكفي لالتقاط أنفاسه، ولكنه فقد قدرته على المقاومة ودُفع إلى الأسفل مجدداً.

وبدأ يفقد وعيه.

وشعر بالضعف والعجز عن المقاومة.

وقبل أن يفقد وعيه، تذكّر ماكس كل الأوقات التي حاول فيها لويس خنقه، وحاول رؤية وجه المهاجم. كان رجلاً ذا شعر طويل ورمادي، وعينَين شريرتين لم تغب عن ناظرَي ماكس في طفولته.

ولكن لم يكن الأمر ذات أهمية، كان ماكس يغادر جسده.

فشاهد مجدداً الأسماء الاثني عشر والألون الاثني عشر، إضافةً إلى رسالة صَفح.

لا بأس... لقد بذلتَ قُصارى جهدك.

نهاية العالم ليس خطأك.

* * *

كان لويس قد وُضع في مصحة للأمراض العقلية طوال ثلاثين يوماً بعد الحادثة في متنزه يوزميت الوطني. وعندما تخلّف ماكس عن جلسة الاستماع القانونية أُطلق سراحه.

لقد سمع ما قاله تشيل عن اللقاء في إيزابا في 21 كانون الأول/ديسمبر، وما إن أُطلق سراحه حتى انطلق إلى المكسيك ووضع الفندق الحديث الوحيد في تاباشولا تحت المراقبة.

أخيراً، أثمر صبره وتبع ماكس مع رجل آخر إلى الشاطئ، وانقضّ عليه بعد مغادرة الطبيب آلن.

لقد أراد لويس التأكد من عدم تمكن ماكس من تحقيق هدفه النهائي أيّاً تكن النتائج. فتأمّل نفسه برضا وحبور في أثناء إمساكه بماكس، وكان على شفير الاختناق ولكنه لم يبالِ.

لقد رغب في الموت إذا كان ذلك كفيلاً بإخفاق ماكس.

* * *

تقبّل ماكس واقع إخفاقه في مهمته واستعد لدخول النفق الأبيض. وفجأةً، رأى ما بدا أنه الطبيب آلن يسبح باتجاه شخصين يناضلان، وابتعد عن النور.

* * *

لم يتطلب الأمر سوى لحظات لوصول الطبيب آلن، وهو سباح ماهر، إلى المهاجم الذي خارت قواه بسبب عدم تمكنه من التنفس، وكان عاجزاً عن التنفس.

وسحب آلن ماكس من قبضة الرجل وشق طريقه باتجاه الشاطئ، راكلاً مطاردهما كلما حاول الاقتراب.

لقد أدرك الرجل أنه هُزم، وابتعد في أثناء اتجاه الطبيب آلن بماكس إلى الشاطئ. وشرع على الفور بعملية إنعاش بواسطة الفم، وبعد عدة دقائق، سعل ماكس وتقيّأ كمية كبيرة من المياه المالحة التي ابتلعها في أثناء وجوده تحت الأمواج.

بعد لحظات قليلة، وقف وهو يترنّح، ولكنه، كان لا يزال حيّاً.

"من ذلك المجنون، ولماذا كان يحاول إغراقك؟"، سأل آلن، "لقد صادفتُ نازيين في ما مضى في أثناء ركوب الأمواج، ولكن لم يسبق لي أن رأيت أمراً مماثلاً. ربما أستطيع العثور على شرطي لاعتقاله. كاد يقتلك".

فأومأ ماكس إليه، طالباً منه نسيان الأمر، وشرح:

"ذلك الرجل الذي حاول إغراقي هو شقيقي. كان يفعل ما دأب على القيام به على الدوام، لا أهمية للأمر. الأمر الهام هو العودة إلى الفندق. فالآخرون في انتظارنا ويتساءلون عن مكان وجودنا. سيكون لدينا الوقت للوصول إلى إيزابا قبل غروب الشمس".

ووقف ونظر إلى منقذه ممتنّاً.

"لقد أنقذت حياتي. آمل أن يتمكن الاثنا عشر من إنقاذ العالم. علينا الاستمرار في المحاولة".

فوافق الطبيب آلن، وقاد السيارة بأقصى سرعة ممكنة باتجاه الفندق في تاباشولا. وفي الطريق، ألقى نظرة سريعة على صديقه للتأكد من أنه بخير، وكان سعيداً لرؤية اللون يعود إلى وجهه. أخيراً، وبعد لحظات قليلة من السعال، قال ماكس:

"لست واثقاً من سبب قيام شقيقي باللحاق بي ومحاولة قتلي، ولكنني أعرف أن تدخلك حال دون وقوع كارثة. فبالرغم من عدم عثورنا على القيمة الأسمى، علينا الافتراض أنها ستظهر بطريقة ما. رجاءً، لا تدع الآخرين يعلمون بشأن الهجوم. إنهم قلقون بما يكفي، ولا أريدهم أن يعتبروا ذلك نذير شؤم أو يقلقوا بشأني، في حين أنه يُفترض بهم التركيز على التضرع لظهور القيمة الأسمى".

فوافق الطبيب آلن قائلاً:

"لك ما تعتقد أنه الأفضل. صدقاً، لا أزال أجد الأمر غير معقول. فروزنامة المايا ليست سوى أسطورة أخرى كسواها من الأساطير. إنني لم أصدق أي من القصص المشابهة التي تتعلق بهذا العالم، ولا أميل أيضاً إلى تصديق قصة نهاية الأزمنة هذه. لا تُسئ فهمي، آمل حقًا في حدوث أُعجوبة اليوم. ولكن أيّاً تكن النتيجة، سأركب الأمواج غداً، وإذا ظهر شقيقك المجنون ذاك، فسيكون هو من يَغرق وليس أنت".

الفصل الثالث والثلاثون

نهاية الزمن

21 كانون الأول/ديسمبر 2012

اشـــتدت ســـرعة الهواء وازداد برودةً في أثناء شق عربات النقل طريقها إلى إيزابا.

وعندما التقى مانويل بالاثني عشر عند أسفل الجبل، وهمّوا بالسير باتجـــاه البَـــراح إلى جانب الكهف، بدأ المطر بالهطول، وغدا الطقس بارداً. وقبل بلوغ البَراح، تحوّل المطر إلى بَرَد.

لم يـــسبق أن أمطرت بَرَداً في إيزابا، ادّعى خوان. لقد بدا الأمر حقاً كما لو أنها نهاية العالم.

وســـاد التخوّف والتوجّس، حتى إن سي. دي. كان يجفل لدى تـــساقط البَـــرَد على شعره الأسود وبشرته. وعندما وصلوا إلى مكان التجمّع، كان الوقت قد شارف على بلوغ الرابعة والنصف، قبل ثلاثين دقيقة من الانقلاب الشمسي.

و لم يكن هناك أي أثر بعد للقيمة الأسمى.

كـــان الجميع يشعرون بالبرْد، لذلك دخلوا الكهف تجنّباً للمطر والجليد. وأشعل الدب الراكض النار، وكان يرتدي رداءه الاحتفالي بما في ذلـــك ريشة العقاب الموضوعة في عصابة رأسه. واحتشدوا بجانب بعضهم بعضاً حول النار ليجفّوا من البلل. ولكن الهدوء والغبطة اللذين

شعروا بهما في أثناء وجودهم في الكهف في المرة السابقة أصبحا ذكريات بعيدة.

فجأةً، توقف تساقط المطر والبَرَد، واخترقت الأشعة الأخيرة للشمس الأشجار، وساد سكون تام.

فغادرت المجموعة الكهف معاً وعادت إلى البَراح. لقد ظهر المبعوث الثالث عشر مجدداً.

وتكلم المبعوث الثالث عشر بهدوء ووضوح.

"لقد عدتم في الساعة المحددة، ولكن لا يوجد بينكم أي وجه جديد، وجه القيمة الأسمى. ماذا عن بحثكم؟".

فلم يُجب أحد. وبالرغم من مرور دقيقة واحدة من السكون فقط، بدا الأمر كما لو أنها ستدوم إلى الأبد.

وبدأت الشمس بالغوص بسرعة.

فنهاية الزمن وشيكة، لقد فشلت المجموعة.

في كبد السماء، ظهر نسر، وانقضّ وهبط على كتف الدب الراكض. وأُجفل الدب الراكض ولكنه استعاد رباطة جأشه بسرعة وقال:

"لقد قيل منذ زمن بعيد في احتفالات لاكوتا والهوبي إن إشارة بدء زمن السلام والتناغم تكون وشيكة عندما يجتمع النسر والعقاب معاً"، وأشار إلى الريشة على رأسه، "هي دلالة بالتأكيد على أننا لم نُخفق وأن القيمة الأسمى موجودة معنا في الواقع".

وبعد لحظة، سُمع صوت المبعوث الثالث عشر مجدداً.

"الدب الراكض مُحق. إن ظهور هذا النسر هو دلالة على أن القيمة الأسمى موجودة في هذه اللحظة بالذات. يجب على أحدكم في الواقع أن يكون الشخص الذي بحثتم عنه والذي يرمز إلى القيمة الأسمى".

ففاجـــأهم النبأ بأجمعهم، وألقوا نظرة سريعة على أحدهم الآخر. وقبل أن يتمكن أيٌّ منهم من التكلم، سُمع الصوت مجدداً:

"آيّـــاً تكـــن، يجـــب عليك أن تخطو إلى الأمام الآن. فالشمس ســـتغرب، ومـــا لم يـــتم الكـــشف عن القيمة الأسمى وتخليص العالم ومخلـــوقاته، فـــإن الـــتوقعات غير المرغوب فيها ستتم. سيكون مصير البشرية عصراً من الظلمة بدلاً من النور".

وتوجهت كل الأنظار إلى سي. دي. فهو الوحيد بين الاثني عشر الذي بدا خالياً من أي غرور، ولكنه لم يعرف أنه هو المقصود.

ولكن سي. دي. التفت ببساطة إلى ماكس ونظر إليه بعينَي حب.

ونظـــر مـــاكس إلى سي. دي. وفي تلك اللحظة تذكر ماكس ولادته والحب الذي حظي به منذ ولادته.

فأدرك أنه لم يُجرِ أبداً حساباً دقيقاً لتاريخ مولده وفقاً لعلم معاني الأعداد، بالرغم من كل الأرقام التي احتسبها.

وأدرك في تلـــك اللحظـــة أن تـــاريخ مـــولده - 12 كانـــون الأول/ديسمبر 1949 - يتضمن القيمة الرقمية 2012/12/12.

فاختبر مجدداً ولادته، وتذكّر للمرة الأولى من هو في الواقع.

وبينما كان يتوجه إلى وسط البَراح، شعر أنه جزء من كل ذلك وأن وعيه أعاد الصلة بكل من عاشوا على الأرض.

ورأى للمـــرة الأولى المبعوث الثالث عشر بصورته الجسدية، رآه مـــبعوثاً أميـــناً وشريكاً في المخطط الكبير الذي استُهل لخلاص الجنس البشري منذ عدة دهور، عندما شاهدوا الخيارات المشؤومة التي اتخذها البشر لدى إنشاء حضارات عنف.

وســـاد صمت تام حين نظر ماكس والمبعوث الثالث عشر بهدوء إلى عـــيني أحدهما الآخر. وبينما كانا يتشاطران نظرة امتنان وتقدير لا

نهاية لها، بدوَا كما لو أنهما يعكسان بعضهما بعضاً ويصبحان شخصاً واحداً.

واتخذا شكل آلاف الأشخاص، من رجال ونساء، شبان ومسنّين من مختلف الأعراق والأنواع عاشوا على الأرض.

أيه مساوية وغير مساوية لأيه.

فماكس كان ولم يكن ماكس. وماكس كان ولم يكن المبعوث الثالث عشر. وماكس كان ولم يكن يمثل البشر الذين عاشوا على الأرض.

وتسمّر الاثنا عشر؛ ميلودي، ماريا، يوسكي، تشيل، الطبيب آلن، الريبونش، إيرول، شو صن باك، خوان، يوكو، الدب الراكض، وسي. دي في أماكنهم في أثناء غروب الشمس، وانتهى الزمن الذي كانت البشرية قد خبرته من قَبل.

وتوقف تغريد الطيور.

ولم تكن هناك أي ريح.

هدوء فقط وسكون تام.

* * *

ربما دامت اللحظة إلى الأبد.

ربما دامت أقل من ثانية.

لا أحد يعرف.

لقد تمّ توقع المايا. لقد جرى كل شيء كما تمّ توقعه منذ دهور.

بالنسبة إلى ماكس، لقد اختبر الأمر في أثناء اختبار حالة النورانية. ومرةً أخرى، كان هناك نور وحب، ودفء نابع من الأجساد الواقفة أمامه والمبتهجة ببدء زمن جديد للناس.

ومع بدء الزمن مرة أخرى، تكلم ماكس، ولكنه لم يكن ماكس السابق تماماً. كان ماكس المشبَع بوعيه الخاص، قيمة أسمى زرعت وعي

كل من الاثني عشر قبل آلاف السنين. لقد تكلم بلطف وهدوء مريحَين لكل السامعين.

"لقد انتهى الزمن، وبدأ عصر جديد"، قالت القيمة الأسمى بلسان مـــاكس، "لقد حدث التبدل الكبير. لن يتبدل شيء، ولكن كل شيء سـيتبدل. سـتبقى الأرض ومخلوقاها، ولكن وعي الجميع قد تبدّل، وسيستمر في التبدّل في الأزمنة القادمة. كونكم بشراً، ستدخلون عصر حـب، وتناغم، وحرية أكثر تلاؤماً مع مصائركم. ستتوقف الحروب عـندما تكتشفون السخاء اللامتناهي للمخلوقات كافة. لا يفتقر هذا الكـوكب إلى النـــزاعات، وهـو ليس بحاجة إليها. إن الطاقة التي طوّرتمـوها للبقاء والتنافس سيتم تخصيصها للإبداع والنشاط. هذا ما خُطّط له منذ البدء وما يُفترض بكل واحد منكم تحقيقه".

وتوقف قليلاً، ومن ثم تكلم مجدداً:

"سـيدوم هذا العصر مئة وأربعة وأربعين ألف عام ولكنه قد يمتد إلى أكثر، وفقاً للخيارات المتخَذة من قِبلكم ومن قِبل المتحدرين منكم. هـناك على الدوام إرادة حرة، والإرادة الحرة هي التي حملتكم إلى هذا المكـان في هذا الوقت. لقد لعب كل منكم دوره على غرار كل من عـشتم وتفاعلـتم معهم. وبالرغم من أن حلول هذه اللحظة هو أمر مقـدَّر، لم يكـن مـوعد حلولها محدَّداً مسبَقاً. فشجاعتكم وحبكم وخياركم هي التي جعلت أزمنة النعيم هذه تحلّ على الأرض".

ومـلأ توهّج الشمس الغاربة البَراح بنور زهريّ وبرتقالي. وكان كـل فرد من المجتمعين يتوهج فرحاً بسبب استيقاظ ماكس، وامتدت طاقـة الفرح هذه لتطال كل مخلوق حيّ على كوكب الأرض. وعلى الفـور، سرت حياة جديدة كان في الإمكان الشعور بها في كل شجرة ونبتة، حتى إن الصخور والتربة التي يقفون عليها شعرت بها.

ابـــتعد المبعوث الثالث عشر عن ماكس خطوات إلى الوراء وقال مجدداً للاثني عشر:

"أغادركم الآن إلى أمكنة أخرى، ولكنني مسرور بكل ما قمتم به وستقومون به".

ثم أضاف: "سيبقى ماكس معكم، وبالرغم من كونه ما هو عليه، فهـــو يبقـــى مـــاكس الذي عرفتموه سابقاً. لا تلفتوا انتباه أحد إلى اخـــتلافه، لأنه سيسير بينكم كشخص مساوٍ لكم ولا يختلف عنكم، وذلـــك وفقاً لرغبته، وبالرغم من قدرته على مغادرتكم في أي وقت. احمـــوا مـــاكس واحموا أنفسكم، واستمتعوا بالحياة التي قُدّر لكم أن تعيشوها".

وقال أخيراً: "ليكن فرح الكون معكم إلى الأبد".

وغادر المبعوث الثالث عشر.

* * *

حـــتى بعد حلول الظلام، كانت وجوه الاثني عشر ووجه ماكس مُشرقة في أثناء سلوكهم الدرب المبلّل، ووصولهم إلى المكان الذي ينتظر فيه مانويل بأمانة.

وارتسمت بسمة على وجه مانويل في أثناء الترحيب بكل منهم؛ حـــتى إن السائقين المنتظرين في العربات كانوا يتبسمون. لم يتكلم أيّ مـــنهم، ولكـــن كان هناك تواصل صامت بينهم في أثناء عودتهم إلى تاباشولا.

لقد حلت نهاية الزمن الذي تحدث عنه شعب المايا ومرت. وزال التخوّف الذي تشاطروه كلهم.

لقد بدأ عصر جديد.

الفصل الرابع والثلاثون

الاستيقاظ

21 كانون الأول/ديسمبر 2012

بينما كانت عربات النقل تُنزل الاثني عشر أمام الفندق في تاباشولا، تسرّبت أنباء إلى تلك البلدة المكسيكية النائية في شياباس عن حدوث ذلك الأمر غير العادي.

كان العلماء قد رصدوا تبدّلاً مفاجئاً في محور الأرض: لقد تبدلت الحقول المغناطيسية، وتبدّل مسار الأرض بالذات.

كانت النتائج لا تزال مجهولة، ولكن المحطات التلفازية والإذاعية ومواقع الإنترنت كانت تورد معلومات متضاربة باستمرار واكتشافات جديدة.

وبالرغم من أنه يُفترض بالحدث التسبب بذعر تام مع وجود بعض التخوّف لدى أولئك الذين ينقلون المستجدات، لقد بدا الناس بغالبيتهم هادئين وادعين. وعبّر العلماء عن ذهولهم بحدوث هذا التبدّل من دون سابق إنذار ومن دون أي أثر كارثي ملحوظ.

لم تحدث أي موجات تسونامي.

ولم تحدث أي زلازل.

في الشرق الأقصى حيث طلع صباح الثاني والعشرين من كانون الأول/ديسمبر 2012، أشرقت الشمس على سماء صافية ونور معتدل غير عادي.

لقد بدا أن اليوم سيكون رائعاً في كل مكان من الأرض.

* * *

عندما دخل ماكس إلى الفندق، كان الجميع مسترخين ومبتسمين، بدءاً بالحراس وانتهاءً بالموظفين المكتبيين. لقد بدا الأمر كما لو أن الجميع اكتسبوا تلك المعرفة والدُّعابة الباطنية نفسها، كان الجميع مترابطين على أعمق مستوى.

لقد بدا الأمر كما لو أنهم خلايا مختلفة في الجسد الحيّ نفسه. لم يكن الأمر مَجازاً بالنسبة إلى ماكس بل واقعاً.

عند العشاء - العشاء الأخير الذي تشاطروه كمجموعة - كشف ماكس عن أن التبدل لم يحدث في الواقع إلا لحظة إدراكه لاختلافه عنهم. ثمّ شرح قائلاً:

"إن قيامنا بإحداث هذا التبدّل لم يكن أبداً أمراً مضموناً. وبصفتي ماكس، كنت طوال حياتي نائماً أكثر مني مستيقظاً. كان عليّ أن أكون على هذه الحال لاختبار الأمر".

وتساءل إيرول المستفهم العملي الدائم حول النقطة المطروحة.

"ولكن، إذا كان الأمر كذلك، لماذا لم تدرك حقيقة اختلافك في آب/أغسطس عندما التقينا كمجموعة ونُشِّطت الطاقات؟". سأل: "هل هناك غاية من حملنا على البحث عنك في الأشهر الأربعة الماضية، أم أنه اختبار لإلتزامنا بالمهمة؟".

فأومأ عدد من الحاضرين برؤوسهم كما لو أنه عبّر عما يجول في خاطرهم أيضاً.

"لم يحدث أي شيء بشكل عشوائي"، أجاب ماكس، "لم أكن مدركاً لاختلافي، ولكن الخطة تطلبت أن يكون ماكس على ما هو

علـــيه لتنشيط كل دوّامات الطاقة على الأرض لأن الكوكب هو الذي يعاني. إن نظرية غايا حقيقية".

وكانت هناك نظرات مُربَكة في المجموعة، فشرح ماكس:

"غايـــا هــــو سيّد يوناني، وتفيد النظرية أن الأرض تملك وعياً واحداً، وكل ما يحدث يؤثّر فيها. وعلى مرّ القرون، تأثرت الأرض، ولا ســـيما المواقع المبجَّلة القائمة عليها، بكل عمل عنفي. لقد اختار الـــضالعون المواقـــع المبجَّلة نفسها منذ دهور بشكل واعٍ أو بشكل غـــير واعٍ، وذلك بالاستناد إلى الطاقات القوية التي ظهرت في تلك المواقع.

كل موقع هو دوّامة من الطاقة، وكان من الضروري قيامي بهذه الرحلات إلى تلك الأماكن لأُبرِّئها. هي عملية طويلة بدأت عندما كان ماكس شاباً".

"ولكـــن كـــيف عرفتَ أنه يتعيّن عليك زيارة كل هذه المواقع المنتشرة في أماكن مختلفة من العالم؟"، سألت ميلودي.

"بـــصفتي ماكس، لم أتلقَّ أي إلماعة"، أجاب، "لقد بدأت الرحلة في الواقـــع مع رحلتي الأولى كطالب إلى البيرو وبوليفيا، عندما زرت بحيرة تيتيكاكا، ولا سيما عندما كنت أعمل على فيلم *البحث عن ألغاز قديمـــة*. ولكـــنني لم أدرك حدوث أمر غير عادي. لقد أدركتُ ذلك عـــندما قمت برحلاتي الأولية كفرد لتدخلوا جميعكم أنتم الاثنا عشر الصورة. لذلك، لم يكن في استطاعتي تذكّر أسمائكم حتى صادفتُ كلاًّ منكم، كلاًّ بمفرده، ولم أتمكن من التحقق من أهمية التجمع حتى التقيت بالدب الراكض".

"ولكن، ما كان الهدف من مرافقة كل منا إلى الأماكن المبجَّلة في الأشهر الماضية؟"، سأل شو صن باك.

فـــردّ ماكس قائلاً: "قبل كل شيء، كانت هناك أماكن لم يسبق لي أن زرتها واعتبرتموها أماكن مبجَّلة كالأديرة في التيبت، وجزيرة أيونا المبجَّلة، والقلاع في ألمانيا، والينابيع النائية في فيتنام والصين. وحتى لو قمت بزيارتها في السابق، فأنا لم أعد إليها إلا بعد أعوام. عندما عدت مـــع كل منكم، كنت أحمل طاقة كل مكان زرته في السابق مدعوماً بطاقـــاتكم الفردية". ثم أضاف: "لقد بدا الأمر كما لو أننا نُلهب كل موقع. ولكن وجودي بمفردي لم يُحدث أي تبدل. لم يكن في الإمكان حدوث ذلك حتى مُنح كل موقع مبجَّل شحنته، ولم يتبقَّ سوى مفتاح الإلهاب نفسه".

"ماذا تعني بمفتاح الإلهاب؟"، سأل تشيل.

"بـــصفتي ماكس، كنت مفتاح الإلهاب. ولكن الأمر تطلّب نوعاً خاصاً من مُجريات الأحداث، مُجريات تستند إلى دمج أعلى مستوى مـــن الوعي في كيان ماكس. لم أكتسب ذلك المستوى من الوعي إلا عـــندما أدركـــت أخـــيراً أن ولادتي مـــرتبطة بـــتاريخ 12 كانون الأول/ديـــسمبر 2012، وأن الهـــدف الوحـــيد من وجودي هو تحرير البـــشرية مـــن الماديـــة التي تجرّد كل فرد من إنسانيته وتحط من قدْر الطبيعة".

ونظر إلى كل شخص شاركه المغامرة، ثم أضاف قائلاً:

"لقـــد ساهم كل منكم في هذا الاستيقاظ الأخير. في استطاعتي الـــشعور بالـــرغبة والقصد الموجودَين في كل من قلوبكم، بدءاً بماريا، وأراهمـــا بوضوح أكبر ربما في الحب الطاهر اللامشروط الذي يشعّ من عينَي سي. دي... من كل كيانه"، قال بحرارة، "ولكنهما أكثر قوة في الطاقـــة الجماعية، وفي الطهارة الجماعية لكل منكم أنتم الذين تؤلفون الاثني عشر، ولا تسعون إلى مساعدة العائلات والأوطان فحسب، بل

كـــل البـــشرية. لقد اقتنعت - لحظة الارتباط الرقمي والذبذبـــي - بالأساس الطاهر للحب الذي يُعتبر العنصر الأساسي لكل حياة. إنه في أســـاس كل حَمْل وولادة جسدية وماورائية. فلو لم أدخل هذه الحالة العليا من الوعي بصفتي ماكس، لكنت مفتاح إلهاب من دون قدرة على شفاء الكوكب، ولما حدث التبدّل الكبير".

وتوقف قليلاً مرة أخرى، سامحاً للحاضرين باستيعاب ما قاله، ثمّ أضاف:

"الأمـــر مرتبط بمصير البشر أكثر مما يتوقع العلماء"، ورفع الشيء الـــذي كان أساس اكتشافه، "هذه مفكرة بـــي. أن. ماهارز. يوجد فيها ما يفسر بعض هذه الترابطات، ولكنني لم أكن أملك القدرة على فهمهـــا بصفتي ماكس. روزنامات الحضارات القديمة، أساطير القبائل الاثنتَي عشرة، الألوان الاثني عشر المرافقة لكل منكم إضافةً إلى الطاقة الكونية للعالم الخارجي، كلها مترابطة.

لقـــد بات صحيحاً أن كل شيء ولا شيء هما أمران مماثلان منذ بدء التبدّل. فلا وجود للزمان، ولا وجود للمكان"، ووضع المفكرة من يده وحدّق إليهم كل بمفرده ثم تابع وقال: "بينما تتطورون وتصبحون كائـــنات متعددة الأبعاد، ستتحقّقون من أن هذه الأمور ليست سوى بداية رحلة كبرى باتجاه الاستيقاظ... رحلة يتم اكتشافها بشكل أفضل في المستقبل".

ونظـــرت ماريـــا إليه، وانعكس مزيج من الحب والخشوع على وجهها.

"أجـــل"، قالت، "يبدو أن الابتهاج بإنقاذ البشرية هو أمر كافٍ في الوقت الحاضر. ولكن الأسئلة ستُطرح بعد مدة غير بعيدة. أين نذهب بعد خروجنا من هذه الحياة؟ ماذا يجب أن نفعل بما تبقى من حياتنا المبجَّلة؟".

قبل أن يجيب، ابتسم لها، وبدا في بسمته وعد أن يعيشا معاً ويحبّا بعضهما بعضاً كما تعهّدا. فابتهج ماكس.

"في الوقت الحاضر، وفي كل الأوقات في الواقع، يكفي أن يختبر كل منكم الفرح في وضعه الحالي. قد لا تتبدل حياتكم البتة في الظاهر، ولكن تذكروا في أثناء عيشكم في هذا العالم الواسع والغريب أن كل إنسان تلتقونه، كل حيوان، كل نبتة، لا بل أيضاً أي شيء تعتبرون أن لا حياة فيه، هو كائن ينبض بالحياة، بشكل ما، وإن لم يكن بالشكل المتعارف عليه بيننا نحن البشر. ستستمرون في مواجهة التحديات، لا بل سأستمر أيضاً في مواجهتها لأن كل ما أرغب فيه هو إكمال رحلة ماكس واكتشاف المهام التي في انتظاري".

في الختام، رفع ماكس كأسه لشرب نَخب كل المجتمعين، هم الذين سيواصلون رحلتهم الغريبة.

خاتمة

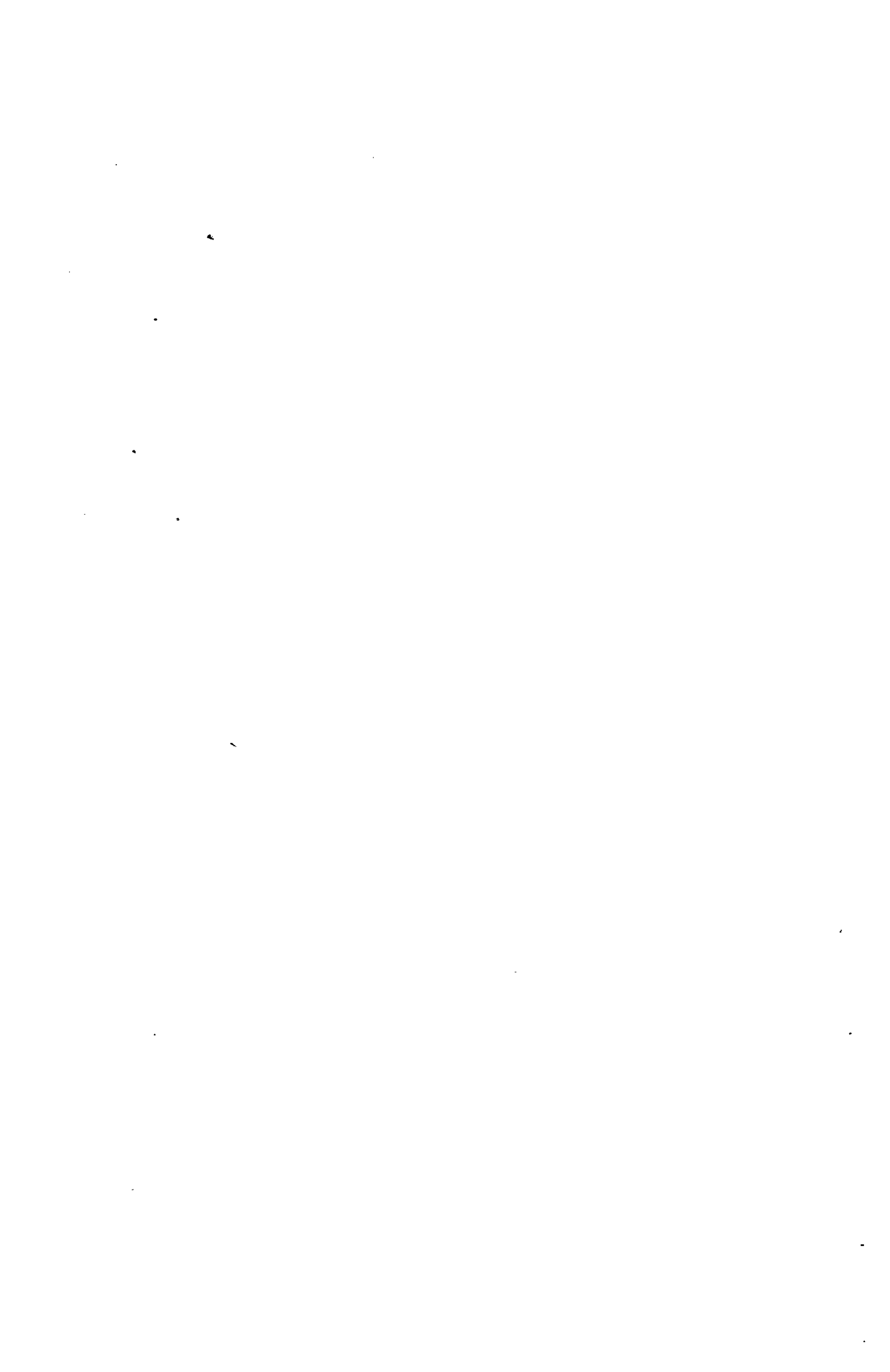
لم يكشف أي من الاثني عشر الدور الذي سيلعبه كل منهم لتحقيق التبدل الكبير، ولم يكشف أي منهم الهوية الحقيقية لماكس.

في غضون ذلك، ازدهرت الأرض، وتباطأ الانحباس الحراري العالمي وتوقف بعد ذلك. والأكثر إثارة للدهشة أن الإنسان أرسى توازناً مع الطبيعة.

وابتُكرت تكنولوجيات حديثة، واكتُشفت أشكال جديدة من الطاقة. وأصبحت الوفرة أمراً عادياً بالنسبة إلى الجميع. وغاب مفهوم الحرب بعد عقود قليلة، وأصبح التعليم والإبداع الخيارين المتاحين. لم يعد هناك سبب للجريمة.

واستمر العلماء في استكشاف التبدل الجذري الذي حدث في 21 كانون الأول/ديسمبر 2012، ولكنهم لم يتوصلوا أبداً إلى إجماع. فعاد بعضهم إلى الوراء ودرسوا معتقدات المايا القديمة، واقتُرح أن الأرض - وإيزابا بصفة خاصة - موجودة وسط مجرة درب التبّانة ووسط عوالم لامتناهية لم يُطلق عليها أسماء بعد.

لقد نوقش هذا الأمر من دون التوصل إلى إجابة، ذلك أنه يفوق إدراك البشر.



ملحق

بالرغم من أن كتاب *الاثنا* عشر كتاب خيالي، فهو يتضمن عناصر واقعية أكثر مما تعتقدون. فالاعتقاد بالتبدل الكبير تعكسه العديد من حضارات العالم وليس المايا فقط.

وسيَثبت في النهاية من دون شك أن الوضع الحالي الذي يمرّ به كوكبنا وحضاراتنا بحاجة إلى القيام بأمر ما. وسواء أعتبرتم أنفسكم الدب الراكض أو الطبيب آلن، يمكنكم لعب دور لإيجاد الحل.

فالحقيقة، والنزاهة، والحب، تبقى على الدوام الأكثر أهمية في الحياة. وسيركز التبدل القادم على هذه القيَم البسيطة التي عُرفت عبر العصور.

كوننا جنساً بشرياً مقيماً على كوكب، فنحن نواجه تحديات كبيرة، ولكن الخطوات الأولى تتمثل بالاستيقاظ على ما أنتم عليه في الواقع على غرار العديدين. فقراءة ومناقشة *الاثنا* عشر هي خطوة بهذا الاتجاه، ولكنها ليست سوى خطوة واحدة.

من أروع القصص

قصة للعقل والروح

حلّ تفاؤلي ومُلهِم للغز العام 2012. إنها قصة رحلة، وقدَر رجل واحد يكتشف جوهر السر الكامن وراء التوقع القديم حول نهاية العالم في تاريخ 21 كانون الأول/ ديسمبر 2012، وذلك كما توقعته روزنامة حضارة المايا القديمة.

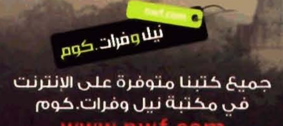
هذه رواية مميّزة لا تُنسى تتناول رجلاً غير عادي. في طفولته، يعيش كان ماكس في عالم من الألوان والأعداد، ولم يتكلّم حتى بلغ السادسة من عمره. وفي سنّ المراهقة، غامر ماكس في رحلة رسمها له القدر لاكتشاف السر الكامن وراء التوقع المايَاوي القديم حول نهاية العالم.

في الخامسة عشرة من عمره، شاهد ماكس رؤيا عجيبة كشفت له عن أسماء اثني عشر فرداً يمتازون بالفرادة. وبما أن ماكس لم يستطع تبيّن معنى هذه الأسماء الاثنَي عشر، فقد عجز أيضاً عن تبيّن وجود معنى عميق لذلك. وبعد إكماله دراسته في هارفارد ويال، مرّت ثماني سنوات قبل أن يلتقي ماكس أول شخص من الاثنَي عشر.

ومع أول لقاء له، بدأت رحلة الاكتشاف، وبذل ماكس جهداً كبيراً لكشف النقاب عن هويات الأفراد الاثنَي عشر والمعاني الضمنية لذلك: أفراد سيلتقيهم خلال رحلته بحثاً عن الحقيقة، وعن الصلة فيما بينهم، واحتمال امتلاك أيّ منهم الإجابة عما سيحدث للعالم في الوقت المحدد، وهو أنه قد ينتهي.

تحمل الرواية القارئ عبر سلسلة من المغامرات المدهشة إلى القدس، وأثينا، ولندن، والهند، واسطنبول، والصين، واليابان، والمكسيك، وتبلغ منتهاها بفهم سبب وكيفية قيام ماكس والاثني عشر بالتجمّع، كما هو مقدّر لهم، لاكتشاف أهمية 21 كانون الأول/ ديسمبر 2012. قد ينجم عن لقائهم تحقّق التوقع المايَاوي، والتحكم بمستقبل الحياة على كوكبنا... دون سواهم هم فقط من يستطيعون تقديم الإجابات بما أن قدَر ال...






الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com